

أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة

د. عبد اللطيف عبد الرحمن الحسن



العبدكان
Obëkan

أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة

الدكتور. عبد اللطيف عبد الرحمن الحسن

العبيكان
Abekan

ح مكتبة العبيكان، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية / أثناء النشر

الحسن، عبد اللطيف عبد الرحمن

أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة. / عبد اللطيف عبد الرحمن الحسن.

الرياض، ١٤٣٤هـ.

٤٢٤ ص، ١٦,٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٥٢٤-٥٠٢-٦٠٢-٩٧٨


١- الفكر اليهودي ٢- الشيعة أ. العنوان

ديوي ٢٩٦ ١٤٣٤/ ٣٧٧٠

حقوق الطباعة محفوظة للناس

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

الناشر  للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obelkanpublishing.com

<http://itunes.apple.com/sa/app/obelkan-store>

امتياز التوزيع شركة مكتبة 

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ هاتف مجاني: ٩٢٠٠٢٠٢٠٧ فاكس: ٤٨٨٩٠٢٣ ص.ب: ٦٧٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

www.obelkanretail.com

جميع الحقوق محفوظة للناس. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَجْمُوعَاتُ الْكُتُبِ﴾

→ الصفحة

→ الموضوع

٧	• مقدمة الكتاب
١١	• الباب الأول: اليهودية
١٣	- الفصل الأول: مقدمة في تاريخ اليهود وعقيدتهم
٤٥	- الفصل الثاني: يهود يثرب وشمال الجزيرة
٧٥	- الفصل الثالث: اليهودية في اليمن
٩٥	- الفصل الرابع: يهود العراق
١٠٣	• الباب الثاني: أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة
١٠٥	- الفصل الأول: تسرب الإسرائيليات إلى التفسير ومرويات المسلمين
١٤٣	- الفصل الثاني: من آثار اليهودية على الفكر الشيعي المغالي
١٧٩	- الفصل الثالث: فكرة العنصرية والتمييز
١٨٥	- الفصل الرابع: آل موسى وآل محمد وعلي
٢٠٧	- الفصل الخامس: تشابه واقتباس فكري بين اليهودية والتشيع
٢٣٩	- الفصل السادس: ممارسات وعادات
٢٤٩	- الفصل السابع: الزواج
٢٥٥	- الفصل الثامن: التحريف والتأويل
٢٨٧	- الفصل التاسع: النقمة على المخالفين
٣١٩	• الباب الثالث: وسائل انتقال الفكر اليهودي إلى التشيع المغالي
٣٢١	- الفصل الأول: بعض الرجال
٣٧٧	- الفصل الثاني: بعض المدن كمراكز للكذب ونشر التشيع
٤١٣	• مصادر البحث



مقدمة الكتاب

بعد نشر كتابي «جذور التشيع» وجدت مادة علمية كثيرة لا يحتمل الكتاب السالف أن أضمنها فيه، وهذه المادة تخص العلاقة بين اليهود والتشيع عقيدة وفكرًا، حملها رجال من قبائل عربية قديمًا؛ لظروف سياسية مرت بها المنطقة، ولتجاوز الشعوب السامية في المنطقة العربية، وتوارث تراثها الفكري بين الأجيال والأقوام.

وفي أثناء قراءتي لمصادر الشيعة القديمة هالني التشابه بين الأفكار الواردة في المصادر اليهودية ومصادر الشيعة القديمة، في بعض الأحيان تلمحها بوضوح، وفي أحيان كثيرة يجرون عليها بعض التحوير والتغيير المناسب للاحتجاج الزمني، وجميعها موضوعة على شكل أحاديث منسوبة إلى الأئمة. ولهذا رأيت من المناسب أن أعرض ما توصلت إليه بشكل محايد، لا غرض فيه غير العرض العلمي البحت الخالي من التجني أو التشنيع، مستعملًا في الأساس المصادر الإسرائيلية والمصادر الشيعية الموثقة عندهم، واني إن أشرت إلى مصادر أخرى، فإنما ترد على سبيل الإضافة والتعصيد لما يذكر.

ليست فرقة الشيعة وحدها التي انتقلت إليها التعاليم والأفكار اليهودية، فهذا واقع علمي وسياسي لا يمكن لأحد رد مؤثراته، حيث جرت سنة الله في خلقه أنهم وإن وضعوا في ظروف مشابهة، فلا بد أن تنتقل إليهم تلك المؤثرات شاؤوا أم أبوا. وقد شرحت في كتابي «جذور التشيع» الظروف

التي دفعت الشيعة إلى تبني تلك الأفكار، ليس فقط من اليهود، وإنما أيضاً من النصارى ومن الفرس والمجوس.

إن هذا مبلغ علم هؤلاء الرجال العرب... وكذا المعجم من الإيرانيين وغيرهم... الذين صدقوا تلك النقول في وقتها؛ لأن ذلك كان مبلغ علمهم إن حسنت نياتهم، ومن كان منهم على نية سيئة، ويعلم أنه يسبب بذلك فرقة المسلمين وبذر الشقاق بينهم، أمثال عبد الله بن سبأ وأبي الخطاب وبريدة العجلي وزرارة، وكثير أمثالهم ممن دمغهم الأئمة بالكذب، ووصفوا بأنهم شر من اليهود.

إن رجال الشيعة ابتلوا كثيرهم بنقل الإسرائيليات في التفسير والحديث، ونسبوا أقوالاً لأئمتهم طالبين في ذلك إعلاء شأن الأئمة، وإنهم عالمون بعلم أهل الكتاب، فمن هذا الطريق أيضاً دخلت البلياء والخرافات والأقوال المبتكرة من اليهودية إلى التشيع، وسنلقي الضوء على هذا الموضوع؛ لأهميته.

والسؤال المهم هنا هو: هل علماء الشيعة يعرفون هذه الحقيقة؟ وإن كانوا لا يجهلون، فلماذا سكتوا عنها منذ القدم على الرغم من وضوحها؟ وللإجابة أرى:

١ - أن بعضاً من الرواة الذين نقلوا تلك الأفكار اليهودية إنما ينقلون ما يرون أنه علم حقيقي عرفوه من بيئتهم أو أجدادهم، ولا يعلمون أفضل منه، وما خطيئتهم إلا أنهم وضعوا تلك الأقوال، ونسبوا للأئمة؛ لتأخذ المزيد من التصديق وإضفاء الهالة الدينية المنفردة والمخالفة لما عليه أكثر المسلمين.

٢ - وأن بعضاً آخر من الرواة ينقلون تلك الروايات، ويضيفون إليها بسذاجة وجهل إضافات من أفكارهم ومعلوماتهم، أو مما يسمعونه دونما احتراز وتأكد منهم، مثل أحد الرواة الذين وصفهم الإمام أبو جعفر الصادق: (أنت وأصحابك كأشباه الحمير).

٣ - ولكن بعد انتشار العلم واقترابه من كل طالب منذ القرون الأولى وحتى اليوم، فلا عذر للمسلم فضلاً عن العالم، خاصة من علماء الشيعة أن يسكت عن هذه الحقيقة الواضحة في هذا البحث، ولا بد أن يجاهد لتتقية المذهب مما لحق به من خزعبلات وخرافات وأفكار بالية ومضحكة لا تليق بالعلم وأهله، والسكوت عن ذلك فيه إثم كبير، وضرر على المذهب وأهله.

إن في المذهب من شباب الشيعة من يدرسون في الحوزات العلمية، ومن وصلوا إلى دراسة ما يسمونه بالخارج، أي العلوم الدينية الخارجة بعض الشيء عما في المذهب، لماذا لا يلتفت أمثال هؤلاء لدراسة هذه الظواهر الخطيرة في التشيع؟ ذلك أنفع للمذهب وللمسلمين، إذ يسبب وحدتهم واقترابهم بعضهم من بعض، وأن يفهم كل فريق ما كان عليه الآخر من خير أو شر.





البَّائِبُ الْإِسْلَامِي
الْيَهُودِيَّة



الْبَيْتُ الْكَبِيرُ

مقدمة تاريخية

يدعي اليهود أن أرض كنعان (الشام وفلسطين) أرض مياعدهم التي وعدهم الرب بها، ولكن أرض العراق يعدونها أرض أجدادهم قديماً، ثم أرض سبيهم بعد هدم هيكلهم وخراب دولتهم، فتهر دجلة والفرات تذكرهما التوراة كنهر الفردوس، وتذكر التوراة شنعار وبين النهرين وبابل وآشور بوصفها مدناً، لهم ذكريات وأحداث فيها منذ القدم.

يرى بعض اليهود أن أصلهم من قبيلة تارح القبلية الأكديّة، التي نزحت من جنوب العراق (مملكة أكد) إلى بلاد كنعان بقيادة تارح صانع الأصنام ورئيس القبيلة، ومعه ابنه إبراهيم، حيث ما لبث الأب تارح أن توفي، فأخذ إبراهيم القيادة^(١) مكانه، فعبر بهم الفرات متجهاً إلى الشام، فسموا بالعبريين.

وأخذوا من البابليين شرائع وعادات كثيرة، منها قصة (الخلق والتكوين) والطوفان وتقديس يوم السبت وحياة ما بعد القبر، وذلك لتشابه ما ذكر مع شرائع حمورابي والبابليين (ملحمة كلكامش)، وما ذكر في التوراة، ويختلفون في أمور كثيرة أخصها العبرانيون الأوائل، كانوا يؤمنون بإله واحد.

(١) يوسف غنيمّة: نزعة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص ٦١. بيروت ٢٠٠٦م. والمؤلف من طلبة مدرسة الإلياناس الإسرائيلية الفرنسيّة، التي أسست في بغداد سنة ١٨٦٥م. وعمل وزيراً للدولة العراقيّة بعد تأسيسها.

ويحسن بنا أن نلقي الضوء أكثر على اليهود وبلاد العرب بوصفها أن
كلًا من الشعبين من الشعوب السامية.

العبريون ينحدرون من العرق السامي الذي ينتسب إليه الآشوريون
العرب، وكانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهد الساميين، وقد هاجر
فريق منهم إلى الشمال في بلاد بابل، حيث كان السلطان لحضارة السومريين
والأكاديين^(١).

أصاب أرض كنعان جدد، ولم تعد وفيرة الخير لإبراهيم وأهله
وأنعامه، فسار إبراهيم تجاه الجنوب إلى مصر، ولكن فرعون طمع في سارة
زوجة إبراهيم، فقفّل إبراهيم راجعًا إلى أرض كنعان ومعه ثراؤه ومعه كذلك
هاجر، وهي جارية مصرية أهداها فرعون إلى سارة. وقد دخل إبراهيم
بهاجر، وأنجب منها ابنه الأول إسماعيل، الذي نشأ في مكة المكرمة، وصاهر
قبيلة جرهم سادة مكة المكرمة.

وبعد مولد إسماعيل بنحو أربع عشرة سنة ولدت سارة لإبراهيم ابنه
إسحاق، وترك إبراهيم ابنه إسماعيل بالحجاز، وابنه الأصغر إسحاق
بأرض كنعان، وأنجب ولدين هما عيسو ويعقوب، المسمى إسرائيل، وإليه
ينسب بنو إسرائيل، وتزوج يعقوب بنتي خاله، وهما لية وراحيل، وتزوج أيضًا
من زلفة جارية لية ومن بلهة جارية راحيل، وأعقب منهن اثني عشر ابنًا^(٢).

حدث أن تآزمت العلاقات بين المصريين وبني إسرائيل الذين هاجروا
إلى مصر، وقرر المصريون أن عزلة بني إسرائيل هي مصدر خطر، وأن
تكاثر رجالهم يهدد الدولة، فاستقر الرأي على التخلص من الأطفال الذكور

(١) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص ٣١.

(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص ٣٥ - ٣٦.

واستبقاء الإناث. وفي هذه الأجواء لم يجد موسى عليه السلام بداً من الهرب، واتجه في هربه إلى أرض مدين، مقر نبي الله شعيب، وهناك تزوج ابنته، وكان صداقها خدمته لأبيها ثمانين حجج، وبعد أن أتم موسى عليه السلام الميقات، فكر في الرجوع إلى مصر آملاً أن يكون القوم هناك قد نسوا خطيئته (قتله الفرعوني خصم اليهودي^(١))، وسار مع زوجته في طريق العودة حتى وصل طور سيناء، وهناك خيل إليه أنه ضل الطريق، فوقف متردداً، ولكنه سرعان ما أبصر ناراً تشتعل في جانب الطور الأيمن، وبذلك بدأت رسالة موسى عليه السلام. واتجه موسى عليه السلام يطلب من فرعون أن يطلق معه شعبه «بني إسرائيل»، ليعبدوا إلههم «يهوه» في البرية، ولهذا دبر موسى عليه السلام أن يخرج بهم سراً. وخرج بنو إسرائيل بما سلبوه من المصريين، وبلغوا شاطئ خليج السويس، وذلك نحو سنة ١٢١٣ ق.م، وفرعون الاضطهاد هورمسيس الثاني، وفرعون الخروج هو منفتح الذي خلفه.

تولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وكان يوشع أحد أصفياء موسى عليه السلام، وقد اختاره موسى عليه السلام قبل موته لقيادة بني إسرائيل، وهو الذي استطاع اليهود في عهده دخول الأرض الموعودة^(٢).

عهد الانقسام وزوال ملك بني إسرائيل

أراد رحبعام أن يحارب أخاه، ولكن النبي شمعيانصحه بالعدول عن الحرب، وهكذا انقسمت المملكة إلى مملكتين: جنوبية عاصمتها أورشليم واسمها مملكة يهوذا، وشمالية عاصمتها نابلس واسمها إسرائيل. وكان

(١) حيث أشار القرآن الكريم: ﴿فَوَكَّرَهُمْ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (القصص: ١٥).

(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص ٤٢ - ٤٤، ٤٩ - ٥٠.

تقسيم الدولة في الحقيقة انتصاراً عملياً لفرعون مصر، ولم يكتفِ شيشنق بهذا، بل غزا فلسطين، وصعد على أورشليم، ونهبها، وبسط سيطرته على دولة يهوذا، ثم على دولة إسرائيل، وامتد سلطانه على الجليل، تعرضت هاتان الدولتان أيضاً إلى الضغط من جهة الشمال، للقضاء على القوة اليهودية الدخيلة في المنطقة من جهة، وللمنافسة بين العراق ومصر من جهة أخرى.

يصف Wells تاريخ المملكتين بأنه قصة ملوك همج يحكمون شعباً من الهمج، حتى إذا وافت سنة ٧٢١ ق. م محاسن الأسري مملكة إسرائيل من الوجود، وزال شعبها من التاريخ زوالاً تاماً، وظلت مملكة يهوذا تكافح، حتى أسقطها البابليون سنة ٥٨٦ ق. م.

إن تراث اليهود وتعاليمهم الدينية من خلال كتبهم، وتعاليمهم الموروثة من تورا وتلمود وميشنا وجيمارا كلها مختلفة فيما بينها، بل متناقضة أحياناً، والسبب في ذلك أن هذه التعاليم جمعت ودونت في أزمان مختلفة، تمتد إلى ألفي سنة تقريباً، فمن الإله الأول يهو الصنم أو الوثن إلى الخالق الواحد الرب. ومن التعاليم الوثنية التي تقدس «الحية» و«القرن» و«الأجداد» بوصفهم معبودين إلى التعاليم التي تنزه الرب عن التجسيم والشرك.

وعند تدوينها في تلك الأزمان المختلفة، فإنها كانت عرضة للمؤثرات الفارسية الزرادشتية وتعاليم الفلسفة اليونانية والمسيحية، وحتى تعاليم الإسلام تأثر بها كثير من اليهود الذين دونوا تعاليمهم في العصر العباسي وفي ظل الدولة الأيوبية كالرايان ميمون وغيره^(١).

(١) راجع تفاصيل ذلك عند حسن ظاظا: المصدر السابق، ص ١٣٠ - ١٤٠.

واليهودية دين ومعتقد، ولا تمت إلى جنس بعينه، وقد دخل في اليهودية أجناس مختلفة من البشر، خاصة بعد تدوين العهد القديم (التوراة)، واستمر التبشير باليهودية من قبل رجال الدين اليهود في أصقاع مختلفة من الأرض، ولم يوقف التبشير هذا إلا في القرن الثالث عشر الميلادي على يد حاخامات اليهود، الذين ارتأوا قصرها على فئات معينة، لدواعي التعصب والاستحواذ على الملة.

تم سقوط مملكة إسرائيل على يد سرجون الثاني ملك آشور، الذي اعتقل هوشع بن أيله آخر ملوكها، وقد ثار لذلك ملك بابل نبوخذ نصر (بختنصر)، الذي آل إليه السلطان على آشور، وزحف على فلسطين، فهزم فرعون مصر، واستعاد مملكة إسرائيل، واحتل مملكة يهوذا، وقتل صدقيا ابن يواقيم آخر ملوك يهوذا، ونهب أورشليم، ودمرها، وسبى أهلها إلى بابل، ثم عاد بعضهم إلى بيت المقدس في عهد قورش^(١).

(١) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص ٦١ - ٦٤، ٦٩.

عقيدة بني إسرائيل

عبادة العجل

لم يستطع موسى عليه السلام أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبي؛ لأن عبادة العجل كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر، وتقرر التوراة قصة العجل الذي عبده اليهود، فعبدوه بعد أن تأخر موسى عليه السلام في العودة إليهم.

وقد بقيت عبادة العجل تتجدد في حياة بني إسرائيل من حين إلى حين، فقد عمل يريعام بن سليمان عجلي ذهب؛ ليعبدهما أتباعه حتى لا يحتاجوا إلى الذهاب إلى الهيكل، وقد عبد أهاب ملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد.

ويروي العهد القديم كذلك أن موسى عليه السلام عمل حية من نحاس، وأن بني إسرائيل عبدها بعد ذلك، وكانت الأفعى تعد حيواناً مقدساً؛ لأنها -عندهم- تمثل الحكمة والدهاء والانسباب^(١).

عدم جواز ذكر اسم الإله

لأن موسى عليه السلام علم بني إسرائيل أن يتقوا ذكره توقيراً له، وأن يكتفوا بالإشارة إليه^(٢).

التجسيم والتشبيه

ترسم أسفار التوراة الخمسة صورة بشرية محضة للإله، فمن أوصاف يهوه فيها: أنه كان يسير أمام جماعة بني إسرائيل في عمود سحب.

(١) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٥١ - ١٥٢.

(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٥٢.

ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف،
وكذات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشرف بني إسرائيل..
ويهو لا يدعي أنه عالم، ويطلب من بني إسرائيل أن يرشدوه، ولذلك
فإنه يطلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباش المضحاة، بأن يجعلوا الدم
على القائمتين والعتبة العليا في البيوت^(١).

صفات أخرى لمعبودهم

والإله يهو يأمر بالسرقة، «تطلب كل امرأة منهم من جاريتها من نزيلة
بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب». ويهو إله قاس مدمر متعصب لشعبه، ويأمر
المحاربين: «لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق بهم».

تروي التوراة أن موسى عليه السلام راجع ربه، وقال له: أرجع عن حمو غضبك،
واندم على الشر بشعبك، ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك؟
فندم الرب على الشر الذي قال: إنه يفعل بشعبه^(٢).

ويروى أن بسبب جهود عزرا في إعادة بناء الهيكل، سمى اليهود عزرا:
ابن الله^(٣).

الأخرة والبعث

تهتم اليهودية المحرفة بالأعمال ولا تعني بالإيمان، ولما كانت اليهودية
دين أعمال لا دين إيمان، ولعلمهم أخذوا الفكرة عن الفرس، فهي لم يرد فيها
شيء عن البعث واليوم الآخر، وليس هناك اعتقاد بعد ذلك في بعث وجنة ونار.

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٥٦ - ١٥٩.

(٣) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٢٢.

واحلت الفرس دولتي اليهود، وسمح قورش ملك الفرس لليهود بالعودة إلى فلسطين وإعادة بناء معابدهم، وكانت هذه العلاقة الطيبة بين الفرس وبين اليهود داعية لأن يدرس اليهود الديانة الزرادشتية ديانة الفرس. ومن تعاليم هذه الديانة اقتبس اليهود الاعتقاد في حياة أخرى بعد الموت، ولأول مرة عرفوا أيضاً أن هناك جنة وناراً^(١).

التابوت والهيكل

وتذكر التوراة أن موسى عليه السلام نزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده، لوحان مكتوبان على جانبيهما، من هنا، ومن هنا كانا مكتوبين، واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين.

فبنى سليمان البيت، وأكمّله، وبنى حيطان البيت من الداخل، بأضلاع أرز من أرض البيت إلى حيطان السقف، وغشاه من داخل بخشب، وفرش أرض البيت بأخشاب سرو، وبنى عشرين ذراعاً من مؤخر البيت بأضلاع أرز من الأرض إلى الحيطان، وبنى داخله المحراب، أي قدس الأقداس.. وهياً محراباً في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب، وأقام تمثالين للمكين يحرسان قدس الأقداس.

ولأن موسى عليه السلام حرّم عليهم التصوير والنحت؛ حتى لا يحدّثوا أشياء تناظر ما خلقه الله.

ودخول الهيكل لم يكن مباحاً للجميع، وإنما كان مقصوراً على القسس، أما القدس الأقداس (المحراب) فلا يفتح إلا مرة في العام، ولا يدخله إلا كبار القسس.

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٧٢ - ١٧٣.

وأُعدَّ الهيكل مقر إلههم، وكان تجديد الهيكل وتجسيمه وزخرفته من دواعي استجابتهم لهذا المعبود الذي طالما نفروا منه، وأصبح الهيكل في الواقع رمزاً لكل ما كان يدور في خلداهم من معبودات، بعيداً عن الأحجار والأصنام، وهو مسكن الأرواح، وبه المذبح، حيث رأس العجل^(١).

الكهنة والقرايين

وليس الخلاف الذي حدث بين عيسى عليه السلام وكهنة الهيكل إلا حلقة من حلقات خلاقات مماثلة بين الأنبياء والكهنة.

ولم تكن القرايين مقبولة إلا إذا قدمت على يد أحد الكهنة، وكانوا معفوين من الضرائب، وتقدم لهم العشور من نتاج الضأن، ويأخذون ما يبقى في الهيكل من القرايين.

وقد قضى المجلس بإعدام عيسى، ولكنه احتاج إلى موافقة هذا الحاكم، فالكاهن الأعظم استمتع بسلطة عظيمة، ليس فقط في الأمور الدينية، ولكن في الأمور المادية أيضاً. وصار الكاهن الأعظم ملكاً متوجاً.

وكان الكاهن الأعظم يختار من أعظم فروع أسرة ليفي، أما القرايين فكانت الضحايا البشرية، وكانت تقدم مع القرايين الأخرى من الحيوان والثمار.

ثم اكتفت الآلهة بجزء من الإنسان، بدلاً من أن يُضْحَى بالإنسان كله، وكان هذا الجزء هو ما يقتطع في عملية الختان، وقد بقيت عملية الختان رمزاً للتضحية بالإنسان.

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٦١، ١٧٥-١٧٩.

وهكذا وضع كهنة اليهود أنفسهم بين الناس وبين الله، فلم تكن تقبل توبة ولا قرابين إلا إذا باركها الكاهن، فقد كان مفتاح السماء في يده^(١).

الشعب المختار والمسيح المنتظر

يُروى أن يهوه قطع وعدًا لإبراهيم بأن يفضل الشعب اليهودي جميع الأجناس. «وقلت لكم تراثون أنتم أرضهم، وأنا أعطيكُم إياها لتراثوها، أرضًا تقيض لبنًا وعسلًا. أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب»^(٢).

«وتكونون لي قديسين لأنني قدوس أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي»^(٣).

بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم.

وتم زواج بين الله وبين إسرائيل، وسجل عقد الزواج بينهما، وكانت السماوات والأرض شهودًا لهذا العقد.

ومن ذلك كان ممنوعًا على غير اليهود أن يقبلوا في الجماعة اليهودية، وأن يدينوا بالولاء لرب بني إسرائيل.

ونتج من طبيعة الاختيار عقيدة أخرى عند اليهود، هي عقيدة المسيح المنتظر، فإن اليهود وجدوا أنفسهم لا خيرة البشر، كما زعموا، ولا صفوة الخلق، كما أملوا، بل لم يجدوا أنفسهم في نفس المكانة التي ينعم بها الآخرون، وإنما كانوا هدفًا للبلايا والنكبات، ومن هنا اتجه مفكروهم في عصورهم

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٨١ - ١٨٥.

(٢) سفر اللاويين، ٢٤.

(٣) سفر اللاويين، ٢٦.

المتأخرة إلى مخلص ومنقذ ينتشلهم من هذه الوهدة، ويضعهم في المكانة التي أرادوها، وأطلقوا على هذا المخلص «المسيح المنتظر»، ووصفوه بأنه رسول السماء. وهو إنسان سماوي، ويبقى في السماء، حتى تحين ساعة إرساله.

وكلمة المسيح معناها الممسوح «بزيت البركة».

ويعتقدون أنه سيجيء ليعيد مجد إسرائيل، ويجمع أشتات اليهود بفلسطين، ويجعل أحكام التوراة نافذة المفعول، ولكنهم أطلقوا كلمة المسيح على من يعاقب أعداءهم، وإن لم يكن من نسل داود.

إن فكرة المسيح برزت في الفكر اليهودي في وقت متأخر، فهي لم تظهر إلا بعد سقوط دولتهم وأسرههم في بابل، ثم خضوعهم إلى الفرس.

وهذا دفع كثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ المخلص مستعارة من الزرادشتية، التي كان الفرس يدينون بها.

وإن كان هناك أدلة على وجود فكرة المسيح قبل الأسر البابلي، ويتجه بعض الباحثين إلى القول: إن فكرة المهدي المنتظر عند الشيعة مستعارة من فكرة المسيح المنتظر عند اليهود.

وبالغ اليهود في رسم الصورة التي أرادوها للمسيح، فالذئب يسالم الحمل، والعجل يداعب الأسد^(١).

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٦٢، ١٨٦-١٩٥.

بعض عقائد اليهود كما وردت في التلمود

التلمود أسمى من التوراة

يعدّ أكثر اليهود التلمود كتاباً منزلاً، ويضعونه في منزلة التوراة، بل يضعون هذه الروايات الشفوية في منزلة أسمى من التوراة، ولأن أقوال الحاخامات هي قول الله الحي، وأن الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء، وإذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب؛ لأن الذي يخالف شريعة موسى عليه السلام قد تغفر له خطيئته، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل.

البداء

ليست العصمة من صفات الله في رأي التلمود؛ لأنه غضب مرة على بني إسرائيل، فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم بعد ذلك بعد أن هدا غضبه، ولم ينفذ قسمه؛ لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة.

الحلول والتناسخ

أرواح اليهود جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه، ويقول التلمود بالتناسخ، وهو فكر تسرب لبابل من الهند، وأخذ حاخامات بابل من المجتمع البابلي.

منزلة اليهود أعلى من الملائكة

الإسرائيلي يعد عند الله أكثر من الملائكة، واليهودي جزء من الله.

جواز النفاق والسرقة والغش والكذب والربا مع غير اليهودي

يجيز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود، واليهود يُعدّون مالكين لكل ما في الأرض من ثراء بالنيابة عن الإله، فيجوز لهم أن يسرقوا مال غير اليهود، ويجيز التلمود استعمال الغش مع غير اليهودي في حال البيع أو الشراء، وأن يحلف له أيماناً كاذبة، ألا يرد الأشياء المفقودة، ويجيز التلمود كذلك استعمال الربا مع غير اليهود، بل جاء فيه «غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا».

أرواح غير اليهود

جاء في التلمود «محرم على اليهودي أن ينجي أحداً من الأميين من هلاك، أو يخرجهم من حفرة يقع فيها».

المرأة

إتيان زوجات الأجانب (غير اليهود) جائز، فلا يرتكب اليهودي محرماً إذا أتى امرأة مسيحية، بل لهم الحق كذلك في اغتصاب النساء غير المؤمنات أي غير اليهوديات.

يوم الففران

اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب لا تُعدّ يميناً، وبخاصة إذا كانت اليمين إجبارية، كأن تكون أمام المحاكم أو أمام خصم قوي. ويعين التلمود يوماً كل مدة يسمى يوم الففران العام، وفيه يحى كل ما ارتكبه اليهود من ذنوب، ومن ضمنها الأيمان الزور^(١).

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٤٤-٢٤٩.

الفرق في اليهودية

- ١ - الفريسيون: ومعناها المنزلون والمنشقون، ويعتقد الفريسيون في البعث وقيامه الأموات والملائكة والعالم الآخر، وهم يعتمدون التلمود، ولضمان تقديس اليهود للتلمود أعلن الفريسيون أن للحاخامات سلطة عليا، وأن أقوالهم صادرة عن الله، وأن مخافتهم هي مخافة الله.
- ٢ - الصدوقيون: وهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا، وينكرون كذلك التعاليم الشفوية (التلمود) وحتى التوراة، لا يرون أنها مقدسة قدسية مطلقة، وينكرون الخلود الفردي، كما ينكرون وجود الملائكة والشياطين، وينكرون كذلك المسيح المنتظر، ولا يترقبونه.
- ٣ - القراؤون: وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم كتابًا مقدسًا، من ثم لا يعترفون بالتلمود، وهم يقولون بالاجتهاد. ومن فرقهم أيضًا الكتبة والمعتصمون، وغيرهم^(١).

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ١٩٦-٢٠٢.

جذور الفكر اليهودي

يرى ول ديورانت: أن أساطير الجزيرة العربية كانت معيناً غزيراً لأسفار العهد القديم، فمن هذه الأساطير أخذت قصص الخلق والطوفان، والمرجح أن اليهود أخذوها من مصادر سامية سومرية قديمة^(١).

ويعتد الفكر المصري أيضاً مصدرًا رئيساً لأسفار العهد القديم، ومن مصادره كذلك الفكر البابلي الذي يروي كلاً من قصتي الخلق والطوفان في نصوص ترجع إلى زمن يسبق عودة اليهود إلى فلسطين، كما أن ترانيم التوبة البابلية قد اقتبست في بعض الأسفار. وكان البابليون يؤمنون بأن الإنسان تمرد على قسمة الموت، فبحث عن ثمرة البقاء في السماء، وخدعه إله ماكر عن بغيته، فتناوله بدلاً منها ثمرة تشبهها في ظاهرها، ولكنها ثمرة الفناء.

على أن أهم مصدر اعتمدت عليه أسفار العهد القديم هو تشريع حمورابي، الذي يرجع تاريخه إلى نحو ١٩٠٠ ق. م. وهناك شبه شديد بينه وبين القوانين اليهودية، ويذهب كثير من الباحثين إلى أن القوانين الإسرائيلية مأخوذة منه، ومن ذلك قانون المشابهة الذي يقول مثلاً: إن اليد التي تخطئ، أو تسرق تعاقب بالقطع، وأن السلعة بالسلعة، والسفينة بالسفينة، والثور بالثور، والضأن بالضأن...^(٢).

تحريف العهد القديم

تبرئة بني إسرائيل من العيوب وتلوين سواهم من الشعوب، فأحد ابني آدم كان ضالاً، والآخر كان مهتدياً ينحدر من بني إسرائيل^(٣). من الكتب المشمولة في العهد القديم «الجامعة»^(٤).

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٣٥.

(٢) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٣٦-٢٣٣.

(٣) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٣٨.

(٤) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٠٩.

بعض تشريعات اليهود

بعض تشريعات التوراة

- إذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعه، فإنه يقتل، بالحجارة يجرمونه دمه عليه.
- من مس ميتاً ميتة إنسان ما، يكون نجساً سبعة أيام، وإذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجساً سبعة أيام، وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصاة فإنه نجس.
- إذا نذر رجل نذراً للرب، أو أقسم قسمًا أن يلزم نفسه بلازم، فلا ينقض كلامه.
- على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر^(١).

بعض تشريعات التلمود

الاعتراف والتطهير:

الهبات والقرايين هي الوسيلة للتكفير عن الخطايا، على أن تقدم للكهنة بعد الاعتراف الكامل بما ارتكب الإنسان من إثم، ومما يفعله الكاهن أن يأخذ ماءً مقدساً في إناء خزف، ويتلو عليه ترانيم وأدعية.

الرق

يبيع الفقير نفسه للغني، أو يقدم المدين نفسه للدائن، حتى يوفى له الثمن، ويبقى عبداً له ست سنين، ثم يتحرر. وأباح التوراة للعبري أن يبيع نفسه، فتكون أمة للعبري الذي يشتريها. وقد نص العهد القديم على «حين

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٧١-٢٧٢.

تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح،
وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك».

الختان

كان الختان سنة شائعة عند المصريين الأقدمين، وكان عندهم للوقاية
الصحية من الأقدار التي تتعرض لها الأعضاء التناسلية، وكان يجري للذكر
والأنثى بصورة بسيطة.

الميراث

وهو للولد الذكر، وللذكر حظ اثنين من إخوته، وإذا لم يكن للميت
ولد ذكر فميراثه لابن ابنه، وإن لم يوجد، فينتقل إلى البنت، فأولادها.
ويرى آخرون أن يكون للولد سهمان وللبنات سهم، وعند اختلاف الدين يرث
اليهودي أقاربه غير اليهود، ولا يرث الأقارب غير اليهود اليهودي.
لا ترث المرأة زوجها، وثلثها لزوجها، ومنه إلى ورثته.

النكاح

من بلغ العشرين، ولم يتزوج فقد استحق اللعنة، وتعدد الزوجات جائز
شريعاً من دون حد، وحدد الربانيون الزوجات بأربع، وأطلقه القراؤون.
ولا يجيزون زواج اليهودي أو اليهودية من غير اليهود. ولا تجعل اليهودية
الرضاعة سبباً للتحريم.

والزواج في اليهودية صفقة شراء، تعد المرأة بها مملوكة تشتري من
أبيها، فيكون زوجها سيدها المطلق. والمرأة المتزوجة كالقاصر والصبي

والمجنسون لا يجوز لها البيع ولا الشراء وجميع مالها ملك لزوجها، ولا تغنى من الغزل، ولزوجها أن يرغمها عليه؛ لأن البطالة تقود إلى الفساد^(١).

بعض الواجبات الدينية

زيارة بيت المقدس

يتحتم على كل يهودي رشيد أن يزور بيت المقدس مرتين في العام.

الهلال الجديد

كان الذي يراه أولاً يسارع إلى بيت المقدس؛ ليخبر به الكهنة والرؤساء، وينفخ في الأبواق إعلاناً بالشهر الجديد، وتشعل النيران على جبال الزيتون، وعندما يراها سكان التلال البعيدة يشعلون هم أيضاً النيران على تلالهم.

السبت

لعل تسمية هذا اليوم، بل العادة نفسها قد جاءت من البابليين، فقد كان هؤلاء يطلقون على أيام الصوم وأيام الدعاء شبتو^(٢). وسنفصل في هذا البحث الأفكار اليهودية، وما ورد من أشباهها عند الشيعة في مصادرهم المعتمدة في المذهب.

(١) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٧١-٢٨٠.

(٢) أحمد شلبي: اليهودية، ص ٢٨٠-٢٨٢.

الديانة اليهودية الأولى كانت عربية

(رأي فاضل الربيعي)^(١)

الادعاء في كون اليهودية ديانة عربية الأصل أمر جدير بالتمحيص، والربيعي يعرض دليله الأول من الاصطلاح اللغوي والتاريخي: (قوم هود) الوارد في القرآن الكريم. وهم في الأحقاف (حضر موت) في اليمن، وهو موطن عاد وثمود.

كما يعضد هذا الرأي القول: إن (هود) هو نفسه ما يعرف باليهودية بـ (يهودا) السبط الأكبر في بني إسرائيل. وهذا يعني أن الإسرائيليين عرب يمانيون من نسل عاد وثمود.

كما ترى وجهة النظر هذه أن أول مملكة لبني إسرائيل كانت في شرق صنعاء، ثم زحفت اليهودية صوب نجران إلى أن اصطدمت بها المسيحية^(٢)، ويعرض هذا الرأي أن قبيلة حمير اليمنية كانت على دين اليهودية، كما تنقل روايات الإخباريين، وأن ملك اليمن تبان أسعد كرب قام بحملة في قبيلته التابعة لغزو مكة، ولكنه فشل، واعتنق النصرانية بدل الوثنية، ولكنه حينما عاد لموطنه في اليمن أبت عليه حمير إلا أن يترك النصرانية، ويعود إلى دين أجداده؟ ما هو؟ (يفترض اليهودية)^(٣).

وظهور اليهودية في الرأي السالف كان في ظل العقيدة الإبراهيمية والموسوية الداعية إلى التوحيد. وهذا ما يملأ انتشار اليهودية في اليمن منذ القدم، وخاصة بين قبيلة حمير.

(١) فاضل الربيعي، أديب ومفكر وسياسي عراقي.

(٢) الربيعي: المصدر السابق، ص ٦٧، عن كتاب فلسطين المتخيلة.

(٣) ابن هشام: السيرة.

ويفترض بعض الدارسين أن نجران هي الواردة في التوراة باسم رَّبَّة التي كانت على الوثنية، وهاجمها داود ملك يهود اليمن نحو سنة ٩٢٠ قبل الميلاد، وفي هذا العهد يفترض انتشار اليهودية في اليمن، وخاصة بين قبيلة حمير. ولكن اليهودية بدأت بالتراجع والانقسام منذ هجوم الآشوريين على الجبال اليهودية المعروفة بسرو حمير، وقد نحت التوراة باللائمة على بعض اليهود هؤلاء المتأثرين بالوثنية عبادتهم للنار، خاصة أولئك اليهود الذين في جبل هنوم^(١).

وقد حاول الملك الحميري ذونواس إعادة قوة الديانة اليهودية بوصفها ديانة أجداده، فأسقط دولة السبئيين، ثم قام بالهجوم على نجران موطن النصرانية العربية، وقام بحرقها، وحرق رجال الدين في أخذود أشار إليه القرآن الكريم. وتذكر المصادر أن الشاعر أعشى همدان قد زار نجران بعد الحرق، وقال قصيدة طمأن بها الرهبان، داعياً لهم أن يتجنبوا (الحرب مع صهيون).

يذكر فاضل الربيعي أن نجران كانت سابقاً تدعى (الربة)، وهي التي هاجمها داود منطلقاً من مدينة أوشليم اليمنية، التي تظهر تسميتها في شعر أعشى همدان بأورشليم^(٢).

ويرى الربيعي أن اليهودية اليمنية كانت هي الحاضرة في قتال الحملة المسيحية الحبشية، التي قادها أرياط سنة ٥٢٥م، يساعده في ذلك أبرهة الذي توجه بعدئذ لاحتلال مكة. وفي المعركة المذكورة انهزم ملك اليمن

(١) الربيعي: المصدر السابق، ص ٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠٢ و ص ٣٢٧.

اليهودي وذو نواس الحميري^(١). ولكن بعد أن تدخل الفرس، كما يرى الربيعي، وانتصروا لليمنيين اليهود ضد المسيحية البيزنطية.

تكشف الأساطير التي نقلها الإخباريون العرب عن صراع سياسي بين العرب اللخمين وبين العرب التتوخيين على ملك الحيرة. وتذكر الأخبار أن الفرس هم الذين ساعدوا عمرو بن عدي؛ للاستيلاء على عرش الحيرة وطرد جذيمة بن الأبرش صاحب (الأبراشية) النصرانية الموالية للدولة البيزنطية^(٢). ويرى فاضل الربيعي أن قبيلة لخم اليمنية كانت يهودية عند هجرتها من اليمن إلى الحيرة، ثم تحولت إلى النصرانية، بينما بقيت قبيلة أسد في هذه المدة على الوثنية وعبادة الكواكب (عبادة الفرقدان). أما التتوخيون المهاجرون من اليمن فهم الآخرون قد أسسوا دولة الفساسنة في الشام، واللخميون والتتوخيون أولاد عم، هاجروا بعد انهيار سد مأرب، كما تذكر الروايات^(٣).

إن الحيرة اشتهرت بنصرانياتها النسطورية الموالية للفرس عمومًا، بينما مذهب اليعاقبة المنتشر في حلب والموصل وديار ربيعة وحمص وحماة كان على النصرانية الموالية لبيزنطة.

ولعبت نصرانية نجران العربية في انتقال كثير من القبائل العربية إلى النصرانية، ذكر الإخباريون منهم قبيلة مذحج الذين كانوا سادات نجران، كما تنصر من ربيعة بنو تغلب، وتنصر من اليمن كثير من طيء وبهراء وسليح وتبوخ وغسان ولخم، ينقل كل ذلك فاضل الربيعي، ويضيف أن حمير كانت يهودية خالصة، كما كانت اليهودية في بني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، كما تؤكد ذلك مصادر الإخباريين العرب^(٤).

(١) المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(٢) الربيعي: المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٣) الربيعي: المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٤) الربيعي: المصدر السابق، ص ٢٩٢.

نقد رأي فاضل الربيعي السالف

١ - إن الرأي المتفق عليه بين الباحثين منذ القدم: أن اليهودية ديانة لبني إسرائيل، وهم من العبرانيين الساميين، والعرب شعب يختلف في نشأته عن الشعب اليهودي الإسرائيلي، كما هو معلوم على ما قدمنا من تفصيل. وأدلة الربيعي السالفة على كون اليهودية عربية الأصل أدلة غير مباشرة، أكثرها استنتاجية بتعسف، لا تقوى على نفي الأدلة المضادة والمعروفة تاريخياً.

٢ - اليهودية، كما قدمنا دين وعقيدة، وليست عنصراً لشعب بعينه من حيث الأصل، وإن كانت قد تأصلت لبني إسرائيل اليهود. وكون اليهودية ديانة انتشرت بين العرب لا يستدعي كونها ومنشأها، كما يذهب الربيعي إلى أنها ديانة عربية.

٣ - إذا قيل: إن ديانة العرب القدماء كانت عبادة الأوثان، فهذا صحيح على العموم، على الرغم من أن منهم النصاري واليهود... وهم قلة. فلا يمكن تعميم القلة على الكثرة، فاليهودية منذ القدم كانت ديانة استثنائية بين العرب عن عبادة الأوثان.

٤ - رأي الربيعي هذا سبقه إليه آخرون، ربما أنهم أصحاب أغراض سياسية، فقد طلت علينا منذ زمن بعض المؤلفات الأجنبية بالألمانية وغيرها، وتلقفها آخرون من العرب أمثال كمال الصليبي، ونشرها في كثير من مؤلفاته التي أشرت إلى بعضها في هذا البحث، والربيعي يحتاج إلى المزيد من البحث والتعمق في هذه القضية الشائكة.

٥ - إن الإخباريين العرب الذين يوردون أسماء العرب أو القبائل العربية التي اعتنقت اليهودية إنما يوردون ذلك على سبيل الاستثناء، ولو كانت

اليهودية عربية الأصل في منشئها لاختلف النقل، ولم يبلغنا عن أحد أنه ذكر مثلاً رجوع العربي الفلاني أو القبيلة الفلانية إلى ديانتها اليهودية القديمة مثلاً.

- ٦ - لو كانت اليهودية ديانة عربية الأصل لوجدت منذ القدم أن اليهودية تتبع العرب أينما حلوا في ديار العرب. والواقع يوضح أن اليهودية لم تكن يوماً ديناً عاماً وشاملاً للعرب في أقطارهم، إنما عرفت منذ القدم بأنها ديانة الشراذم والقلّة المنعزلة في أنحاء متفرقة، وبخلاف ذلك يصدق القول: إن الوثنية كانت الديانة العامة للعرب أينما وجدوا قديماً.
- ٧ - إن اليهودية بوصفها ديناً لا تمثل أي خطر على العرب أو المسلمين، وقد تعايشوا مع هذه الديانة مدة طويلة، وتحتصر بعض أفكار اليهودية بالخطورة إذا ما تبناها العرب أو تأثروا بها، كما هو الحال في أثرها على بعض فرق الشيعة. ولكن الخطورة السياسية خاصة تتمثل في الصهيونية بوصفها حركة عنصرية ذات أهداف مخالفة للعدالة والحق والأخلاق، بما نرومه من السيطرة على مقدرات العالم، بدءاً بالإعلام، وانتهاءً بالاقتصاد والمال. وقد اتخذت الصهيونية الديانة اليهودية مطية لها وسلماً للوصول إلى أهدافها، وفي هذه الحدود نقيم رأي الدكتور فاضل الربيعي ومن سبقه من الباحثين في مقولتهم السالفة. ومآل الصهيونية مرتبط بوجود القوى العظمى وتعضيدها، فإذا انحسرت تلك القوى فإن اليهود في فلسطين سيكونون أمام خيارين: البعض سيهاجر إلى مكان آخر، ومن يريد البقاء سيندمج، ويتعايش مع العرب المسلمين في هذه المنطقة.

موسى عليه السلام في رأي الصليبي^(١)

يرى الصليبي أن بني إسرائيل العبرانيين كانوا في (مصر) في بيشة، قام من بينهم قائد لهم اسمه موسى عليه السلام، أخرجهم من مصر، وتاه بهم في البراري مدة أربعين سنة، ثم ورد بهم أرض كنعان جنوب الحجاز. وهنا التقوا مع بني يعقوب الآراميين من بني يهوذا، فاتحدوا، وكونوا شعب إسرائيل، ويرى الصليبي أن هذا الخروج الوارد في التوراة حدث في حدود ١٤٤٠ قبل الميلاد، ولم يكن خروجاً من مصر إلى سيناء وفلسطين؛ لعدم وجود أي إشارة أو دليل تاريخي في رأيه يدل على ذلك. ويرى أن الهيكل بناه سليمان في أورشليم جوار بلدة النماص بعسير. ويرى أن سليمان تولى الملك نحو ٤٧٦ قبل الميلاد، وبعد الخروج، وبعد أربعين سنة خلفه ابنه رحبعام، ويرى الصليبي أن شخصية موسى عليه السلام اختلطت في التوراة بشخصية موسى عليه السلام آخر وهارون أخيه. كما أن هناك شخصية ثالثة تشير إليها التوراة، وكل من هذه الشخصيات مختلف عن الآخر زمنياً ومكاناً، وما ذلك إلا أن القبائل حينما اتحدت جعل كل منها يمجّد جده الأول البطل المنقذ للشعب، فيضفي عليه الصفات والوقائع المترسّخة في تاريخهم السحيق^(٢).

(١) كمال الصليبي (١٩٢٩-٢٠١١) أستاذ جامعي ومؤرخ لبناني.

(٢) كمال الصليبي: خفايا التوراة، ص ٢١٢.

نقد رأي كمال الصليبي السائف

- ١ - لا تتطابق خريطة التوراة (الفلسطينية) مع خريطة التوراة العسيرية المفترضة. وإن حصل بعض التطابق فإنما هو محض مصادفة.
- ٢ - يقوم الصليبي وغيره بتقريب اللفظ العبري إلى العربية بشكل قسري وبعيد عن التصديق، بل ربما مخالف للقواعد اللغوية في كلتا اللغتين.
- ٣ - يناقض الصليبي في طروحاته ما جاءت به الاكتشافات الآثارية، وأثبتته علماء التاريخ من أسماء وممالك وتواريخ في فلسطين.
- ٤ - هناك كثير من الحقائق التي تشير إليها وثائق الشرق القديم المكتشفة، التي كانت محط دراسة الباحثين خلال القرنين الماضيين، ولكن تلك الحقائق والموروثات لا يأخذ بها الصليبي، بل يوثق مجرد حدسه المبني على اقتراب المبني لاسم المكان أو تشابهه.
- ٥ - يضرب الصليبي نتائج البحث والدراسة التي قام بها علماء الآثار وكتاب التاريخ القديم عرض الحائط، ويوثق فقط المروية التوراتية برغم تناقضها مع تلك الأبحاث، ومن المعلوم أن التوراة أجزاء كتبت في قرون مختلفة.
- ٦ - أصبح الصليبي في مشكلة حينما نقل مسرح التوراة من فلسطين إلى شبه الجزيرة العربية، حيث نقل الكثير من الأماكن والأحداث الواردة من التوراة عن مصر والعراق، وحين لا يسعفه الحال في إيجاد مثل لها في جنوب شرق الجزيرة العربية^(١).
- ٧ - كثير من مقولات الصليبي ومن تأثر به كفاضل الربيعي تتناقض مع ما ورد في القرآن الكريم حول أنبياء الله: إبراهيم وموسى وعيسى ﷺ

(١) فراس السواح: الحدث التوراتي. ص ١٨ - ٢٢.

وكذلك ما ورد عن بعض الأقوام البائدة إضافة لتناقضها مع ما استقر في الفكر الإسلامي العربي حول تلك الأماكن.

٨ - إن مجرد تشابه أسماء الأماكن أو الأشخاص لا ينهض وحده كدليل تاريخي بالشكل الذي تبناه الدكتور كمال الصليبي، ذلك أنه من الثابت تاريخياً وخاصة في المنطقة العربية أن القبائل والأقوام حين نزوحها من مواطنها الأصلية تقوم بإعطاء التسميات الأصلية للأماكن الجديدة، وأقرب مثال على ذلك هجرة شمر من شمال الجزيرة إلى العراق لا تزال إلى الآن التسميات الجديدة في العراق تماثل ما عليه الحال في شمال الجزيرة، وهنا نسأل: أيهما أقدم تواجداً للناس في فلسطين والشام عمومًا أم في بلاد عسير؟ لماذا لا يكون الافتراض الأقرب للمنطق أن أقواماً من بلاد الشام نزحت قديماً إلى بلاد عسير، وقامت بتسمية بعض القرى والأماكن التسميات الأصلية نفسها في فلسطين؟ هذا خاصة أمامنا شاهد تاريخي متفق عليه أن قوماً من العبرانيين بقيادة إبراهيم نزحوا من الشام إلى الحجاز.

٩ - من الأمور المحققة عند أكثر الباحثين: أن اليهود الذين وصفوا بأنهم عرب هم على صنفين: يهود عبرانيين استوطنوا الشام وفلسطين وهاجر بعضهم إلى الحجاز. وصنف آخر يهود من أصل عربي، ومن قبائل عربية يمانية معروفة، ذكرها المؤرخون من كندة وحمير وغيرهما. فلو صحت نظرية الصليبي: أن اليهودية ديانة عربية يمانية الأصل لوجدنا جذور العقيدة اليهودية في اليمن، وليس في الشام، وهذا على خلاف الثابت تاريخياً، ذلك أن الفكر اليهودي تم تدوينه، ونبتت جذوره الأولى في الشام والعراق. ويهودية العرب في اليمن طارئة، وليست ذات جذور جنوبية، بل إن بعض المؤرخين يرى أن يهود الحجاز كانوا قبائل عربية

تهودت، بدليل أسماء اليهود هؤلاء، وأسماء قبائلهم أسماء عربية مثل رفاعة وكعب ووهب وزيد وبني النضير وبني عوف وبني ثعلبة^(١) اللهم إلا أن تكون جميع هذه القبائل جنوبية يمانية. وسياق الآيات القرآنية الواردة في حق اليهود أو بني إسرائيل إنما تقرن أخلاقهم وسيرتهم بأخلاق بني إسرائيل أيام موسى وعيسى عليه السلام، وكون أولئك أجداداً لهم، وقطعاً لم يكن بنو إسرائيل أيام موسى عليه السلام من العرب.

دين الحنيفية

يرى بعض الدارسين أن الحنيفية ديانة توحيدية مستندة إلى دين إبراهيم الخليل التوحيدي رافضة للوثنية وعبادة الأصنام، وتقترب من النصرانية في معتقدها الأصلي التوحيدي المبني على الخلق القويم والوفاء وسمو الروح. وربما كان المتحنفون العرب قبل الإسلام من هؤلاء مثل ورقة ابن نوفل وقس بن ساعدة الإيادي وأمّية بن أبي الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش^(٢).

ربما كان هؤلاء يمثلون الديانة النصرانية العربية القديمة قبل أن يدخل إلى المسيحية عوامل الفكر الفلسفي الرسولي البيزنطي الذي انتشر في الشام والعراق في ظل عوامل سياسية وصراع بين الفرس وبيزنطة.

(١) محمد سيد طنطاوي: إسرائيل في القرآن والسنة ص ٧٤. بنغازي ١٩٧٣م.
(٢) وزاد عليهم صاحب بلوغ المرام ج ٢ ص ٢٥٠ الأسماء الآتية: كعب بن لؤي بن غالب، وعامر بن الطرب العدواني، والرباب بن رثاب، وسويد بن عامر المصطلق، وأسعد بن كرب الحميري، ووکیع بن سلمة بن زهير الأيادي، وعمير بن جندب الجهني، وعدي بن زيد العبادي، وسيف ابن ذي يزن، وصرمة بن أبي أنس، والمتلمس بن أمية الكنانی، وعلاف بن شهاب التميمي، وعبد الطانجة بن ثعلب بن وبرة من قضاة، وزهير بن أبي سلمى، وخالد ابن سنان العبسي، وعبد الله القضاة، وعبيد بن الأبرص الأسدي.

والمتحنفون كانوا زهاداً متعبدين لهم قيمهم الدينية والفكرية، وربما كانوا مرحلة تمهيد لظهور الإسلام. فمن الأحناف القريبين لعصر الإسلام زيد بن عمرو بن نفيل.

معتقدات الحنيفية

إن الأسماء التي ذكرها الإخباريون من الحنفاء، كما يتضح مما سلف هم من قبائل عربية شتى شمالية وجنوبية، كما أن وجودهم كان في أزمان مختلفة، وربما متباعدة يحتاج معها الباحث إلى إيجاد رابطة أو تسلسل زمني مؤثر في مسيرة الحنيفية، ولكن على العموم يجمع هؤلاء معتقدات قد تتوافر كلها أو بعضها في بعضهم أو جميعهم، وأهم تلك المعتقدات:

- ١ - عدم قناعتهم بعبادة الأصنام والأوثان والاعتقاد بوجود إله واحد، ويؤمنون بالبعث والحساب والثواب.
- ٢ - وصفوا بأنهم (التائبون)، وهذا يعكس دعوتهم إلى التوبة من الشرك وسوء الأخلاق والرجوع إلى القيم الدينية القويمة السابقة.
- ٣ - يعارضون وأد البنات العادة التي كانت تمارس عند بعض القبائل العربية قبل الإسلام. كما يعارضون القتل وشرب الخمر ولعب الميسر والاستقسام بالأزلام وعدم أكل الميتة والمتردية والنطيحة.
- ٤ - اعتقادهم بالقضاء والقدر من الله الواحد سبحانه.
- ٥ - اعتقادهم بالروح عند الإنسان، وأن سموه الروحي هو مقصد الدين والحكمة.
- ٦ - يمارسون عادة الختان، ويحجون إلى مكة.

وبسبب هذه المعتقدات المختلفة التي حكيت عن الحنيفية ذهب كثير من الباحثين مذاهب شتى في إرجاعهم إلى إحدى الديانات السابقة، فكونهم موحدين للرب أرجعه البعض إلى تأثرهم باليهودية والنصرانية. ولاعتقادهم بالعالم الروحاني، قيل: إنهم متأثرون بديانة الصابئة المندائيين. والبعض غلب أن يكونوا قد تأثروا بالديانة الإبراهيمية القديمة التي تتبع عادة الختان وحج البيت العتيق الذي بناه إبراهيم الخليل عليه السلام. والقرآن الكريم وصف إبراهيم بأنه كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين. وقد وصف الإخباريون العرب بعض من كان على دين إبراهيم بصفات، منها: عادة الختان، حلق العانة، المضمضة والاستنشاق، وقص الشارب، وفرق شعر الرأس، والسواك للأسنان، والاستنجاء من النجاسة، وتقليم الأظفار، ونفق الإبط.

أهم من ذكر من الحنفاء

أمية بن أبي الصلت: من قبيلة ثقيف، مات في السنة الثامنة أو التاسعة من الهجرة. وهو شاعر، وعن طريق شعره عرف الأخباريون عقيدته في التوحيد، فقد قال:

يا رب لا تجعلني كافراً أبداً واجعل سريرة قلبي الدهر إيماناً
الحمد لله ممساناً ومصيحناً بالخير صبحناري ومساناً

وذكر عنه أنه كان مطلعاً على ما في الكتب الأولى، والتمس غير دين الأوثان وطمع بالنبوة، ولكنه لم يؤمن برسالة محمد ﷺ، وقيل: إنه مات كافراً بالإسلام.

ورقة بن نوفل

هو ابن عمه خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ، وكان مطلعاً على دين النصرانية، وبشر بدين التوحيد. وعند نزول الوحي لأول مرة على النبي محمد ﷺ وأصابه ما أصابه من الرعب، ذهبت به خديجة إلى ورقة، فوصف له ما جاءه، فأخبره بأن ذلك هو الناموس الذي نزل على موسى وعيسى ﷺ من قبل، وأخبره بأن قومه سينكرون ما جاء به وسيعادونه، ولكونه شيخاً كبيراً عند البعثة تمنى أن يمتد عمره لأجل نصرة الرسول ﷺ، ولكنه توفى قبل الهجرة. ومن شعره المروي في التوحيد قوله:

لا تعبدن إلهاً غير خالقكم

فإن دعوكم فقولوا بيننا حدُّ

سبحان ذي العرش سبحانه يعادله

رب البرية فرد واحد صمد

لا شيء مما ترى إلا بشأسته

يبقى الإله ويفنى المال والولد

زيد بن عمرو بن نفيل

قيل: إنه كان متحنثاً في غار حراء، هارباً من شباب مكة الذين آذوه بسبب دعوته في الكعبة لترك الأصنام. وقيل: إنه خرج من مكة يطلب الدين الصحيح دين إبراهيم، فبلغ الموصل والجزيرة في العراق، ولعله قابل القسس من نصارى العرب، فرجع إلى مكة ومات فيها قبل البعثة بخمس

سنين. ومن آرائه التي نقلها الإخباريون تحريمه الميتة والدم وما ذبح على النصب. وكان يدعي أنه الوحيد على دين إبراهيم، وينقل عنه قوله:

أربأ واحداً أم ألف رب
أدين إذا تقسمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعاً
كذلك يفعل الجلد الصبور

عثمان بن الحويرث

قيل: إنه أنكر على أهل مكة عبادتهم للأصنام، وكان يسعى أن يسوّدوه عليهم فأبوا ذلك وتركهم غاضباً إلى بلاد الروم، وهناك اعتنق المسيحية طلباً أن يسوّدوه الإمبراطور على مكة، لكن الفساسنة في الشام لم يقتنعوا به، واستسلموا لرأي أهل مكة فيه طمعاً بصلاتهم التجارية ألا تنقطع. قيل: إنه مات مسموماً بالشام على يد عمرو بن جفنة الفساني.

عبيد الله بن جحش

قيل: إنه كان على الحنيفية، فأسلم وهاجر إلى الحبشة مع زوجته حبيبة بنت أبي سفيان. وقيل: إنه تنصر بالحبشة وتوفي فيها، ولم يرجع إلى مكة.

قس بن ساعدة الأيادي

هو من قبيلة أياد، وقيل: إنه أول من تعبد من العرب، وكان يؤمن بالبعث. وتروى عنه القاعدة القانونية (البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر).

وقيل: إنه عمل أسقفاً نصرانياً في كنيسة نجران. وقيل: إنه كان من الحائرين في دينهم، واعتنق الركوسية من النصرانية، وقيل: بل أخذ عن الصابئة، وينقل عنه الإخباريون حكماً وأمثالاً وخطباً قالها في سوق عكاظ منها: (اسمعوا وعوا، وإذا دعيتم فانتقموا. إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت... ليل داج، وسماء ذات أبراج....). وقد مات قس قبل البيعة^(١).



(١) د. عبد الفتاح علي شحاته: تاريخ الأمة العربية. ج ٢ ص ١٠٠ - ١٠٦. القاهرة ١٩٦٢م.

الفصل الثاني

يهود يثرب وشمال الجزيرة العربية

إن الدراسات التاريخية لها أهمية كبيرة في دراسة عقائد الفرق وتطورها؛ ولهذا فمن المهم بمكان لأجل معرفة حقيقة تطور الفكر الشيعي الرجوع إلى الجذور الأولى لتاريخ المكان والزمان والرجال، الذين أنشؤوا تلك الأفكار والتعاليم، بما يتفق مع حاجتهم وظروفهم.

إن أسفار العهد القديم (التوراة) جمعت أول الأمر في بابل في العراق في أثناء ما يسمى السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد. وذلك بعد أن قام نبوخذ نصر ملك بابل بحرب اليهود وسيبهم وتهديم القدس وهيكلهم، فساح اليهود بعد ذلك في بابل والعراق، واشتغلوا في البداية عبيداً تحت أسيادهم، ثم لأسباب سياسية ضد الدولة الرومانية قام الفرس حكام العراق بعد ذلك بإعطاء اليهود الحرية وإقامة أماكن العبادة، واشتهرت مدن فارسية قديمة بتكوين جالية يهودية لها، أحبارها وممثلوها في البلاط الفارسي، واستخدم الفرس اليهود ضد الرومان عيوناً لهم، خاصة في مناطق النفوذ الشمالية^(١).

ولهذا، فقد اختلطت التعاليم الفارسية القديمة (المجوسية) (الزرادشتية والمزدكية) بالتعاليم اليهودية، التي جلبها اليهود من الشمال إلى بلاد العراق وفارس. فلما كتب أحبار اليهود العهد القديم اختلطت

(١) إيران في العصر الساساني: المصدر السابق.

التعاليم الفارسية القديمة بالتعاليم الموسوية، ولم تكن كتابة العهد القديم في وقت واحد، وإنما كتب على أقسام في أحقاب مختلفة، استكملت في القرن الثالث قبل الميلاد. ومن هنا فهم المؤرخون أن ما ورد فيها تعاليم محرقة، وفيها زيادات ونقصان عما كان في الأصل؛ ذلك أن بين كتابتها وعصر موسى عليه السلام سبعة قرون، وبينها وبين عهد إبراهيم عليه السلام ألف وثلاث مئة عام تقريباً.

إن دراسة الأفكار والتعاليم الفارسية القديمة، (وهي أقدم مما عند اليهود) ومقارنتها بالتعاليم اليهودية الواردة في العهد القديم وأقوال أحبار اليهود في بابل الواردة في التلمود (التلمود البابلي)، تظهر بوضوح استعارة أحبار اليهود كثيراً من الأفكار الفارسية، وإدخالها في تعاليمهم، والادعاء أنها من تعاليم موسى أو الأنبياء بعده عليه السلام.

وأكثر كتبة العهد القديم من النبوءات والآمال التي تمنىهم العودة إلى القدس وإقامة هيكل سليمان مرة أخرى وإقامة دولتهم.

كما أدخل كتبة العهد القديم تعاليم وأفكاراً كانت منتشرة في بيئتهم في العراق، أي من تعاليم السومرية والآشورية والآكدية، إضافة إلى ما كان في الأصل يروى لهم عن موسى عليه السلام وخروجه من مصر، وبعض تعاليم ذات الأصول الفرعونية، التي انتقلت مع من خرج مع موسى عليه السلام إلى سيناء، ثم إلى فلسطين، وعلى الرغم من دعوة موسى عليه السلام وإبراهيم قبله أمهما إلى توحيد الله وتزويجه عن الصفات البشرية، إلا أن اعتياد هذه الشعوب على العبادة الوثنية وعبادة الأشخاص والملوك والأنبياء تركت أثراً واضحاً في كتابة العهد القديم.

تسمى التوراة نبي الله إبراهيم بالعبراني الذي ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد منادياً بديانة التوحيد، وترك عبادة الأصنام وعبادة القمر السائدة في بلاد الرافدين، ومع إنكار قومه له سار مع من آمن معه، متجهاً نحو بلاد (الشام) طلباً للخصب والأمان. ومكث وقومه الآراميون غرباء بين الكنعانيين (في الخليل) ثم هاجروا إلى مصر؛ طلباً لعيش أفضل وهرباً من مخالفهم الكنعانيين، ولكنه أيضاً لم يستمر بمصر، حيث أخرجه ملكها فعاد وقومه إلى (الشام)، وولد لإبراهيم من زوجته سارة إسحاق. ومن زوجته وأمتة هاجر إسماعيل، حيث أودعها مكة حاملاً بابنها في أثناء مروره من الشام إلى مصر. وقد توفي إبراهيم في الخليل، وولد لابنه إسحاق يعقوب.

لعبت التوراة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بإسرائيل (عبد الله المنتصر)، وذلك كما تدعي التوراة أنه صارع الله ليلة، وانتهت بانتصار يعقوب، فحصل على هذا اللقب^(١).

ويذكر العهد القديم قصة يوسف بن يعقوب، وكيف حكم بنو إسرائيل مصر، ثم أخرجهم المصريون (الفراعنة) بعد (أربع مئة سنة تقريباً). فجمعوا ذهب مصر، وخرجوا به خفية بقيادة موسى عليه السلام فعبّر بهم البحر إلى سيناء وفيها تاه بنو إسرائيل، وبعد وفاة موسى عليه السلام، تفرق الإسرائيليون إلى أسباط، ودخلوا في حروب؛ لاغتصاب أرض كنعان (أرض فلسطين)، وظهرت تسمية اليهود في هذه المدة في حكم نبي الله سليمان عليه السلام ثاني ملوك اليهود ٩٦٠ - ٩٢٥ قبل الميلاد، حيث بنى الهيكل للعبادة إلى أن جاء الكلداني نبوخذ نصر من العراق، ودخل أورشليم، وسبى اليهود، وجاء

(١) سفر التكوين، الإصحاح ٣٢: ٢٥ - ٢٩. (تمالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

بهم إلى بابل عاصمته في العراق، وذلك في القرن السادس قبل الميلاد. وقد قام الآشوريون المرافيون قبل ذلك أيضاً بدخول مملكة يهودا (إسرائيل) شمالي فلسطين، ودمروا عاصمتها السامرة، وسبوا سكانها، وجاؤوا بهم إلى بلاد آشور في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد.

ومن هنا نفهم كيف أن الإسرائيليين واليهود فيما بعد تعرضوا إلى مختلف الهجرات والحروب، وجروا على أنفسهم المتاعب والآلام والضياع، وفي هذه الظروف كتب أحبارهم العهد القديم، الذي رشحت منه شخصيتهم وعقائدهم الأصلية والمقتبسة من الأمم، التي حلوا بها أو جاوروها، وادعوا أنها تعاليم من الله، جاء بها موسى عليه السلام، وموسى عليه السلام منها براء. ولكي يستطيعوا العيش مع مختلف الشعوب فإنهم اضطروا إلى العمل السري وإخفاء ما يبطنون وإظهار النفاق والملق؛ للحصول على مبتغاهم^(١).

(١) ثروت أنيس الأسيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، ص ١٢٨. صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، ص ٥ - ١٠٠، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١ م.

يهود يثرب

تظهر آثار الآشوريين ٩٠٠ قبل الميلاد وجود العرب ومشاركتهم في بعض حروب المنطقة، وكان يطلق عليهم البدو، ومن أوائل الإشارات للعرب في العهد القديم الإشارة إلى نبي الله أيوب عليه السلام، وهو عربي، وارتباط هجوم أهل سبأ على الملك أيوب عليه السلام (ربما قرب نجد)^(١)، وتذكر التوراة أن من بين من قدم الذهب لنبي الله سليمان عليه السلام ملوكاً من العرب^(٢). وقد أشار القرآن الكريم إلى بلقيس ملكة سبأ ومجيئها لسليمان عليه السلام.

إن الصلات التجارية تشير إلى انتقال التجار العرب من ممالكهم الصغيرة إلى الأمم الأخرى، ومنهم اليهود في فلسطين، وترد بلدان مثل بصرى وغزة وتيما.. بوصفها منطلقات للتجار العرب، وتجارتهم مع الشمال (الشام) والجنوب (اليمن). وتذكر التوراة العرب بين أقوام كانوا قد هاجموا القدس، ونهبوا ممتلكاتها، وسبوا نساءها^(٣).

ويشير سفر نحيميا إلى امتناع العرب من (جشم) عن المشاركة في بناء سور أورشليم^(٤).

وتبدو مملكة الأنباط شمال الجزيرة العربية (البتراء) قد هددت مملكة يهودا (١٦٠ قبل الميلاد) في مناسبات عدة. وكذلك فعل العرب

(١) سفر أيوب وجواد علي، العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٦٣١.

(٢) سفر الملوك الأول، الإصحاح، ١٠: ١٦.

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، ٢١: ١٧.

(٤) نحيميا، الإصحاح: ٦: ١٠ وما بعدها.

العمونيون (عمان - الأردن). وذكر من ملوك الأنباط الملك (الحارث). وهناك أثر ديني من الأنباط العرب على الديانة اليهودية. فآلهة الأنباط كانت (ذو الشرى)، (واللات) - الآلهة الأولى، إشارة إلى جبال النشابة، المسماة بهذا الاسم إلى اليوم، وأسماها التوراة (جبل سعيم)، حيث أشرق منها الإله يهوه حسب نص التوراة، وهو معبود اليهود. ومما نقل عن تبادل المصالح والتجارة بين العرب واليهود، ما حصل في تدمير في المملكة العربية في الشمال، حيث كان يقطنها كثير من اليهود الذين توافرت لهم الحرية الدينية في عهد الملكة العربية الزباء، التي يذكر أنها كانت متحالفة مع الرومان، ما أوغر صدور اليهود القاطنين في العراق، لتحالفهم مع الفرس ضد الرومان. وحتى هذه المدة لم يكن لليهود وجود في جزيرة العرب إنما كانوا حولها في العراق والشام خاصة، ولكن بعد القرن الخامس قبل الميلاد وبعد السبي البابلي المشار إليه بدأ اليهود دخول الجزيرة العربية والاستيطان في الحجاز شمالاً وفي اليمن جنوباً، وفي هذه الحقبة انتشرت التعاليم والديانة اليهودية، وأصبحت معروفة للعرب خاصة في حواضرهم إلى أن جاء الإسلام واستكمل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إخراج اليهود من جزيرة العرب، فانزاحوا إلى بلاد العراق واليمن والشام ومصر، حيث فضل بعضهم الرجوع إلى مواطنهم الأصلية، وسنقوم بتفصيل كل ذلك في موضعه.

إن في التاريخ أدلة كثيرة على اتصال العرب بالعبرانيين واليهود عموماً، منها الصلات الشمالية (الشام)، فقد ذكر أن نبي الأوس وهم عرب يتألفون من (ظفر) ومن عبد الأشهل ومن حارثة وقعت بينهم الحرب، فانضمت حارثة إلى الخزرج وتحالفت معها... وأما ظفر وبنو عبد الأشهل فقد اضطروا إلى ترك ديارهم (جنوب شرق فلسطين) والذهاب إلى مكة

والتحالف مع آخرين؛ لمساعدتهم ضد الخزرج، وقد كانوا يسكنون الحرار الشرقية، ثم أقل نجمهم، وقد كانوا على اتصال باليهود، وتحالفوا فيما بعد مع يهود خيبر، إحياء للصلات الشمالية القديمة.

وقد وردت إشارات في التوراة والتلمود إلى العرب تدل على البغضاء، سببها ما كان الأعراب يفعلونه في الإغارة على الحواضر التي كان يسكنها اليهود^(١).

ذكر ابن أبي الحديد أنه كان في العرب من كان يميل إلى اليهودية كالمتابعة وملوك اليمن، ومنهم نصارى كبنى تغلب والعباديين رهط عدي ابن زيد والنصارى نجران^(٢). وفي كتاب المغازي للواقدي ذكر أن عبداً من اليهود بمكة اسمه عبد الدار بن جبر دخل في ذمة الرسول ﷺ بعد أن سمع منه سورة يوسف، وقد أهانه مشركو مكة على ذلك، ولكن الرسول ﷺ أكرمه حين الفتح، وزوجه من بنات مكة. كما تشير بعض الأحداث إلى اتجار اليهود مع أهل مكة ومرورهم بها أو بالعكس ذهاب المكين إلى اليهود في خيبر؛ لشراء الذهب خاصة.

وتشير الروايات إلى أن جالية يهودية قدمت من بابل ومن الشام، واستوطنت يثرب وما حولها واشتغلت بالزراعة والصناعة (الذهب)، خاصة وأن العرب يعزفون عن هذه الحرف. ثم امتد سكنى اليهود في وادي القرى والطائف ومقنا وجربا، إضافة إلى فدك وخيبر ويثرب نفسها. ومن أشهر البطون اليهودية التي سكنت هنا بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع.

(١) جواد علي: العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٧٤ - ٢٨٩.

(٢) ابن أبي الحديد: نهج البلاغة، ج ١، ص ١٢٠.

وقد كتب الرسول ﷺ إلى جماعات من اليهود يدعوهم إلى الإسلام، منهم بنو جنية وبنو عاديا وبنو عريض^(١). وقيل: إن بعض القبائل العربية أو جزءاً منها قد تهودت قديماً، وحافظت على سماتها العربية. فبنو جشنة بن عكرمة وهم من قبيلة بلى قتلوا نفرًا من بني ربيعة، فهربوا إلى حصن يهودي بتيماء، فأبى اليهود حمايتهم إلا أن يدخلوا في دينهم^(٢) فدخلوا.

إن الاتصالات التجارية بين العرب واليهود القاطنين بقربهم لا تحتاج إثباتاً لكثرتها، فقد ذكر أن بني كلب الذين حملوا سلمان الفارسي باعوه إلى يهودي في وادي القرى، وهذا اليهودي باعه إلى ابن عم له من بني قريظة. وقد ذكر الإخباريون قبيلة عربية يهودية اسمها بنو زقورا. ويذكر بعض المؤرخين أن عرباً قد تهودوا (قبل الإسلام) منهم بعض ملوك (حدياب) ويقال: إن اليهود في هذه المناطق كانوا يودون دخول العرب إلى اليهودية على مقولة: إنهم أبناء أب واحد (إبراهيم)^(٣). أما المصادر التلمودية اليهودية فتذكر تهود بعض العرب من قبائل شتى ومناسبات مختلفة، إضافة إلى روايات الإخباريين، الذين ذكروا تهود حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة.

تظهر الوقائع التاريخية القديمة سوء العلاقة بين الدولة الرومانية التي حكمت الشام وفلسطين واليهود القاطنين، وكانت آخر حركة لليهود ضربها الرومان سنة ٧٠ م، حيث حرّموا من دخول القدس، فتشتتوا في البلاد، وجاء بعضهم إلى يثرب على رأي بعض المؤرخين وخيبر وتيماء،

(١) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص ٢٧٩.

(٢) جواد علي: العرب قبل الإسلام، ج٦، ص ٥٢٥.

(٣) جواد علي: العرب قبل الإسلام، ج٦، ص ٥١٤.

واشتغلوا بالزراعة وبعض الصناعات والذهب. وكان يهود يثرب في ثلاث مجموعات أو قبائل: بنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة. ويذكر المؤرخ اليعقوبي: إن قوماً من العرب دخلوا في دين اليهود، وفارقوا دين الأصنام وإن قوماً من الأوس والخزرج قد تهودوا؛ لمجاورتهم اليهود في خيبر. كما ذكر أن قوماً من غسان وخذام قد تهودوا أيضاً^(١).

ودخل اليهود في البيئة العربية، فلبسوا اللباس العربي، وتزوج العرب منهم كما أنهم تزوجوا من العرب أيضاً، ولهذا السبب فقد انتشرت تعاليم التوراة اليهودية بين أولئك العرب، فكانوا على معرفة بها^(٢).

وغسان وقبائل جنوبية من اليمن، كما ذكروا أن العربي (جبل بن جوال بن صفوان) من ثعلبة بن سعد بن ذبيان كان يهودياً فأسلم وعاش في بني قريظة. وهذا كله في قبائل شمالية (الحجاز وشماله). أما في الجنوب فيبدو الأمر أكثر وضوحاً وإن كان زمن دخول اليهودية إلى اليمن غير واضح. فيذكر ابن هشام أن ملك اليمن تبع أسعد أبا كرب ملك حمير اصطحب معه راجعاً يهوداً من يثرب.

وتشير رواية إلى أن ملك حمير تبان أسعد أبا كرب أول من اتخذ اليهودية ديناً. ويذكر ابن الكلبي أن همدان تركت عبادة صنمها يعوق وتهودت، كما فعلت حمير بصلتهم نسراً كذلك، وقد أيدت حفريات حديثة هذه المعلومات مشعرة أن اليهودية في اليمن انتشرت بشكل أقوى مما هو في الشمال، حيث اعتنق الملوك هذه الديانة، والناس على دين ملوكهم^(٣). كما

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج١، ص ٢٥٧.

(٢) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، ص ٢٤.

(٣) جواد علي: العرب قبل الإسلام، ج٦، ص ٥٤٦.

تشير المصادر اليهودية من خارج اليمن (العراق والشام) إلى زيارة بعض أحبار يهود اليمن إليهم وبالعكس. ويذكر بعض الدارسين أن تهود بعض ملوك اليمن كان سببه سياسياً، وذلك لدفع النفوذ الروماني النصراني عنهم، وهي السياسة المؤيدة من الفرس الذين كان لهم نفوذ في اليمن سابقاً على رغبة الرومان هذه. وعلى أي حال لم تكن اليهودية هي الديانة السائدة في اليمن، إنما كان بجانبها الديانة الوثنية أيضاً، إضافة إلى انتشار النصرانية فيما بعد عند البعض، كما أن الوثنية هي السائدة في بلاد العرب قبل الإسلام وإلى جانبها كثير ممن تهودوا أو تنصروا.

وقد حدث صراع في اليمن بين اليهودية والنصرانية، فحينما اعتنق الملك الحميري النصرانية (٣٥٤م) بدأت هذه الديانة تتسع جنوب الجزيرة العربية خاصة في نجران وقطر وحضر موت وظفار على حساب الوثنية واليهودية معاً. ولكن فيما بعد هال الوضع الملك الحميري ذا نواس وهو على اليهودية، فسار بجيشه إلى نجران وعمل فيها مذبحة كبيرة لكل من تنصر ونصب أخذوداً أحرق فيه خصومه الجدد، وقد أشار القرآن الكريم إلى أصحاب الأخدود كما هو معروف. وقد انتقم النصارى على يد الأحباش (أبرهة) من الحميريين، وأسقطوا مملكتهم، كما حاولوا إخضاع العرب الوثنيين في حملتهم على مكة (حادثة الفيل). ولكن فيما بعد تمكن اليمانيون بقيادة سيف بن ذي يزن وبمساعدة من الدولة الفارسية من طرد النفوذ النصراني وجيشه من اليمن، فكانت اليمن تحت النفوذ الفارسي حتى حررها الإسلام.

ولما غلبت الأوس والخزرج على يثرب دخلوا في حروب مع اليهود، ومنها (يوم بعاث)، (يوم سُمير)، وكله لأسباب اقتصادية، لم يجد اليهود بعدها

إلا مهادنة الأوس والخزرج ومحاولة استعمال الخديعة والحيلة؛ ليأمنوا غوائلهم، خاصة أن اليهود كانوا عوامل الإنتاج الزراعي والحرفي (السلاح) في المنطقة، والعرب في حاجة إليهم وإلى الافتراض منهم بالنسيئة. فكان يهود يثرب وما حولها لا يختلفون عن عادات العرب عامة، حيث تأثروا بالعرب لغة وتعاملاً عدا الاختلاف الديني. وذكر لليهود شعراء كثيرون منهم السموئل بن عاديا صاحب حصن (الأبلق) بتيماء، وهو جد صفية بنت حيي بن أخطب اليهودية لأمها، التي تزوجها الرسول ﷺ.

ويتفق العرب واليهود على عادة الختان التي يقال: إن اليهود اكتسبوها من مصر قبل الخروج، فأضفوا عليها مسحة دينية.

اليهود ورسالة الإسلام،

ولما صدع رسول الله ﷺ برسالته أنكرتها قريش، فأرسلوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يسألون اليهود ييثرب عن محمد ﷺ ودعوته، وبدل أن يؤيد اليهود دعوة التوحيد المطابقة لما عندهم ناصروا الوثنية وقريشاً؛ حفاظاً على مصالحهم، في حين مال الأوس والخزرج إلى دعوة الرسول ﷺ، حيث كانت (بيعة العقبة) مع رهط من الخزرج (١٢ رجلاً)، فقد كانوا للإسلام وتعاليمه أقرب من وثنية قريش؛ وذلك لمعرفةهم. وتبعت هذه بالبيعة الثانية من ٧٣ رجلاً وثلاث نساء من الخزرج أيضاً على ما هو مبسوط في السيرة النبوية، يضاف إلى ذلك أن الأوس والخزرج من قبائل الأزد، التي خرجت من اليمن على رأي بعض المؤرخين، حيث كانوا أقرب لعقيدة التوحيد مما كانوا على علم به من يهود اليمن منذ القديم.

تأثير الأفكار اليهودية على مجتمع الأوس والخزرج

إن أهم جذور قديمة كانت مؤثرة في العقل الباطن لمجتمع الأوس والخزرج هي الأفكار اليهودية، التي حملوها معهم من اليمن عند استقرارهم في يثرب ونزولهم على يهود يثرب، الذين فيما يبدو لم يعارضوهم، ويهود يثرب من أصول عربية يمنية، وقسم آخر من أصول فلسطينية جاؤوا بعد السبي البابلي للقدس.

وكان من أثر جوار الأوس والخزرج لليهود أن تعاقدا معهم، وتحالفوا مدة طويلة إلى أن شعر اليهود بخطورة هذا الجوار عليهم، فتمرد اليهود على هذا الحلف؛ أملاً في الخلاص منه، وكان الكاهنان بنو قريظة وبنو النضير، شوكة اليهود في يثرب. وبعد أن ساد مالك بن العجلان بالأوس والخزرج طلب المدد من الفساسنة في الشام، حيث قام جيشهم بضرب يهود وتأديبهم على نقضهم العهد، وعندها علا شأن الأوس والخزرج، وطلب اليهود التحالف معهم، بعضهم تحالف مع الأوس والآخرين مع الخزرج عدا بني قريظة وبني النضير ظناً منهم أن حصونهم مانعة لهم.

ولكن برغم كل ذلك فهذا الجوار الطويل بين الفريقين أنتج علاقات فكرية واقتصادية، بل حتى بالنسب.

يدل على ذلك الأحداث والنتائج الآتية:

- ١- بعض من بني قيلة (الأنصار) كانوا قد تهودوا نتيجة أن المرأة من بني قيلة كانت إذا لم يأتها ولد أو لم يعيش لها الولد تنذر إن ولدت أن تهود؛ كي يعيش لها؛ ظناً أنهم أهل كتاب يتسبب دينهم في حياة الولد بخلاف أهل الأوثان. وقد نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه.

فلما أجليت بنو النضير، وكان فيهم بعض أبناء الأنصار قال بعضهم: لاندع أبناءنا^(١)، والمشكلة أن هؤلاء الأبناء قد تشربت فيهم العقيدة اليهودية، فحاول أهلهم إجبارهم على الدخول في الإسلام، فأبى أكثرهم، فنزلت الآية الكريمة في حقهم، كما يقول بعض المفسرين: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢) (البقرة: ٢٥٦)، كما تشير المصادر إلى أن الأنصار كانوا يستضيفون أولادهم كاليهود، فنشأ كثير منهم بين اليهود، وتهودوا نتيجة ذلك إلى أن حدثت تلك المفارقة التاريخية بين الفريقين، وانحاز أبناء أنصار اليهود إلى أهلهم، وسمح المسلمون لهم في البقاء حينها على يهوديتهم، وتذكر المصادر أن هؤلاء الأبناء لم يكونوا قلة، بل كانوا كثرة مؤثرة فيما بعد، في المجتمع الإسلامي وتطور الأحداث في القرن الأول خاصة.

وتشير صحيفة العهد الذي جرى بين المسلمين ويهود المدينة إلى تقسيم اليهود حسب موالاتهم لفرع الأوس والخزرج: يهود بني عوف، يهود بني ساعدة، يهود بني الأوس، وهذا يدل على شدة تلاصق اليهود بهذه الفروع من الأنصار.

كان بنو قينقاع من يهود يثرب حلفاء للخزرج خاصة، حلفاء لعبادة ابن الصامت، وعبد الله بن أبي بن سلول، أما بنو النضير وبنو قريظة فقد كانوا حلفاء للأوس، وقد سأل عبادة بن الصامت رسول الله ﷺ أن يستظهر بخمس مئة من اليهود حلفاءه على العدو، فأبى رسول الله ﷺ ونزلت الآية: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ (آل عمران: ٢٨)^(٣).

(١) السيوطي: أسباب النزول، ص ٣٤.

(٢) الواحدي: أسباب النزول ص ٥٣. القاهرة ١٩٦٨م.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة، ج ٢، ص ٢٥٩.

أما عبادة بن الصامت فقد نبذ حلفه مع يهود، حينما اعتدوا على امرأة من الأنصار، وأما عبد الله بن أبي بن سلول فقد احتج على رسول الله ﷺ قائلاً للرسول ﷺ: (هو الله لا أرسلك حتى تحسن في موالي وعترتي، وأنا امرؤ أخشى الدوائر)، ولهذا كان رأس المنافقين في المدينة.

أما بنو النضير فقد تأمروا على رسول الله ﷺ وهو جالس تحت جدار لهم، فانتدبوا عمرو بن جحاش بن كعب؛ ليلقي عليه حجراً، ولكن الله سلمه، فنبذ عهدهم (حلفاء الخزرج). وأجبروا على الرحيل من يثرب، برغم معارضة عبد الله بن أبي بن سلول ووديعه بن مالك بن أبي قوقل وسويد وداعس^(١).

أما بنو قريظة من اليهود فقد تحالفوا مع مشركي قريش، وأغروهم بقتال المسلمين، فجاءت الجموع في غزوة الخندق لحصار المدينة، وكان الأمر شديداً على المسلمين، يصفه القرآن الكريم: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (الأحزاب: ١٠)، وكان هذا الأمر من سعي حيي بن أخطب وكعب بن أسد القرظي، وتجمعت الأحزاب من قبائل مجاورة، ولكن المسلمين بادروا بحفر الخندق بمشورة من الصحابي سلمان الفارسي، ثم جاءت ريح صرشتت الأحزاب، وخذلهم أقرب الناس إليهم، فارتحلوا عن المدينة، وتركوا بني قريظة يواجهون مصير فعلتهم ونقضهم العهد^(٢). فعمد المسلمون إلى حصارهم، وأرسل الرسول ﷺ إليهم أبا لبابة، حيث تقول المصادر: إن (ماله وولده وعياله كانت في بني قريظة)، ولعل هذا الأنصاري كان يسترضع اليهود أولاده كما قدمنا، فدفعته أواصر المال والعيال إلى إخبارهم بأن الرسول ﷺ

(١) ابن هشام: السيرة، ج٢، ص ١١٨.

(٢) البخاري. صحيح. باب غزوة الخندق.

سيفزوهم، وقد ندم على إفشاء سر رسول الله ﷺ، حيث ذكرت المصادر أنه قال: (فو الله ما زالت قدمائي من مكانهما، حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه)^(١).

لقد كان الأوس حلفاء لبني قريظة .. واستعمل الرسول ﷺ عليهم عبد الله بن سلام (من اليهود الذين دخلوا الإسلام) فتواثب الأنصار، وقالوا: يا رسول الله، حلفاؤنا وموالينا، يطلبون الشفاعة لهم، كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي في تشفعه لبني قينقاع. ولكن سعد بن معاذ اقترح قتل رجالهم وسبي نسائهم؛ ومصادرة أموالهم؛ جزاء تأمرهم مع المشركين والأحزاب^(٢). وهو ما استقر فعله.

ويبدو مما سلف أن تأثر مجتمع الأنصار باليهود كان بالغاً، ليس فقط إرضاع اليهود لأولادهم كما سلف، بل تأثرهم بعادات اليهود في طريقة مجامعة النساء وطريقة الهيئة والملبس إلى درجة دفعت الرسول ﷺ أن ينهى في مواضع عدة عن التشبه باليهود، وطالب ﷺ بمخالفتهم، حتى في حف الشوارب، وإعفاء اللحي، ويبدو من شدة اختلاط الأنصار، وتأثرهم باليهود، فقد شاع فيما يبدو أن يعبر المهاجر ويدعو الأنصاري أيضاً بالقول: يا يهودي. فمن حديث مرسل عن داود بن الحصين عن أبي سفيان: من قال لرجل من الأنصار: يا يهودي، فاضربوه عشرين. وقد أمر الرسول ﷺ بالتعجيل بصلاة المغرب قبل اشتباك النجوم؛ كي لا يحاكي فعل اليهود في وقت

(١) ابن هشام: السيرة، ج٢، ص ١٦٠. تذكر الروايات أن أبا نائلة بن ملكان بن سلامة بن وقش كان أخاً لكعب بن الأشرف من الرضاعة. انظر ذلك عند ابن عبد البر في قصة مقتل كعب ابن الأشرف.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص ١٧٤٠.

صلاتهم، كما وردت الأخبار أن الأنصار من الأوس والخزرج كانوا يجالسون اليهود، ويتحدثون معهم عن مسائل من العقيدة كالقضاء والقدر^(١).

وهناك الكثير من العرب أمهاتهم يهوديات، فهم عند اليهود يهود أصلاً، فالقاعدة أن اليهودي هو من خرج من رحم يهودية مهما كان أصل والده، فهذا كعب بن الأشرف اليهودي تشير المصادر إلى أنه عربي الأصل من نبهان من طيء^(٢).

إن هذا الموضوع مهم جداً يحتاج من الباحثين إلى مزيد من البحث والتتبع؛ لخطورة نتائج تلك الصلات والوشائج بين بني قيلة ويهود مع الحذر بعدم نسيان فضل الأنصار على نصرة المسلمين والمهاجرين إليهم، فلا يؤخذ المجموع بذنب الأفراد الخارجين عنهم.

لقد كان لليهود في يثرب (مدارس) يدرسون فيه العلوم الدينية، وكانوا يناقشون الرسول ﷺ وأصحابه بمقولاتهم التي كانوا يتداولونها، والتي ذكر القرآن الكريم طرفاً منها، وقد وصف القرآن منهم علماء: «أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ» (الشعراء: ١٩٧)، أما أسماء أولئك العلماء من اليهود فتذكر لنا الروايات جملة منهم: عمرو بن جحاش، وكعب بن الأشرف، وفنحاص، والربيع بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع، وسلام بن ربيع، وحبي بن أخطب، وأخواه ياسر وجدي، والزيبر بن بطا، وشاس بن قيس، ووهب بن يهودا، ومالك بن الصيف، ورافع بن حريمة، ورافع بن حارثة، وأرز بن أبي أرز، ولبيد بن أعصم، وكنانة ابن صوريا، والحجاج بن عمرو، وكردم بن قيس، ومحمود بن سيحان، وغيرهم

(١) موسوعة السنة (مجمع البحوث بمصر)، ج٤، ص ١٨٥١، ج١ ص ٢٤٥، ج٢، ص ٢١٢.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص ١٤٦٢.

كثير من اليهود العرب من قبائل عربية شتى، أرجو أن يسلب الضوء والبحث على أثرهم على المسلمين بتتبع مقالاتهم، فقد كانوا هؤلاء يجادلون الرسول ﷺ وأصحابه، ويدافعون عن عقيدة اليهود^(١). وبلغ من أثرهم على المسلمين أن امرأة يهودية ذكرت الأخبار أنها كانت ترقى عائشة رضي الله عنها بالتوراة والإنجيل ويعلم من والدها أبي بكر ﷺ^(٢). وينقل لنا خبر آخر أن أبا بكر ﷺ كان يدخل إلى مدراس اليهود، ويسمع منهم بعض علومهم، وقد تجادل أبو بكر مع راهب منهم اسمه فتحاص أدى الجدل إلى خصام رفع للرسول ﷺ من قبل شكوى فتحاص، فأنزل الله تأييداً لرأي أبي بكر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (آل عمران: ١٨١)^(٣).

والخليفة عمر ﷺ عمد إلى نسخ بعض الكتب من اليهود في رقعة، فلما رآها الرسول ﷺ غضب، ونبه على ترك ما عند أهل الكتاب والاكتفاء بما في القرآن الكريم. وعن أبي الدرداء ووائلته بن الأسقع وأنس بن مالك، قالوا: كنا في مجلس يهود، ونحن نتذاكر القدر، فخرج إلينا رسول الله ﷺ مفضباً، وانتهر وقطب، ثم قال: (اتقوا الله يا أمة محمد.....)^(٤).

إن حديث الإفك المشهور على السيدة عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها تولى اليهود والمنافقون نشره، وكان على رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول إلى درجة أن النبي ﷺ قال في خطبته: (.... من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي)^(٥).

(١) ابن هشام: السيرة، ج٢، (عداوة اليهود).

(٢) صحيح البخاري: شرح عمدة القارئ، ج٢، ص ٢٦٦.

(٣) ابن هشام: السيرة، ج٢، ص ١٧٧.

(٤) السيوطي: الجامع الكبير، ج٤، ص ٢٩٦٨.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، حديث الإفك، ابن هشام: السيرة ج٤، ص ١١.

٤- الخلافات القبلية وجذورها

عملت الخلافات القبلية في التاريخ العربي والإسلامي دوراً كبيراً في تشتيت الأمة وانقسامها وضعفها في جمع الأدوار التاريخية التي مررنا بها، ولا تزال هذه الجذور مؤثرة إلى يومنا هذا، ومن المفيد للباحث تتبع الجذور الأولى التي انبعت منها الخلاف والشقاق ومعرفة أسبابه. إن ظاهرة اختلاف الشعوب والأجناس ظاهرة طبيعية لا مفر منها، وقد وجه القرآن الكريم أن يكون هذا الاختلاف مثمراً للتعاون والبناء لا الهدم والقتال:

﴿خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾ (الحجرات: ١٣).

بعض من القبائل العربية التي قيل، إنها اعتنقت اليهودية

حيثما يتحدث الإخباريون العرب عن ديانة العرب في الجاهلية يذكرون أن أكثر القبائل قبل الإسلام كانت ديانتها وثنية، ويذكرون صنم كل قبيلة. وقد أفرد ابن الكلبي في كتابه الأصنام تفصيلاً عن صنم أو وثن كل قبيلة وعن مكانة عبادته وطريقتها. ولكن بعضهم ذكر أن بعضاً أو قلة من أفراد بعض القبائل العربية من اعتنق الديانة اليهودية، وهم:

١- بعض من بني الديان، وذكر القلقشندي في كتابه نهاية الأرب نسبهم العربي، فقال: إنهم بطن من بني الحارث بن كعب بن الحارث^(١). ويعد الشاعر السموءل ابن عادي اليهودي من بني الديان عند بعض الإخباريين.

٢- بعض من حمير.

٣- بعض من كنانة.

٤- بعض من كندة.

٥- بعض من قضاة.

٦- ويرى بعض المستشرقين أن السموءل شخصية منتحلة عن صموئيل المذكور في التوراة. وقيل: إن أمه كانت يهودية، أما أبوه فكان من غسان^(٢)، وللسموءل ابن اسمه شريح أدرك الإسلام، ويذكر أن السموءل هذا هو جد زوج النبي ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب، وأم صفية رضي الله عنها اسمها برة بنت السموءل بن عادي.

(١) القلقشندي: نهاية الأرب، ج١، ص.

ياقوت الحموي: المعجم، ج١، ص.

(٢) جواد علي: الفصل في تاريخ العرب، ج١٢، ص ١٥٥.

٧- ويرى بعض الإخباريين العرب أن اليهودية كانت أيضًا في بعض قبائل الأنصار من الأوس وبني نضير وبعض غسان وبعض جذام، وورد عن بعض المفسرين لآية البقرة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، أنها نزلت في قوم من الأنصار كانوا قبل الإسلام يرسلون أولادهم لمرضعات ومربيات يهوديات، فلما جاء الإسلام وكبر هؤلاء الصغار أراد أهلهم إجبارهم على اعتناق الإسلام وترك اليهودية، التي شبوا عليها عند مرضعاتهم، فنزلت الآية المذكورة.

٨- ويرى بعض المؤرخين أن اليهود الذين وصفوا بأنهم عرب هم على صنفين، صنف أصله عبراني شمالي هاجر من الشام إلى الحجاز (بنو قريظة وبنو قينقاع وبنو النضير). وصنف أصله عربي يمانى كأمثال ما ذكر عن بني الحارث بن كعب ويهود كندة وحمير، فهؤلاء عرب تهودوا. ٩- إن أثر أهل الكتاب واليهود خاصة في المجتمع العربي استمر حتى بعد الإسلام، خاصة في مناطق وجود أهل الكتاب: كاليمن والعراق والشام، بدليل ما ذكرناه عنهم في هذا الكتاب.

فلما قدم المسلمون إلى يثرب مهاجرين كتب الرسول ﷺ وثيقة موادة بين المهاجرين والأنصار واليهود ضد قريش، ولكن اليهود ناصبوا المسلمين العداء، وأنكروا نبوة محمد ﷺ، وحكى القرآن جميع نفاقهم، وما يضمرون ضد المسلمين، ومحاولتهم الفتنة بين الأوس والخزرج؛ لإضعاف الدعوة المحمدية، ودخلوا في جدال المسلمين حول صحة عقائدهم، وما ورد في كتبهم.

تشير وثيقة الموادة فيما يخص اليهود إلى مبدأ الدفاع عن المدينة، كما تشير إلى مبدأ حرية اليهود في البقاء على دينهم، لكنهم استمروا في التشكيك في الوحي، وأدركوا أنهم لم يعودوا وحدهم أصحاب العلم، فدخلوا

في جدال مع المسلمين. ذكر ابن إسحاق: أن عبد الله بن سوريا الأعور الفطيووني (يهودي) قال للرسول ﷺ: إن الهدى ما نحن عليه، فاتبنا. وجادلوا المسلمين حول القبلة ﴿مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ إِلَهٌ كَأُولَٰئِكَ﴾ (البقرة: ١١٢). كما جادلوهم عن النسخ وتحريم بعض الأطعمة، وذكر من جملة المجادلين اليهود أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع، وأزار ابن أبي أزار، وأشيع، ومن علماء اليهود الذين جادلوا الرسول ﷺ كعب بن أسد، وابن صلويا وعبد الله بن سوريا، وشاس بن قيس، وأخيرًا اندفع اليهود إلى التحالف مع المنافقين من أهل المدينة وعلى رأسهم (عبد الله بن أبي بن سلول)، وقد انتهى الأمر باليهود إلى التحالف مع المشركين ضد المسلمين، وفي هذا نقض لوثيقة المودعة، فنبتذ الرسول ﷺ وثيقة التحالف، وبدأ بإخراج بني قينقاع من المدينة بعد غزوهم، فتوزعوا في الشام والعراق^(١). ثم قتل المسلمون كعب ابن الأشرف (أمه يهودية من بني النضير وأبوه من طيئ)، وذلك بسبب هجائه الرسول ﷺ، قتله محمد بن مسلمة، ثم غزا المسلمون بني النضير (داخل المدينة) لإرجافهم وتحالفهم مع المشركين يوم أحد، فأخرجوا من المدينة إلى خيبر، وكان من قاداتهم سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، ومن الجدير بالذكر أنه قد دخل في الإسلام من بني النضير رجلان، وهما يامين بن عمر وأبو سعد ابن وهب، حيث بقيّا في المدينة. وقد كان الرسول ﷺ يستعمل كتبة يهودًا بالسريانية والعبرية؛ لتبليغ دعوته، فلما أجلي اليهود أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم تلك اللغات.

(١) صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام، الجزء الثاني، ص ٩-٣٩، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

وفي غزوة الخندق أحاطت قريش بالمدينة ومعها أحزابها ضد المسلمين، فتنقض بنو قريظة العهد مع المسلمين، فاشتد خوف المسلمين وهؤلاء بين ظهرانيهم، ولكن إرادة الله قد أفشلت تجمع الأحزاب، وقد حضر المسلمون خندقاً حول المدينة بنصيحة من سلمان الفارسي رضي الله عنه، فبعد تشتت الأحزاب ورجوعهم عن المدينة غزا المسلمون بني قريظة، وقد نصحهم زعيمهم كعب ابن أسد بالدخول في الإسلام، إلا أنهم أبوا ذلك عدا القليل منهم دخلوا في الإسلام، ذكر منهم رفاعة بن سموعل وثعلبة وأسيد ابنا سعية، وأسد بن عبيد عمهم، وعمر بن سعدى، وبهذا أخليت المدينة من اليهود وصودرت أسلحتهم وبقي يهود في خيبر خارج المدينة، وكان منهم من اشترك يوم الأحزاب في حصار المدينة أو حرض عليه، فعمد المسلمون إلى قتل رؤوسهم، منهم أبو رافع سلام بن أبي الحقيق وأسير بن زارم.

وبعد أن تم للمسلمين صلح الحديبية مع قريش غزا المسلمون خيبر، وكان اليهود قد طلبوا النجدة من بعض القبائل العربية، فهبت غطفان لنجدتهم بزعامة عيينة بن حصن الفزاري، وقبيلة أسد بزعامة طليحة بن خويلد الأسدي، وقد امتنعت بنو مرة بزعامة الحارث بن عوف من الاستجابة، وقد أرسل المسلمون من أخذ يخذل هذه القبائل على نصرة اليهود، وقد كانت حصون خيبر كثيرة، منها الصغير ومنها الكبير، فحاصرها المسلمون وعرضوا عليهم الإسلام قبل خروجهم، وقد وقع بأيدي المسلمين صحائف من التوراة، فأمر الرسول ﷺ بإعادتها إليهم، وفي حصن ناعم قتل محمد ابن مسلمة سلام بن مشكم، وقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الحارث بن زينب، وتذكر المصادر أن اليهود نزلوا للصلح مع المسلمين مقابل غلاتهم، على أن يخرجوا من خيبر متى أراد المسلمون ذلك، وتبع ذلك سقوط حصون

فدك ووادي القرى وتيماء كما هو الحال بخيبر، وجرّد جميع اليهود من أسلحتهم^(١).

ومما لا شك فيه أن هذه الأحداث تركت آثاراً لأدوار سرية قام بها اليهود ضد المسلمين.

اليهود في عهد الخلفاء الراشدين،

بقي عدد كبير من اليهود في الجزيرة العربية، حتى في المدينة وخيبر وفدك ووادي القرى وتيماء وجربا وأيلة ونجران واليمن، إضافة إلى من ذهب منهم إلى الشام والعراق، ولكنهم يبدون جماعات صغيرة مشتتة، ولكنها بقيت حاقدة على المسلمين، وأنهم وإن لم يشتركوا في حرب الردة، لكنهم ناصروا بعض المرتدين، فتذكر بعض المصادر: أن من بين الأسرى المرتدين كانت امرأة يهودية. وقد ذكر أن جماعة من اليهود ناصروا طليحة الأسدي ادعى النبوة بعد وفاة الرسول ﷺ.

بقي اليهود في عهد أبي بكر الصديق ﷺ على عهودهم السابقة، وأضاف أبو بكر ﷺ عهده إلى يهود ونصارى نجران. ويبدو أن المسلمين كانوا يستعملون أهل الذمة ومنهم اليهود كتبة لمعرفة أخبارهم بالكتابة، فلما فتحت العراق والشام ومصر، واستكملت تلك الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب ﷺ أحس بكثرة استعمال أهل الكتاب، وخشي على المسلمين أن يؤثروا من هذا الجانب، فبدأ بتطهير جزيرة العرب منهم؛ تنفيذاً لما أوصى به رسول الله ﷺ كما يذكر، فأجلى عمر ﷺ يهود خيبر وقسمها بين المسلمين، وكان معهم أربعة أقسام هم:

(١) المصدر السابق: ص ٣٩.

فروة بن عمرو البياضي، وحباب بن صخر السلمي، وأبو الهيثم بن التيهان، وزيد بن ثابت، فباع اليهود متاعهم وحملوا معهم ما يريدون إلى سوريا وأريحا، ويقال: إن عمر دفع إلى يهود فدك نصف القيمة، وأبقى عمر رضي الله عنه يهود تيماء ووادي القرى.

ودخل نصارى نجران ومعهم بعض اليهود في الإسلام، فاستبقوا بمكانهم إلا أنهم كما ذكر ارتدوا بعد ذلك. مع أنه قد كتب لهم أماناً لمن بقي على دينه، ويبدو أن الفتح الإسلامي قد شجع أهل الكتاب في الجزيرة العربية على الخروج إلى البلاد المفتوحة، ليبتعدوا عن مركز الخلافة، ويتواروا مع جموع أهل الشام والعراق ومصر، حيث إن هؤلاء أكثر تقبلاً لهم لما سبق من سكنى اليهود والنصارى لهذه البلاد واستيطانهم بها وتقبل أهل تلك البلاد لهم ولعقائدهم، وهذا يفسر كيف انتقلت الأفكار اليهودية بسهولة إلى كثير من الفرق الإسلامية، كما سنوضح ذلك.

وقد منع عمر رضي الله عنه دخول أي سبي إلى المدينة إن كان بالغاً خاصة، وقد كثر السبي بأيدي المسلمين واتخذوهم خدماً وعمالاً، فكتب له المغيرة ابن شعبة أمير الكوفة يستأذنه إرسال غلام ذي صنعة جيدة، فأذن له، وكان اسمه أبا لؤلؤة وكان فارسياً، فلما دخل المدينة شكاً لعمر رضي الله عنه شدة الخراج المضروب عليه من الوالي، فلم يجبه عمر رضي الله عنه لاقتناعه بعدالة ما ضرب عليه، لكن الغلام حقد على عمر وهجم عليه وهو يصلي فجراً وطمعنه ثم انتحر، وتذكر الروايات أن الذي شجعه على هذه الفعلية وأمه بالخنجر الهرمزان (الفارسي) وجفينة النصراني (من الحيرة)، وهما بالمدينة منذ زمن، ويقال: إن كعب الأحبار وقد كان يهودياً من اليمن، فأسلم في عهد

عمر عليه السلام سبق أن تنبأ لعمر بمقتله، وادعى بوجود ذلك وصفته في التوراة، ولكعب هذا دور كبير في إدخال الإسرائيليات قصص وخرافات، تلقفها منه المفسرون على أنها من علم أهل الكتاب، وهذا يدل ربما على علم كعب بما كان مبيتاً لعمر عليه السلام إن صحت الرواية، وليس من المستبعد على اليهود وهم أهل دسائس وحيل اشتراكهم في مقتل عمر، حتى تهيأت الإداة الفارسية المباشرة بقتله، فاليهود كانوا أكثر حقدًا وضمينة على عمر عليه السلام من أي من الخلفاء الراشدين.

ولعبد الله بن سبأ والسبئية دور في مقتل الخليفة عثمان بن عفان، ودور اليهود والفرس في مسلسل التآمر ضد المسلمين وخلفائهم واضح، فبرغم دخول ابن سبأ اليهودي اليمني في الإسلام لكن لم يحسن إسلامه، فتظاهر بالتقرب إلى الخليفة علي بن أبي طالب، واندس بين مريديه إلى أن وثق منه الخليفة «حتى أجلسه تحت درجة منبره» كما تقول الروايات، وذكرنا كيف كان هناك دور السبئية في إشعال حرب الجمل بين المسلمين.

وإن من نتائج أعمال ابن سبأ وآرائه التي بثها بين المسلمين مقتل الإمام علي نفسه، فلم يكن ابن سبأ محباً لعلي عليه السلام وآله، فأفكاره التي بثها بالرجعة (علي عليه السلام لم يمت بل سيرجع) والوصاية أن الرسول عليه السلام أوصى لعلي عليه السلام بعده، وهو أول من قال بالوقف على ما ذكر النوبختي في كتابه فرق الشيعة، والقول: إن علياً «يجيء بالسحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه» هي نصوص منقولة عن اليهودية في حق الههم.

إن اليهود الذين دخلوا الإسلام خاصة كابن سبأ وكعب الأحبار وغيرهم أدخلوا كثيراً مما يسمى بالإسرائيليات في الفكر العربي والإسلامي، لقد

كان الإسرائيليون يقدسون زيت الزيتون بوصفه شجرة مباركة في موطنهم، فكانوا حينما ينصبون عليهم ملكاً يقومون بمسحه بالزيت علامة على البركة، واتخذت عبارة المسيح الملك المخلص أو المحرر شعبه من الظلم والاستبعاد، وشاع في كتبهم التنبؤات بظهور مخلص لهم، كما أكثروا من التنبؤات المتعلقة بما يصيب الملوك والأشخاص ووقوع الحوادث والكوارث، حتى التنبؤ بمصير العالم كله، وأكثر هذه التنبؤات وردت في كتاب دانيال الذي كتب في وقت متأخر (القرن الأول الهجري)، وكان لما ورد فيه أثر على المسلمين من نقولهم منه على اعتبار احتوائه على علوم الكتب القديمة، ويشبهه ما ذكر عن كتاب الجفر المنسوب عند الشيعة إلى الإمام علي عليه السلام، أو ينسبه بعضهم للإمام الصادق.

وقد ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى كعب الأحبار عن التحدث بالإسرائيليات، وإلا نفاه إلى أرض القردة، كما تقول الرواية (إشارة إلى اليمن بكثرة القردة في جبالها).

والذي يقرأ تفسير القمي هو تفسير شيعي سبقت الإشارة إليه يجده يحمل التفسيرات الباطنية والإسرائيليات والتنبؤات، التي تعزى إلى علوم الأئمة ومصدرها الأصلي تلك الإسرائيليات، التي قال بها اليهود والنصارى، وربما أمم أخرى.

إن ذكر بعض أسماء الأنبياء وقصصهم في القرآن الكريم دفع بعضاً من الشخصيات الإسلامية التي كانت على معرفة بديانة أهل الكتاب، سواء من اليهود ككعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام إلى إعطاء تفاصيل أكثر لهذه القصص وأماكنها وأشخاصها، معتمدين على علومهم

من التوراة والتلمود، وحتى أولئك الذين ولدوا لأبوين مسلمين اعتمدوا علوم أهل الكتاب ورواياتهم مثل محمد بن إسحاق صاحب السيرة، الذي كان يسمى أهل الكتاب بأهل العلم الأول.

ومحمد بن السائب الكلبي وابنه أبو المنذر هشام وغيرهم نقلوا الإسرائيليات التي امتلأت بها كتب التفسير والسير والتاريخ. وقد ذكر أن اليهودي أبا يعقوب وكان يهودياً من تدمر كان يزور ابن الكلبي وغيره من الإخباريين، ويزودهم بأخبار أهل الكتاب.

وذكر الطبري في تفسيره: أن أناساً من اليهود كانوا قد كتبوا كتباً من عندهم يبيعونها إلى العرب، ويدعون لهم أنها من عند الله؛ ليأخذوا ثمنًا قليلاً^(١).

وشخصية أخرى لها أهمية في إدخال الإسرائيليات وادعاء علم الأقدمين هو وهب بن منبه، وكان يهودياً من أصل فارسي، فوالده من هراة بخراسان، ثم انتقل إلى اليمن بأمر من الملك كسرى أنوشروان، وربما كان قد أسند إليه أمراً مهماً في أثناء حكم الفرس لليمن. وقد نشأ وهب بن منبه في اليمن، وأسلم على عهد رسول الله ﷺ، وولي القضاء في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وتوفي سنة ١١٤ هـ. ومن البلايا التي نقلها وهب إلى الفكر الإسلامي مبكراً القول بالقدر، حتى ذكر أنه قد رجع عنه، وجر الحديث بالقدر إلى الجبر، وهكذا إلى فروع الكلام المعروفة، التي شغلت المسلمين وكان مصدرها في الأصل علم أهل الكتاب وخاصة اليهود. والمتتبع لكتب التفسير يقرأ العجب لما نسب لكعب الأحبار أو وهب بن منبه من أساطير وخزعبلات وأسماء (مثل أسماء أهل الكهف واسم كلبهم الذي قال لهم: ناموا سأحرسكم) تقبلها مع الأسف كثير من المفسرين دون إنكار.

(١) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٢٦.

تذكر بعض الروايات أن الجعد بن درهم أخذ القول بخلق القرآن عن أبان بن سمان، وهذا أخذ القول عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم اليهودي الذي كان يقول بخلق التوراة. كما ذكر أيضًا أن والد بشر المريسي الذي ينسب إليه أيضًا القول بخلق القرآن عند المعتزلة كان يهوديًا.

تذكر مصادر الشيعة القديمة أن الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه هو من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويذكر ابن هشام في السيرة أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كان من أهل مدينة أصفهان الفارسية، وكان يوقد النار في بيت أبيه للعبادة.... ثم تنصر سلمان رضي الله عنه ورحل إلى الشام حيث مركز النصرانية في ذلك اليوم، ثم تنقل بين كنائس الشام إلى أن جاء أرض العرب، فاسترقه من سافر إلى أرض العرب، وباعه لليهودي من المدينة، وقد فاتته موقعة بدر وأحد وهو في الرق، حتى كاتبه سيده، وتخلص من العبودية ^(١).

لقد ادعى بعض رجال الشيعة الذين تأثروا بتعاليم التوراة أن اسم علي رضي الله عنه جاء ذكره في التوراة والإنجيل والزبور، و... قد سمي عند اليهود (إليا) وعند النصارى (إيلياء) ... وجاء وصفه في التوراة بالأصلع المصفر، وقالوا: إن محمد بن علي مذكور في التوراة بالباقر ^(٢).

إن كتب اليهود والنصارى القديمة كانت مملوءة بالتنبؤات، ومنها التنبؤ بالغيبيات، وقد وردت مثل تلك التنبؤات على لسان بعض العرب المسلمين، الذين استقوا تلك التنبؤات من أهل الكتاب، أمثال وهب بن منبه وكعب الأحبار وتميم بن أوس الداري. ومثل تلك التنبؤات ما ذكر عن شيوع

(١) ابن هشام: السيرة، ج١، ص ٢٢٨ - ٢٣٦.

(٢) الصدوق بن بابويه، علل الشرائع، ج١، ص ١٣٦. الطبرسي، احتجاج ج١، ص ٢٠٨، ابن بابويه، التوحيد، ص ١٨٠.

الهرج والفتن آخر الزمان، وما أحيط بخروج الدجال من تنبؤات وقصص. وقد نقل في بعض السنن أن رجلاً يهودياً من أهل المدينة اسمه صاف بن الصائد، قال عنه الرسول ﷺ: «إنه هو الدجال». وكان يقاتل مع المسلمين. وذكر أن أحد اليهود أخبر الخليفة عمر رضي الله عنه بأن الدجال سيخرج من قبيلة بنيامين (يهودية)، وأن العرب سيقتلونه على باب لد^(١).

ونخلص من هذا البحث أن الشيعة ليسوا وحدهم قد وقعوا تحت تأثير الفكر اليهودي، بل إن الكثير من الفرق الإسلامية لم تسلم من ذلك.

لقد قام الكثير من رواة الشيعة بالدور نفسه الذي قام به وهب بن منبه وغيره في إدخال معتقدات وأساطير في الفكر الشيعي، أصلها من تلك المذكورة عند أهل الكتاب، ونسبت مع الأسف إلى أئمة الشيعة كذباً وزوراً، وتلقفها أهل الحديث ودونوها دون تمحيص ودراية، ويكشف التشابه بين الأفكار الزرادشتية والمزدكية الفارسية، إضافة إلى المعتقدات القديمة في العراق إلى قيام رواة الشيعة بنقل هذه الأفكار إلى الفكر الشيعي خاصة منه الفكر المغالي.

أثر اليهودية والنصرانية على الفكر الشيعي:

إن جميع الفرق الإسلامية قد تعرضت لتأثيرات من عناصر أجنبية مختلفة في مراحل تطورها التاريخي، وتختلف هذه المؤثرات في قلتها أو شدتها، فبعضها يصل إلى حد الاقتباس المباشر والواضح، الذي لا يحتاج

(١) فان فلوتن: السيادة العربية، ص ١١٩. ويمكن مراجعة ما صح عن ابن الصائد في كتاب الفتن من صحيح مسلم.

معه إلى برهان، وبعضها يكون بشكل غير مباشر، بحيث تدخل على الفكرة بعض التحويلات والتعديلات المناسبة للمقام ولأصل العقيدة؛ لكي لا تناقضها، فيكون الاقتباس مرفوضاً، فينتهي في مهده ولا يبلغ أثره.

إن الفكر الشيعي قد تعرض لمؤثرات خارجية، خاصة بعد القرن الأول الهجري، حينما دخل في التشيع رجال غير عرب ذوو جذور من أمم مختلفة حملوا معهم داخل التشيع تراث أممهم وعقائدهم القديمة.

ولما كان التشيع قد نبت في العراق وخاصة في الكوفة والمدائن، وحمله بعد القرن الأول أقوام غالبيتهم من الموالي الفرس، فقد دخل على التشيع عناصر من تراث وثقافات الأمم القديمة في تلك المنطقة التي كانت موطن الحضارة الآشورية والبابلية والآكادية والسومرية والمندائية (الصابئة). ثم بعد ذلك دخلت عليها مؤثرات من ديانات سماوية كاليهودية والنصرانية، ولما كان الموالي الفرس قد تشبعوا بدياناتهم الفارسية القديمة من زرادشتية ومزدكية، فإن الباحث يجب عليه معرفة هذه الديانات جميعاً وتطورها ومؤثرات بعضها على بعض، ثم دراسة رجال الشيعة الأوائل الذين شاركوا في بناء العقائد والأفكار الشيعية المدونة في كتب الشيعة القديمة؛ لإرجاعها إلى عناصرها الأصلية ودراسة التطورات والتعديلات التي أجراها أولئك الرجال على تلك الأفكار؛ لتلائم حاجاتهم ومنطقهم تمكناً من رصدها في دراستنا هذه. ولما كان هذا البحث مختصاً بالتأثير اليهودي على التشيع وحيث إن اليهودية بين العرب ليست فقط في يثرب التي سبق دراستها بل في اليمن والعراق فيحسن بنا إلقاء الضوء على هذه المناطق وكيف أثرت على الفكر الشيعي من هذا الباب.



الفصل الثالث

اليهودية في اليمن

نظرة تاريخية

لم يرد إلينا إلا القليل عن القبائل العربية البائدة كعاد وثمود، حاول بعض دارسي اللغة السامية خاصة تحليل النقوش التي عثر عليها علماء الآثار^(١).

إن طبيعة اليمن الجغرافية من جبال ووديان جعلت منها قديماً مجتمعات قبلية منعزلة، ثم تكونت في هذه المجتمعات ممالك صغيرة، أظهرت النقوش المكتشفة وجود مملكة داهس ومهامر وامر وذلك قبل القرن الرابع الميلادي، ولكن بمجيء الملك كرب أيل وتر السبئي سنة ٤١٠ ق. م أنهى هذه الممالك الصغيرة باليمن، وقام بتوحيدها في ظل دولة سبئية واحدة تضم قبائل يمنية عدة. وديانة هذه الممالك قديماً كانت عبادة الشمس والقمر ونجمة الصباح (عشتر)، وبالنسبة لأصنام هذه القبائل يذكر (ود) و(المقة) خاصة أن نسابة اليهود يسمون جنوب الجزيرة العربية (رعمة)، وقد ذكرت في التوراة كتابة لكوش، ومن أولاد كوش عندهم شبا (سبا)، وفي سفر حزقيال من التوراة يذكر تجار من سبا ورعمة يتاجرون ببضائع مع أهل الصور^(٢).

(١) محمود محمد الروسان: القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة.

انظر العصور: المجلد الثالث، ج١، ص ١٤١، ١٩٨٨م.

(٢) د. منذر البكر: دراسة في تاريخ اليمن، المورخ العربي، العدد ٤٠، ١٩٨٩م.

وذكر الإله (ذو سموي)، أي إله السماء يعبد عندهم في مملكة أمر أو أمير، ويوجد له معبد في مدينة (حنان)، وربما كان هذا المعبد يطلق عليه اسم (بقرم) (ذو سموي بعل بقرم)، وقد أعيد بناء هذا المعبد بعد سقوط معين وغزو مملكة أمير من سبأ^(١).

إن اليهودية في اليمن كانت منتشرة ومعروفة قبل النصرانية.

يرى بعض الباحثين أن اليهودية أصلاً ظهرت في اليمن، وليس في فلسطين أو الشام، وقد بسطنا هذا الرأي عند استعراض رأي كمال الصليبي.

ويرى بعضهم أن اليهودية دخلت إلى اليمن مع الراجعين مع الملكة بلقيس بعد زيارتها إلى الملك سليمان في فلسطين، وقد حكى القرآن الكريم مقابلة الملك سليمان لبلقيس كما هو معروف، وفي التوراة فسر الملوك تفصيلاً أكثر لهذه المقابلة، وهذا يقدر في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد. وفي رأي آخر أن اليهودية دخلت اليمن بعد خراب هيكل سليمان سنة ٥٨٦ ق.م. وهو ما يسمى بخراب الهيكل الأول، وقيل بل بعد خراب الهيكل الثاني سنة ٧٠ ق.م. حيث تشتت اليهود في الأرض ومنهم من جاء إلى اليمن، وكل هذا مجرد اجتهاد، ولكن من الثابت والواضح وجود طوائف يهودية في اليمن منذ القرن الثالث الميلادي وانتشارها بين العديد من القبائل^(٢).

ويذكر بعض مؤرخي التوراة اليهود أن العبرانيين بعدما هاجروا من أور في العراق إلى أرض كنعان (فلسطين) طلبوا من يهود اليمن الهجرة إلى فلسطين؛ للمشاركة في بناء الهيكل الذي هدمه الإمبراطور الروماني تيتوس سنة ٦٣ ق.م.

(١) د. منذر البكر: المصدر السابق.

(٢) د. كاميليا أبو جيل: يهود اليمن. ص ١٦-١٧. دمشق ١٩٩٩م.

وذكروا أن هذا ما يشير إليه سفر التكوين (٢١ و ٢٤ و ٢٦ و ١ و ٦) ، ولكن يهود اليمن رفضوا الاستجابة لنداء هذه الهجرة ، فحلّت عليهم لعنات الحاخامات ، وسجل هذا اللعن فيما يسمى بدعاء الغضب^(١) . ويبدو أنه منذ مطلع القرن الثالث الميلادي وحتى ظهور الإسلام تمتع اليهود في اليمن بحرية التجارة وصلاتهم مع الشام ، مما عزز نفوذ اليهود اليمنيين بين القبائل ومستويات مختلفة ، ولكن فيما يبدو كان يهود حمير أكثر نفوذاً من غيرهم^(٢) . وبسبب هذا الامتداد انتشرت اليهودية في جنوب اليمن بعد سقوط الدولة الحميرية ، ولكن فيما يبدو أن اليهودية في اليمن عاشت أزهى عصورها في الدولة الحميرية ، حيث أصبحت اليهودية في كثير من الأوقات دين الدولة الرسمي^(٣) .

وهذا يعني أن اليهودية صارت ديناً لكثير من عرب اليمن ، وأن هؤلاء كانوا على علم بهذه العقيدة ، فلما دخلوا الإسلام حق لنا أن نتساءل ما هو أثر عقيدة هؤلاء على الاتجاهات السياسية والفكرية التي حصلت خاصة إبّان الردة ، ثم في القرنين الأول والثاني .

إن وجود اليهود في اليمن مرتبط منذ القدم بنمو التجارة ، وكون اليمن تقع وسطاً بين الهند وفارس من جهة والشام والعراق ومصر من جهة أخرى ، وما في هذه المناطق من مراكز بحرية ومدنية . ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد قام نبي الله سليمان ببناء أسطول تجاري في البحر الأحمر كان مقره في عصيون جابر^(٤) ، وبعد قضاء الرومان على نفوذ الفينقيين والبطالمة في البحر الأحمر .

(١) عباس علي الشامي: يهود اليمن ، ص ٣٤ ، ١ ، ١٩٨٨ م . سلسلة كتاب المسيرة اليمنية .

(٢) عباس الشامي: المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٣) محمد علي الهواري: يهود اليمن ، ص ٧٠ ، جامعة الملك سعود .

(٤) د . حسن الباشا: المشكلة اليهودية من عهد سبأ إلى صدر الإسلام ، المجلة العدد ٩ سبتمبر

كما أضعف الرومان نفوذ السبئيين في اليمن بعد غزوهم سنة ٢٤ ق.م حاول الرومان أيضاً التخلص من نفوذ اليهود، فبدؤوا بتخريب أورشليم ومعابدها سنة ٧٠ م، وأرغموا اليهود على الشتات، فرحل منهم الكثير إلى اليمن، وحاولوا تأسيس دولة يهودية في سبأ بداية القرن السادس الميلادي.

واتصلت تجارتهم ونفوذهم بالجاليات اليهودية في يثرب ونجران، ولكن الرومان شجعوا المسيحية على الانتشار في دولة سبأ منذ سنة ٣٠٠ م، وحدث الصدام اليهودي المسيحي في نجران، وقد ناصر ملك الحبشة المسيحي الديانة المسيحية وانتشارها في اليمن عندما غزا دولة سبأ سنة ٣٤٥ م. فبنيت كنيسة في ظفار وفي عدن ومسقط ومضيق هرمز، لكن هذا النفوذ لم يستمر، فقد كانت مملكة سبأ تحت نفوذ التبابعة منذ سنة ٣٧٨ م.

وقد استعاد الملك تبع حضرموت وريدان ويمانات من نفوذ المحتلين الأحباش: وهذا سبب رئيس في ميل كثير من ملوك تبع السبئيين إلى اليهودية نكاية بالأحباش المحتلين. فمن هؤلاء الملوك: (كرب يهامن) و (شرحبيل بكف). وقد عزز كل ذلك نفوذ اليهود في دولة سبأ مما شجعهم على التفكير في إقامة دولة يهودية في اليمن (أوائل القرن السادس الميلادي)، فعلاً قام (يوسف اليهودي) الذي سمي فيما بعد بـ ذي نواس سنة ٥٢٢ م، فاغتصب عرش سبأ وضيق على المسيحية، فانتشرت اليهودية في عهده، وتحالف مع الفرس ضد الرومان مما دفع ملك الحبشة أصبح مهاجمة ظفار وهزيمة ذي نواس وهروبه إلى الجبال، ولكن ذا نواس بعد أن رجع الحبشي إلى بلاده عمد إلى مهاجمة ظفار، وخرب كنيستها، وتخلص من مقاومة النفوذ المسيحي في جنوب اليمن، ثم عمد إلى غزو نجران عن طريق أحد قواده المدعو (سرحل يقبل ذو يران). سنة ٥٢٤ م، الذي قام بمقتلة كبيرة وتحريق للمسيحيين

(أصحاب الأخدود). ولكن ملك الحبشة (الأصبح) عاد مرة أخرى إلى اليمن وهزم ذا نواس وقضى على الدولة اليهودية في مهدها وقبل أن يستشري أمرها. ومن هنا سقطت دولة سبأ، وانتقل مركز الثقل العربي إلى مكة ويشرب. حيث كانت قد ظهرت أمارات النهضة على يد الحنيفية أو الإبراهيمية^(١).

مملكة حمير

كانت حضرموت تعرف قديماً بالأحقاف، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ (الأحقاف: ٢١) والمقصود بـ (أخا عاد) هو نبي الله هود عليه السلام، كانت حضرموت قديماً إمارات صغيرة (محافد) يديرها (الأقيال) أي الأمراء، ومن أشهر هذه المحافد شبام وهيبن والشحر والعروض ودمون وعنذل. فعندما ضعفت دولة سبأ تغلب عليها الحميريون المقيمون خاصة في ريدان (ظفار)، وضموا حضرموت إلى مملكة حمير، أتينا على ذكر هذه النبذة لورود الإشارة في هذا البحث إلى أن من أدلة بعض الباحثين على قدم اليهودية في اليمن وجود أصحاب النبي هود الذي ذكرهم القرآن الكريم واسم اليهودية كما يقولون مشتق من هود^(٢).

يعود الفضل للحميريين قديماً في توحيد اليمن تحت سلطة سياسية واحدة، وذلك بفضل نشاطهم التجاري.

واستمرت الدولة الحميرية إلى ما قبل الإسلام بقرنين تقريباً، فقد سقطت في القرن الخامس الميلادي، وتفككت اليمن بفعل ظهور قوى محلية

(١) د. حسن الباشا: المصدر السابق، ص ٩٠ وما بعدها.

(٢) انظر آراء كمال الصليبي الواردة في هذا البحث.

كثيرة، ساعدها على ذلك الطبيعة الجبلية لليمن، ولكون الأمطار تسقط صيفاً غالباً، فقد اهتم الحميريون بتنظيم السدود والخزانات للمياه، فكانت منطقة حمير تنتج الورس في منطقة الكلاع يحصب وشيحان ووادي الجنات، وتنتج الزعفران في جبل صبر ووادي نخلة.

وفي ذمار ينتج ويستخرج الذهب والعقيق والجَزَع. وقد كانت صناعة الخزز والحلي منتشرة في صنعاء وظفار. وكانت الأسلحة من أهم صناعات حمير، وقد طوروا صناعة الرماح من الحديد، كما طوروا صناعة الجلود لكثرة ما لديهم من ماعز وأبقار، وبرعوا في صناعة النسيج وتلوينه بالتحبير والوشى.

ذكر أهل الأنساب في منطقة حمير قبائل عدة جميعها نسبت لحمير منها الأصابع في عدن ولحج، والماعفر في جبل صبر، والكلاع في زبيد ورعين، وآل ذي يزن وذي رعين في لحج، ومرخة وعبد كلال والأوزاع في ذمار، والعواسج في جرش، وكل هذه القبائل كانت تدعى بـحمير. كان يسكن معهم قبائل أخرى، بعض منهم من كندة خاصة السكاسك والسكون من بطونها، وبعض الأشاعرة (مذحج) في رعين والماعفر، وبعض المهرة وقلة من همدان نخص منهم من آل ذي مران في الماعفر. وآل ذي لعوة، وبعض من خولان في مخلاف ذي جرة. وكان النظام القبلي في اليمن قوياً يدل عليه تسمية الدول التي سادت قديماً بأسماء القبائل ذات السيادة على من حولها؛ كدولة حمير وسبأ ومعين. وأكثر قبائل اليمن كانت منقسمة بين حضر وبادية.

وأكثر مدن اليمن يتبعها أو يسكن حولها بادية، فمدينة رداع باديتها من الربيعيين والزياديين وبني حبيش في زبيد ومدينة الكدراء باديتها من عك. ومدينة جيشان باديتها من سبأ الصهيب، ولهذه البادية أهمية قتالية،

فإضافة إلى ولائها إلى القبيلة عمومًا لكنها محورٌ قتاليٌ يستنجد بها الملوك أو المدن حين الضرورة، وهذه البادية عمومًا كانت تشكل ضغطًا سياسيًا واقتصاديًا على المدن وعلى الممالك، التي قامت قديمًا لما لهم من روح قتالية تدفعهم لذلك الحاجة والجوع.

واستنتج الدكتور نزار الحديثي^(١) أن لفظ «الأحمور» ربما كان يطلق على سكان القرى المزارعين من قبائل عدة، مثل أحمور همدان، فمنهم من دخل في قبالة حمير مثل قيل رعين وقيل معافر وقيل همدان. وذكر أن من قبائل الحمور ذا مرارة وذا لعوة وأذواء همدان. وقيل: بل منهم الصائديون وآل ذي بارق والسبيع وآل ذي حدان وآل ذي رضوان وآل ذي مران.

ويبدو أن كثيرًا من المدن اليمنية والقرى كانت تحوي أخلاطًا من أصول قبلية شتى جمعتهم ظروف التعايش والحاجة، فاشتغل بعضهم في الزراعة والصناعة والحياكة والدباغة وصناعة الأسلحة. وهذه حرف كانت القبائل الشمالية تأنف من القيام بها، وقد ظهر ذلك واضحًا في مجتمع الكوفة، فقد لقب محمد بن أبي بكر الصديق معاوية بن حديج بابن اليهودية النساجة. ووصف الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بابن الحايك. ووصف خالد بن صفوان أهل اليمن حينما تجمعوا في حرب ضد قومه: «ما منكم إلا دابع جلد، أو ناسج برد، أو سايس قرد، أو راكب عرد»^(٢).

أنتج ضعف الدولة الحميرية ظهور سلطة فارس بالأذواء وهي سلطات محلية في مناطق نفوذ مختلفة، بدأت تسيطر بالتدريج بعد ضعف الحميريين خاصة في عهد الملك ذي نواس، حيث شجع الحال دولة الحبشة على احتلال

(١) د. نزار الحديثي: أهل اليمن، ص ٧١.

(٢) د. نزار الحديثي: أهل اليمن، ص ٧٥.

اليمن بالتنسيق مع الدولة البيزنطية بعد حادثة نجران، التي قتل فيها نصارى نجران. وبالرغم من أن أقيال اليمن من سبأ وكندة وغيرهم تصدوا لغزو الجيش، لكن تم للأحباش السيطرة على اليمن، بل إن بعضهم شارك في الجيش بقيادة أبرهة في حملته ضد حضرموت، التي كانت بقيادة يزيد بن كبشة. بل ذكر أن بعض الأسر اليمنية صاهرت بعض الأحباش، وقد أنتج هذا الوضع غياب السلطة المركزية وتركز قوة القبيلة كل في منطقته، وكان آل يزن أو ذي يزن أهم أكبر قوة تصدت للأحباش، ولهذا فقد تحالفت مع الدولة الساسانية الفارسية لطرد الأحباش عن اليمن، وفعلاً طرد الأحباش، لكن ذلك كان على حساب قوة النفوذ الفارسي في اليمن، فكان سيف بن ذي يزن يدفع جزية للفرس مقابل ذلك، وأدت شدته في الحكم إلى تمرد القبائل عليه، مما دفع الفرس مجدداً لتجهيز حملة ثانية على اليمن؛ لإخضاعها بشكل مباشر، وأن تكون تحت حكم نائب الملك الفارسي، وتحويل اليمن إلى إقليم تابع لفارس، ولنائب الملك جيش من الأساورة الفرس، خاصة في صنعاء وعدن، مما أدى إلى هجرة كثير من الفرس إلى العيش في اليمن، خاصة في عدن والجند ورداع وأثاث وذمار والبون في غفار، وكانت أسر باذان هي الحاكمة تقريباً يساعدها أسر فارسية أخرى.

لقد وجدت الديانة اليهودية في عهد الاحتلال الفارسي لليمن حرية كبيرة، فانتشرت اليهودية في بعض قبائل كندة وحميز وهمدان، بل إن بعض الأبناء من الفرس اعتنقوا اليهودية، وهذا يفسر التحالف السياسي الديني بين الفرس واليهود من جهة، وبين النصراية والدولة البيزنطية من جهة أخرى، وتقاتل الفريقين على النفوذ.

ومع وجود الحكم الفارسي احتفظت قبيلة حمير لنفسها ببعض النفوذ في مناطقها، وخاصة ما يدعى بإذواء حمير مثل سلامة ذي فاش في حصن أرياب، وذو الكلاع وذو يزن زرعة بن عامر، وذو أصبح في لحج وذو رعين.

وأمام هذا التفكك ظهرت سلطة القبائل اليمنية البدوية وشكلت بينها تحالفًا مثل تحالف المنتسبين إلى مذحج من زبيد بقيادة عمرو بن معد يكرب الزبيدي، والحارث بن كعب بقيادة الحصين بن قنان بن زيد الحارثي، وبني عبد المدان بقيادة يزيد، وخولان بقيادة عنبسة بن يزيد الخولاني، وقد ضعف نفوذ الفرس في اليمن بتنامي قوة القبائل اليمنية المنافسة لهم، خاصة الأذواء من حمير وغارات قبيلة تميم على طريق التجارة المار باليمامة، وحركة المثنى بن حارثة الشيباني في العراق ضد الفرس، وأمام هذا الخطر حاول الفرس التحالف مع قبيلة همدان، في حين كان تحالف مذحج في نجران ضد الفرس.

كان حليف الفرس عمرو بن الحارث بن الحصين الشاكري البكيلي وعمرو بن زيد بن الربيع الحاشدي، وكلهم من همدان تحالفوا مع باذن الحاكم الفارسي المباشر لليمن، وقد تسبب هذا الحلف في خلاف شديد بين همدان ومذحج، وكانت مراد من مذحج، وكان بين مراد وكندة حلف، هذا إضافة إلى تحالف مذحج ضد الفرس.

وفي أول دخول الإسلام لليمن تم صلح الرسول ﷺ مع نجران، كما يبدو أن الرسول ﷺ ركز كثيرًا على دخول حمير الإسلام، وقد أدرك باذان ضعف القوة الفارسية في اليمن وعدم قدرتها على الصمود أمام التطورات الجديدة، وتذكر الروايات أن كسرى ملك الفرس أمر باذان بأن يرسل من

يقتل الرسول ﷺ . وقد مات كسرى ودخل باذان في الإسلام، وكان موقف همدان منقسمًا، منهم من ناصر الأبناء من الفرس، ومنهم من ناصر المسلمين^(١).

أما أرض سبأ (الجوف) التي فيها سد مأرب الواقعة شرقي صنعاء فإنها تقع بين حضرموت جنوبًا ونجران شمالًا، وهي قليلة المياه، ولذا يعمد أهلها إلى عمل السدود والخزانات، وذكر فيها الذهب والفضة في منطقة السر كان يملكها حين ظهور الإسلام ابن المروية شيخ من مذحج، وفيها الطريق التجاري من شبوة إلى وادي حريب إلى مأرب فنجران.

وأهم مدنها مأرب وبراقش (معين) وقرن، وأكثر سكانها كانوا من مذحج، مثل مراد وعنس وسعد العشيرة، وكانت هذه القبيلة قوية دفعت همدان والفرس إلى التحالف ضدها؛ لإبعاد خطرهما عن مناطقهم خاصة حينما استوطن بنو عبد المدان وهم من مذحج بعد أرض همدان.

أما تهامة المسماة ببلاد حكم وعك والأشعرين وبني مجيد فهي سهول ضيقة بين البحر الأحمر وجبال السراة، وتحد من السراة أودية تصب في البحر الأحمر.

يذكر بعض الإخباريين العرب أن أول من أدخل اليهودية إلى اليمن هو الملك الحميري تبان أسعد أبو كرب، حيث تشير بعض الروايات العربية واليونانية أن هذا الملك عندما غزا مدينة يثرب التقى فيها ببعض أحبار اليهود، ويبدو أنه أعجب بما لديهم من علم، فجاء بهم معه إلى اليمن.

(١) المصدر السابق: ص ٩٣ وما بعدها.

وشاع خبرهم بين اليمنيين، فقليل: إنهم امتحنوا علمهم وصدقهم فصدقوهم وبهذا انتشرت اليهودية بين بعض قبائل اليمن^(١).

ويذهب رأي آخر إلى أن أصل الوجود اليهودي في اليمن يرجع إلى هجرة بعض يهود العراق، وبعد الغزو البابلي المعروف لأورشليم من قبل نبوخذ نصر^(٢) (٥٨٦ ق. م.).

وفي أوائل القرن السادس الميلادي وبعد انتشار النصرانية في اليمن أخذ رجال الدين النصارى واليهود كل يتبارى في نشر دينه، ففي عهد الملك الحميري ذي نواس اشتد الهجوم على النصرانية، وأعلى شأن اليهودية، وبلغ بهذا الملك أن هجم على نصارى نجران، فأحرقهم في أخذود ورد ذكره في القرآن الكريم.

وذكر كوركيس عواد خبر القديس الحارث وشهداء نجران (راعي كنيسة نجران) ناقلاً من نسخة خطية ضمن مجموعة في دير البلمند بלבنا، وهو خامس ما في المخطوطة المكونة من أربعين صفحة، ترجع كتابتها إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وهي رسالة كتبها شمعون إستيف بيت أرشم، توضح الاضطهاد الذي لاقاه نصارى نجران على أيدي يهود حمير سنة ٥٢٤م. نقلها من السريانية إلى العربية الخوري يوحنا جس عزو^(٣). ولا يمكن فصل هذه الحادثة عن الصراع السياسي القائم آنذاك بين الفرس والبيزنطيين، حيث توجه الأحباش النصارى على إثر انكسار شوكة الدولة الحميرية في اليمن إلى بناء كنيسة القليس في صنعاء بجهد من أبرهة الذي هاجم مكة عام الفيل المشهور.

(١) د. كاميليا أبوجبل: يهود اليمن، ص ١٧.

(٢) محمد علي الهواري: يهود اليمن، ص ٦٨. جامعة الملك سعود.

(٣) انظر مجلة المشرق سنة (١٩٥٤) العدد ٣١ (١٩٣٣) ص ٣٢١.

مساكن اليهود في اليمن ومواقعهم

إن وجود اليهود في يثرب يرجع عند أكثر المؤرخين إلى الهجرة اليهودية من الشام سنة ٧٠م بعد طردهم من قبل الرومان وتهديم هيكلهم في أورشليم، وقد سبقوا الأوس والخزرج السكن في يثرب، وما حولها من وادي القرى، وبعد انكسار سد مأب ونزوح الأوس والخزرج إلى يثرب لم يرحب بهم اليهود، بل عارضوا نزولهم، وقد قيل: إن مالك بن العجلان الخزرجي ذهب إلى ملك الفساسنة يطلب المساعدة، فعاد إلى يثرب بجيش على رأسه جبلة ابن الأيهم ليؤدب اليهود، وقيل: إنه قتل منهم بضعة وثمانين رجلاً^(١).

كما تركز الوجود اليهودي في عدن منذ القدم لما لهذا الثغر البحري من أهمية في التجارة، فقد وجد في عدن تجار يهود يملكون سفناً تجارية تذهب إلى الهند وإلى البحر المتوسط، وقد امتدت سيطرة اليهود على تجارة عدن حتى الاحتلال البريطاني للخليج العربي، فكان الإنكليز يفضلون التعامل مع يهود عدن شأنهم شأن التعامل مع يهود العراق والبلدان الخاضعة تحت نفوذهم كمصر وغيرها. وتركز اليهود في حي كريتز في عدن، وفي مدينة حضرموت كان يسكن فيها كثير من اليهود.

وكان نقيب التجار يهودياً يدعى مضمون بن يافث يملك سفناً للإبحار مع الهند ومواني البحر المتوسط.

وفي صنعاء كان لليهود وجود قديم خاصة في حارة (قاع اليهود) حيث تقع غرب صنعاء، وقد سميت اليوم بقاع العلفي. كما عاش اليهود في ناحية ظليمة التابعة لقبيلة حاشد، وسكنوا أيضاً حول المداير وحول مدينة الحبور.

(١) عباس علي الشامي: يهود اليمن، ص ٣٦ المسيرة اليمانية ط ١.

وسكنوا أيضاً في حارة الجاثّة في مدينة إب. وسكنوا في قرية خاصة بهم تسمى الجدس، وكذلك كانوا في حارة المكدة في جيلة قرب مدينة إب. كما سكن اليهود في قرية جحران في قضاء النادرة، واليهود منذ القديم متوزعون في جميع مدن وقرى اليمن، ومن الصعوبة إحصاء تلك المساكن، وقد قدر بعضهم وجودهم في ٣٥٠ قرية يمنية^(١).

والسبب في هذا العدد الكبير هو اتساع انتشارهم في اليمن، فلو أخذنا مثلاً على وجودهم في قلاع اليهود الذي ذكرناه في صنعاء لوجدناه يحتوي على حارات لهم عدة، وهي: حارة الوادي، وحارة مسعود، وحارة الريشة، وحارة المشماعة، وحارة مسخ، وحارة البوساني، وحارة الذماري، وحارة الكحلاني، وحارة الصبيرة، وحارة غارقة، وحارة حيارة وغيث، وحارة سينا، وحارة الشيخ، وحارة الريعاني، وحارة السوق، وحارة صالح، وحارة قارئة الأسطى، وحارة الطيري، وحارة الخارجة والمطيين.

وهذا يدل على تغلغل اليهود منذ القدم في المجتمع اليمني، وتقبل اليمنيين لهم عموماً إلا ما جرى على سبيل الاستثناء. هذا وليس من شأن البحث تقصي تاريخ اليهود في اليمن خاصة في العصور الحديثة، طالما أن هدف البحث هنا أن نبين للقارئ الكريم أثر الفكر اليهودي على عرب اليمن أفراداً وقبائل قبل الإسلام وبعده في القرون اللاحقة، وكيف كان بعض الشيعة العرب اليمنيين خاصة الجسر الذي عبر منه الفكر اليهودي إلى التشيع.

(١) المصدر السابق ص ٣٩-٤١. وانظر أيضاً كاميليا أبو جيل: المصدر السابق، ص ١٩.

أثر الفكر اليهودي على اليمنيين

لا نملك الكثير من المعلومات عن أوضاع يهود اليمن الفكرية إبّان القرون الأولى الهجرية، ولكن أوضاعهم اللاحقة لهذه الحقبة تلقي الضوء على ممارسات يهود اليمن الفكرية، وحرّيتهم في العبادة والعمل، وإقامة المعابد. وعند تأسيس الإمامة الزيدية في اليمن على يد يحيى الهادي للحق، سمح هذا الإمام لليهود بحرية العبادة والتجارة والزراعة، شريطة أن يدفعوا الجزية. وفي هذه المدة وما تلاها من الحكم الزيدي تمتع اليهود بحرية التجارة، فأقاموا الصلات التجارية مع يهود مصر والشام، حتى وصل نفوذهم إلى أن أصبح نقيب التجار مضمون بن يافث اليهودي ذا نفوذ كبير، يملك سفناً تجارية لاستيراد البضائع من الهند والصين ومصر، ومن نتائج هذه الحرية أن ظهر سنة ١١٧٢ م مبشر يهودي ادعى أنه المخلص الموعود. ويبدو أن لهذا الرجل تأثيراً على مصالح اليهود اليمنيين؛ لأنه أشاع أكاذيب وخرافات دفعتهم إلى الشكوى إلى مرجع يهودي كبير في مصر، من أجل أن يبطل فاعلية هذا المدعي، وهذا المرجع هو موسى بن ميمون كان رايئاً وطبيباً لأحد وزراء صلاح الدين الأيوبي. وقد أسدى لليهود اليمن طيلة ما يقرب من عشرين سنة النصح والتوجيه، فكتب رسالته المشهورة ب: (رسالة اليمن)^(١).

ومع نشاط اليهود التجاري السالف جلبوا معهم إلى اليمن ما في التراث الفكري اليهودي في الشام ومصر بكلتا اللغتين العربية والعبرية وربما الآرامية، واشتهر في هذه الحقبة يهود منطقة ذمار بالتفسير الرمزي الباطني لما ورد في التوراة خاصة، يدل على ذلك ما كتبه يهود صعدة منتقدين يهود ذمار على هذا المنهج. وقد أوغل يهود اليمن منذ القرن السابع الهجري بالتفسير الرمزي (١) كاميليا أبو جبل: يهود اليمن، ص ٢٠، دمشق ١٩٩٩ م.

والتأويل الباطني، ساعدهم على ذلك دراسة الفلسفة اليونانية والمنهج الفنوصي القديم في التفسير، وهذا المنهج له أثر كبير على العرب المسلمين من أهل اليمن، الذين اشتغلوا فيما بعد بالعلوم الإسلامية، وخاصة مؤلفي وعلماء بعض الشيعة، الذين سنأتي على دراسة منهجهم فيما بعد.

وفي سنة ١١٧٢م ظهر في اليمن مبشر يهودي أعلن عن نفسه: أنه هو المخلص، وهو جزء من سلالة للمخلصين، ظهرت في اليمن عندما عم الجهل والخرافات المجتمع اليمني، وانتشرت أعمال الشعوذة بين اليهود، فتوجه بعض عقلائهم إلى الحاخام اليهودي موسى بن ميمون الساكن حينها في مصر، طالبين منه المساعدة، فكتب إليهم رسالة نصيحة مهمة^(١).

(١) كاميليا أبو جيل: يهود اليمن، ص ٢٠، دمشق ١٩٩٩م.

رسالة موسى بن ميمون إلى يهود اليمن

ولد ابن ميمون في قرطبة سنة ١١٣٥م، وتعلم التوراة والتلمود والفلسفة والطب وعلوم عصره على يد علماء يهود ومسلمين في الأندلس. وقد نزحت أسرته إلى الميرية، ثم إلى فاس في المغرب إبان حكم الموحدين. ثم نزحوا إلى عكا بفلسطين، واستقر بهم المقام أخيراً بمصر، حيث كان صلاح الدين الأيوبي وزيراً للخليفة العاضد الفاطمي سنة ١١٦٩م، وبعدها بقليل سقطت الدولة الفاطمية، وحلت محلها الدولة الأيوبية. وفي هذه المدة اختير موسى ابن ميمون أن يكون طبيباً للوزير الأيوبي عبد الرحيم البيساني. وفي هذه المدة تولى ابن ميمون رئاسة الطائفة اليهودية، وكان عضواً في المحكمة الشرعية اليهودية بالفسطاط، وقد تولى ابنه إبراهيم هذا المنصب بعد وفاته.

كتب ابن ميمون رسالة إلى يهود اليمن وهو في مصر بالعربية، وكلف طالبه اليمني يعقوب بن نافانثيل بتبليغ يهود اليمن بما جاء فيها من وصايا. أهمها الصبر على ما جاءهم من مكاره وإكراه الآخرين لهم، وعدم الدخول في مشاكسات مع المخالفين، وفيها بشرى لهم بانفراج الكرب وزوال الغمة عنهم، ويبدو أن رسائل ابن ميمون تلاحت ليهود اليمن، ردّاً على استفساراتهم الدينية والدنيوية، واستمرت نحو عشرين سنة آخرها سنة ١١٩٤م إبان حكم المعز إسماعيل بن طفتكين، الذي قيل: إنه ضيق كثيراً على يهود اليمن، وربما أنجأ بعضهم لاعتناق الإسلام بالقوة. وهذا كما يقول الهواري مخالفة لما أوصى به الرسول ﷺ معاذ بن جبل، حينما أرسله إلى اليمن: (ألا يفتن يهودي عن يهوديته) ^(١).

(١) محمد علي الهواري: يهود اليمن، ص ٨٥، وما بعدها جامعة الملك سعود.

وبعد الفتح الإسلامي ودخول اليمن في الإسلام دخل كثير من يهود العرب اليمنيين الحميريين في الإسلام طواعية، حيث كان هؤلاء في الأصل عرباً متهودين أمثال كعب الأحبار وعبد الله بن سبأ ووهب بن منبه، وهؤلاء أمثلة وعينة من العرب المتهودين، الذين كان لهم أثر فكري كبير على المسلمين وعلى الفرق الإسلامية عموماً خاصة الشيعة.

تظهر مؤلفات الحاخامات اليهود وما سمي من مخطوطات (جنيزا القاهرة)، وما كتبه علماء الزيدية في تلك المدة عن يهود اليمن وأفكارهم وليس بمستبعد أن يدخل كثير من يهود اليمن نتيجة الظروف والمتغيرات السياسية أن يدخلوا إلى الإسلام في الظاهر حماية لأنفسهم من العنت، وأن منهم من حسن إسلامه، ولكن منهم أيضاً فئة ظلت تتظاهر بالإسلام، ولكنها في الباطن على يهوديتها، فلما و انتهت الفرصة في إظهار أفكارها وعقائدها القديمة قامت بالاندساس في الفرق الإسلامية، ومن خلالها أظهرت مقالاتها المعروفة التي سنتعرض لها في هذا البحث.

وقد ذكر أن يهود اليمن قد تعرضوا إلى أن يدخلوا الإسلام بالقوة والقسر، وذلك في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي أيام حكم سلاطين بني همدان، وخاصة إبان حكم عبد النبي بن مهدي المتعصب والمغالي ضد الجميع، حيث عرفت سيرته بما يشبه سيرة الخوارج، ورسالة ابن ميمون إلى أهل اليمن تعكس ذلك، وطلبه بأن يهاجر من يستطيع أو يصبر على البلاء^(١). ويبدو أن الطالب يعقوب بن نافانئيل يشير لابن ميمون خروج كثير من يهود اليمن عن ديانتهم ودخولهم في الإسلام قسراً.

(١) المصدر السابق: ص ٨٦ - ٨٩.

وأشار الدكتور الهواري إلى حالات دخول يهود في الإسلام طوعية دون إكراه أيام حكم الأسرة السنية لمدينة تعز اليمنية (١٢٢٩ - ١٤٥٤ م). وفي رسالة ابن ميمون إلى يهود اليمن نصيحة لهم بالتمسك بالدين اليهودي، وأن الله قد اختصهم بهذا دون غيرهم، وقال: إن أعمال الطفلة أمثال نبوخذ نصر وأمثاله كان عملهم ضد الإرادة الإلهية.

ونلاحظ أنه في أواخر حكم صلاح الدين الأيوبي تمرد شيعة الشام ضده، وقيل: إنهم مالؤوا الصليبيين، فكان هذا سبباً للانتقام منهم، ولكن يلاحظ أن الانتقام هذا شمل يهود اليمن، فتعرضوا للمعاناة والمضايقة، فهل اشترك يهود الشام واليمن ضد صلاح الدين الأيوبي، والتقى الجميع مع الشيعة؟

وفي اليمن ظهر في هذه الفترة بين يهودهم مدعي النبوة مزج بين الإسلام واليهودية، يدل على ذلك ما أشار إليه ابن ميمون في رسالته المذكورة، وأنه نحا باللائمة على هذا المدعي، وحذر اليهود من اتباعه.

كما ذكر بأن عيسى المسيح ابن مريم سبق أن ادعى أنه نبي، وعدل شريعة التوراة، فانتقم الله منه، حيث سلط عليه من قتله، ثم يشبه ابن ميمون رسول الله محمدًا ﷺ أيضاً بمدعي نبوة، ووصفه بالمجنون في رسالته، وأنه طالب ملك، وأن النبي دانيال في التوراة قد ذكر ظهوره، وأنه سيفير في الشريعة، فقد حذر اليهود من ذلك؟ وأشار ابن ميمون في رسالته إلى أن أبناء إسماعيل (العرب) هم دائماً وراء كل مصيبة تحل باليهود، وما ذلك إلا عقوبة من الله للخارجين من اليهود عن ملتهم وعن أقوال رؤسائهم^(١).

(١) د. محمد الهواري: يهود اليمن، ص ١٠٠ - ١٠٨.

دراسة الدين اليهودي في اليمن

مع تمتع يهود اليمن بحرية العيش والتجارة والزراعة ولهم أماكنهم الخاصة، وقد سلموا في سائر الأوقات من أي اعتداء عليهم، عدا حالات استثنائية في تاريخهم، فقد وصفت حالهم بأنها أفضل من يهود أوروبا في العصور الوسطى.

فقد كان ليهود اليمن كنيسهم الخاص بهم في حيهم، حيث يتجه إليه الأطفال من الصباح وحتى المساء لمدارس التوراة، ووصف كنيس كل حي بأنه يحتوي على ساحة فيها خزائن لأحذية المصلين، وفي الساحة غرفة مرتفعة مفروشة بالحصير للمصلين، وفي الغرفة أدراج تحتوي على صناديق فيها لفائف من حرير، تحوي التوراة مخطوطة مطوية على قضيب معدني، وصناديق أخرى تحتوي على بقية كتبهم وشروحهم، خاصة المشنا والجيمارا. وقد نقل عن شولوم الذي كتب عن يهود عدن أنهم يتجمعون فرقاً ليلاً يتدارسون الكتب المقدسة طوال الليل، وقد شاهد في كنيسهم الكتاب المقدس مكتوباً على الرق. ويقرأ اليهود التوراة بشكل جماعي في الكنيس، وخاصة في أثناء وقت كل صلاة وبعدها في الصباح وفي الظهيرة والليل، وفي أيام السبت يسرع الأتقياء إلى الكنيس قبل الفجر لتلاوة المزامير، وعند الظهر يقرأ الجميع (الزوهار) و (الراشي) و (الشلخان).

وذكر أن حاخامات يهود اليمن والمدرسين في الكنيس كانوا يعملون لغيرهم في الحرف الزراعية، وقد وصف جاكوب سافير في رحلته إلى اليمن سنة ١٨٥٩م أحد رجال الدين، واسمه يوسف بن سعدية، بأنه على علم جيد بالتوراة حكيم، له اهتمام بالفلك وكتابة التعاويذ والرقى؟ يعطي وصفات أعشاب طبية، يلبس مثل الآخرين، ويعمل حداداً في ورشة يملكها، ثم يذهب إلى الكنيس ويقوم بتدريس اليهود القادمين بالعربية. فأكثر التراث مترجم.

يهتم اليهودي اليمني بكتب الدين، ويحرص على اقتنائها في بيته خاصة من تعلم منهم القراءة، فكانوا ينسخون المخطوطات أو يستأجرون من ينسخ لهم، خاصة الأسفار الخمسة والزوهار؛ لأنه يستخدم في الصلاة.

يحرص اليهودي اليمني على تنشئة ابنه نشأة يهودية، حتى إنه يرفض أن يذوق ابنه الصغير حليب الأجنبية، ويقوم بختانه، وفي سنته الثانية يؤخذ إلى الكنيس، وفي السنة الثالثة يحلق شعر رأسه، فيحتفظ به طيلة عمره رمزاً ليهوديته، ويعلم الطفل آيات الشكر على المائدة، وفي السنة الرابعة يلحق بالمدرسة كمستمع، أو يؤخذ إلى الكنيس للدراسة، حيث يقضي فيه معظم ساعات النهار.

وفي العصور المتأخرة من حياة يهود اليمن عمدوا إلى بناء مدرسة لأولادهم بجوار كل كنيس وتسمى (خيدر)، وهي مأوى لكل من لا مأوى له. وقد يكون الخيدر مجرد غرفة للتدريس، حيث يأتي الأطفال صباحاً ثم يرجعون ظهراً للغداء، ثم يرجعون للدراسة حتى المساء، فإذا ناهز البلوغ التحق بالعمل وربما كان مع أبيه، ويظل متردداً على الكنيس لا يقطع دراسته بالكلية، ولا تذهب الفتيات إلى الدراسة، بل تقوم أمهاتهن بتدريسهن أمور دينهن في البيت، ولم يكن للمرأة اليهودية اليمنية حظ في العلم كما يبدو، فقد طبق المثل الشائع عندهم: (ليس من الصواب تعليم التوراة للفتاة). وربما كانوا يعدونها ليست مكلفة بأداء الطقوس الدينية^(١).



(١) لمزيد من التفصيل انظر: يهود اليمن في كتاب الإبادة الجماعية، ص ١٥٠-١٥٧. إصدار جمعية ناطوري كارتا، ترجمة بليقيس الحضرائي، مجلة ودراسات يمنية، العدد ١٧ سنة ١٩٨٤م، صنعاء.

الفصل الرابع

يهود العراق

يهود العراق القديم

إن أكثر يهود العراق يرجعون في أصولهم كما يعتقدون إلى أجدادهم العبرانيين، الذين عبروا الفرات إلى أرض كنعان، وأقاموا دولة يهودا والسامرة، إلى أن جاءهم نبوخذ نصر من العراق غازياً، فهدم (أورشليم)، وجاء باليهود من فلسطين سبائاً إلى أرض بابل، فاشتغلوا بالزراعة والحرف المختلفة، وكونوا مجموعات دينية في كثير من قرى ومدن العراق القديم، وكتبوا فيها تراثهم الديني، (خاصة التلمود البابلي) في القرن الثالث قبل الميلاد، فكان اليهود يدعون على بابل بالخراب لما أصابهم من مهانة الذل والأسر والشتات. وقد تنبؤوا بسقوط بابل يوماً، كما ورد في نبوءة أشعيا، وقد فرح اليهود بسقوط بابل واحتلال العراق من قبل الملك كورش ملك الفرس سنة ٥٣٨ ق.م.^(١)

وقد أمر الملك الفارسي كورش بإعادة بناء أورشليم لليهود، حيث ادعى أن الرب قد أمره بذلك، فتبعه من لا عمل له ولا تجارة من اليهود إلى أورشليم. ونعم لليهود في العراق بعيش كريم في ظل الحكم الفارسي لأسباب كثيرة، من أهمها مساعدتهم للفرس في غزو وإسقاط بابل، وكما ذكر أيضاً أن عطش كورش على اليهود يرجع أيضاً إلى التشابه بين ما ورد في عقيدة زرادشت واليهودية من تعاليم^(٢).

(١) يوسف غنيم: المصدر السابق، ص ٦٠-٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٠.

ولما استولى الإسكندر الأكبر على بابل سنة ٣٣١ ق.م. عامل اليهود بقسوة إلا أنهم توددوا إليه فيما بعد، ودخلوا جيشه محاربين مع المقدونيين.

لكن النفوذ الروماني لم يدم على بابل والعراق، حيث جاء البرثيون الفرس من خراسان، وأسسوا من جديد الإمبراطورية الفارسية بتوسيع أكبر ونفوذ أقوى. وكان ذلك منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، فعاد لليهود نشاطهم في العراق وفارس عمومًا في ظل هذه الدولة، التي اعتبرتهم عيونًا لها ضد النفوذ الروماني.

ويذكر في القرن الأول للمسيح أن أمير بلدة (حزة) قرب أربيل قد دخل في دين اليهودية، وأن أمه هيلانة قد أرسلت مساعدة لليهود في أورشليم إبان القحط الذي أصابهم.

وتذكر الروايات أن يهود بلدة دعة على الفرات كانوا يرسلون مساعداتهم المادية إلى أورشليم، وكان بها مدرسة (سورا) الشهيرة، وكذلك اشتهرت مدرسة مونية بومبا ديا (جبة)، لكن العداء الطبيعي بين البابليين العراقيين واليهود كان مستمرًا، يظهر ويختفي في حال القوة والضعف من الطرفين، وتكون في هذه المدة عصابات يهودية هاجمت بابل والسريان، مما أغضب اليونان في (سلوفيه) (وبمباديا)، فقتلوا من اليهود أعدادًا كبيرة تشتتوا خلالها في المدن أفرادًا وجماعات صغيرة، وحينما استولى الرومان سنة ١١٥ بعد الميلاد على المدائن عاصمة الدولة الفارسية، قاموا بالتكيل باليهود بوصفهم حلفاء لأعدائهم الفرس.

وفي سنة ١٢٣ بعد الميلاد ظهر بركوكوبا، وادعى بنو اليهود أنه المسيح المنتظر، وبعد انتشار المسيحية بادر يهود العراق إلى اعتناق المسيحية في ظل

الحكم الروماني خاصة، حماية لهم من بطش الرومان المتقدم، فكان أول معتنقي المسيحية هم من اليهود^(١).

ولكن الساسانيين الفرس استعادوا نفوذهم على المدائن، واتخذوها عاصمة لهم، فاستعاد يهود العراق حريتهم المفقودة طوال المدة السابقة.

وكان اليهود في الدولة الساسانية يدفعون الضرائب والجزية للدولة، وكان رئيسهم رأس الجالوت مقرباً لدى البلاط الساساني في المدائن، فهو الذي يباشر منصب القضاء بين اليهود حسب شريعتهم.

كانت اليهودية معروفة لعرب الجاهلية خاصة في كل من يثرب واليمن، حيث تذكر الروايات أن يهود اليمن كانوا قد جاؤوا إلى اليمن من أورشليم بعد سقوط مملكة سليمان الحكيم، وقيل: إن أول انتشار اليهودية كان في عهد ملوك حمير، قيل: إن الملك ذا نواس كان أول من اعتنق اليهودية ونشرها في قبائل حمير ونمير وكنانة وبني الحارث بن كعب وكندة^(٢)، وكان من بين العرب اليهود شعراء عرف وشاع شعرهم بين العرب، منهم أوس ابن دني من بني قريظة. والربيع بن الحقيق وكعب بن الأشرف وأبو الأناد اليهودي، كما كان منهم صاحب القصر الأبلق الشاعر السموءل بن عاديا.

وعند فتح المسلمين للعراق دخل كثير من اليهود في الإسلام، وبقي بعضهم على يهوديته يدفع الجزية، واستعمل بعض عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يهوداً كانوا يحسنون الكتابة، منهم عامله أبو موسى الأشعري والي عمر على البصرة، وقد كانت الحيرة في هذا الوقت موطناً لكثير من

(١) المصدر السابق: ص ٩٠ - ٩٤.

(٢) يوسف غنيمه: المصدر السابق ص ١١٨.

يهود العراق ونصاراه. وقد ذكر الواقدي أنه في سنة ٢٠ هـ تم إجلاء يهود نجران إلى الكوفة، وقد عمل اليهود بالتجارة، وأصبح منهم أثرياء، يستلف منهم الخلفاء بعض المال إذا نقصهم^(١).

في العصر العباسي في بغداد والكوفة والبصرة تمتع اليهود بحرية العقيدة والعمل والتجارة، حتى وصل بهم الحال إلى أن يتنافسوا فيما بينهم على منصب رأس جالوت، وقد اتفق أن عنان اليهودي الذي شاغب على رأس الجالوت سجن مع الإمام أبي حنيفة، حيث توسط له فيما بعد، وأنقذه من القتل^(٢).

وقد مر يهود العراق بعده بأدوار من الحرية والضييق، وانقسموا على أنفسهم خاصة ما يسمون بالقرائين والربانيين، وهم جماعة الالتزام بالنص النوراني فقط، وعلى خلافهم جماعة الأخذ بالرأي والتأويل.

وفي عهد المأمون كان لهم نشاط علمي وديني، اشتركوا مع بقية الفرق في الترجمة التي كثرت في عهد المأمون.

وكان من أطباء العراق يهود خدموا الخلفاء والأمراء، منهم فرات بن شحنانا الذي خدم الحجاج بن يوسف. ومن المنجمين ما شاء الله اليهودي الذي خدم عند المنصور، ومن الشعراء أبو عبيدة اليهودي صاحب كتاب المثالب. ومن علماء النحو هارون بن موسى البصري اليهودي.

ومما تقدم يتضح تاريخياً أن اليهودية دين وعقيدة لها زمن حدوث معروف للباحثين، وأما الإسرائيليون منهم أحفاد إسرائيل (إسحاق) الذي

(١) المصدر السابق: ص ١٢٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢٢.

يرجع نسبه إلى إبراهيم الخليل عابر الفرات من العراق إلى أرض كنعان (فلسطين)، فكان الكنعانيون وهم شعب سام يقطنون هذه البلاد من أمد طويل، رجع إليهم الغزاة الإسرائيليون الخارجون من مصر، فاحتلوا بلادهم إلى أمد، وهذه حقيقة تاريخية أشار إليها أكثر المؤرخين، منهم المؤرخ البريطاني توينبي، مما يفضح ادعاء اليهود بأن فلسطين هي أرض أجدادهم، فقد كانت السيادة للكنعانيين على مر قرون التاريخ ما عدا غفلة من الزمن.

إن وادي الرافدين كان قديماً أول مهد للحضارات الإنسانية القديمة، وأول أرض عرفت الكتابة والتدوين، وهي أهم وسيلة تعرفنا من خلالها على السومريين والبابليين والأكديين، ومن الكتابة تلك علمنا أول الشرائع الوضعية وهي شريعة حمورابي أول قانون إنساني مدون، وبعد سجلاً للأعراف والعادات والأنظمة التي عن طريقها تم ضبط المجتمع القديم، أضيفت عليها عادات وأعراف وعقائد أمم شتى غزت العراق في العهد القديم، واستوطنت بعض أجزاء منه، فالتقت بذلك العقائد الفارسية القديمة والهندية والسنسكريتية، كل ذلك دفع الدارسين إلى القول: إن ما دونه يهود العراق في بابل وما حولها بخصوص شروحات التوراة وتأويل نصوصها، أو ما تعلق بتعاليم الربان وأقوالهم، كان ذلك تدويناً شاملاً لما تركته تلك الأقوام القديمة في وادي الرافدين بدليل اختلاف التلمود البابلي عن التلمود الأورشليمي، وتشابه تأويلات وتفسيرات ربان اليهود العراقيين القدماء مع عادات وأعراف شعوب وادي الرافدين جنوبيه وشماله.

كما يدل على ما ذكرنا قبور ومدافن من ذكر أنهم من أنبياء اليهود أو من رجال دينهم المؤثرين، منهم ما يذكر عند قبر عزرا أو العزيز الموجود في ناحية العزيز على دجلة، ويذكر اليهود أنه كان كاتباً لشرائعهم ورائداً لإرجاعهم من

أورشليم إلى أرض سومر و أكد، هكذا يدعون بوصفهم أبناء إبراهيم الخليل، وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان هذا القبر في مادة «ميسان».

ومن قبور اليهود القديمة قبر حزقيال أو ما يدعى بالنبي ذي الكفل، الموجود في ناحية الكفل قرب الفرات، وتذكر الإسرائيليات أن النبي ذا الكفل قتل من قبل بعض اليهود، ودفن في أرض أو في مغارات إبراهيم الخليل، وهي نفس المغارة التي دفن فيها سام جد إبراهيم، كما تدعي الأسطورة.

ذكره ياقوت في معجمه، وقال: إنه قرب الحلة، ومنها قبر يوشع في جانب الكرخ من بغداد، وبقربه قبر الشيخ معروف الكرخي، ويلقب عند اليهود بالكاهن العظيم.

ومنها أيضاً قبر الشيخ إسحاق الغاؤوني في الرصافة ببغداد قرب سوق حنون، ويقال: إن هذه المنطقة كانت حارة لليهود، وفيها كنيس باسم هذا الشيخ، ويذكر اليهود أن هذا الكنيس كان رهين صير في كان يعمل صيرفيا لدى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويعد هذا الكاهن من شراح التوراة الذين توسعوا في شرحها، وهو من طائفة الغاؤونيم، الذي كان منهم أساتذة في مدرسة بومبادينا وسورا مع كهان النصارى الآخرين.

ومنها فرار ناحوم الألقوشي. وقيل عنه: إنه كان قد تتبأ بزوال نينوى (الموصل) قديماً عاصمة الآشوريين، ذكر مرقده السائح نيبور، وقال عليه كنيس يهودي قديم^(١).

هذا، وللطائفة الموسوية اليهودية تاريخ طويل في العراق الحديث خاصة بعد تأسيس الدولة العراقية، وقد تبوأ اليهود الصدارة في التجارة والصيرفة

(١) يوسف غنيمه: المصدر السابق: ص ٢٥٠ وما بعدها.

وسادوا بما لهم من علاقات مع شعوب الدول الأوروبية خاصة تلك الدول التي كانت تخطط، وتقود الحضارة الغربية، وليس من هدف هذا البحث تتبع آثار وعقائد اليهود في العصر الحديث^(١).



(١) د. حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي. ص ٢٢-٢٥، بيروت ١٩٩٩ م.



البَابُ الثَّانِي

أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة



الفصل الأول

تسرب الإسرائيليات إلى التفاسير ومرويات المسلمين

يذكر ابن خلدون في مقدمته أن أسباب انتشار الإسرائيليات وقصص التوراة والتلمود، يعود إلى كون العرب أمة بداوة متعطشة لعلم أهل الكتاب، ولكونهم أمة أمية لا تقرأ، فقد كانوا يكثرون سؤال أهل الكتاب، ومن قام أول بهذه العملية اليهود العرب، خاصة من قبيلة حمير كما يذكر؛ وذلك لانتشار اليهودية في حمير قديماً في اليمن، كما ذكرنا، واستغرق بعض المفسرين للقرآن باستعارة المعلومات الواردة عن اليهود فيما يخص مثلاً أصحاب الكهف: عددهم، أسمائهم، واسم كليهم، ولونه؛ كذلك مثلاً عصا موسى من أي الشجر هي؛ وهكذا...

يمكن تتبع مرويات كعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، ووهب بن منبه، وأمثالهم من اليهود العرب الذين دخلوا الإسلام في أوائل القرن الأول الهجري، فنقل المفسرون لروايتهم التي استمعوها مما تعلموه من التوراة، وشروحها من تلمود وميشنا وجيمارا. فتقبلها كثيراً من المسلمين بالقبول والتصديق، ثم اتسع هذا المنهج في العصور اللاحقة، فعم كثير من الفرق الإسلامية، وأخذت تسب هذه الآراء في تلك الروايات ليست لليهود ومصادرهم، بل ينسبون لها إلى أئمتهم وعلمائهم، وقد خصصنا هذا البحث لأثر تلك الأفكار اليهودية على الفكر الشيعي.

وبخلاف ذلك، فقد تأثر بعض اليهود ببعض قواعد الشريعة الإسلامية، وإنه - وإن كانت هذه الفكرة تخرج عن هذا البحث - لكن يحسن بنا الإشارة إليها؛ لإيضاح أن الفكر الإنساني دائماً عرضة للتأثر بما حوله من مؤثرات.

أثر الإسلام على بعض اليهود

لوجود اليهود بين المسلمين وحصول أوقات من الانتعاش العلمي والحرية، فلم تسلم الديانة اليهودية المتأخرة من التأثير بالقواعد الإسلامية. وقد بحث الباحث اليهودي تفتالي منيدر، هذا الموضوع، وخلص إلى أن: كتب فقهاء اليهود في العصور الإسلامية تأثرت أولاً بالترتيب الفقهي، والتبويب الذي سلكه علماء الإسلام.

ولكن أهم الأمور التي سلط عليها الباحث الضوء هو ما قام به ابن ميمون وابنه إبراهيم من إدخال بعض العادات والشعائر الإسلامية في الوضوء، والصلاة، والطهارة مثلاً، فأصبح اليهود يقومون بها بوصفها جزءاً من الديانة اليهودية، وهي لم تكن في الأصل من دينهم، أو أنها كانت قد نسيت وتركت لسبب أو آخر، ومن ذلك غسل الجنب، والوضوء للصلاة خاصة غسل الرجلين، أو لسبب تمتع اليهود بالحرية في عبادتهم بين المسلمين في ذلك الحين، ألغيت صلاة السر، وأصبحت الصلاة جماعية، وفيها إمام للجماعة، فقد نمت هذه بجهود موسى بن ميمون، وأدخلوا في صلاتهم السجود الذي لم يكن يمارس في اليهودية، وكذلك بسط اليدين في الدعاء^(١).

وفي موضعه من البحث سنسلط الضوء على موسى بن ميمون اليهودي ورسالته إلى يهود اليمن لاتصالها بانتشار اليهودية، بين عرب اليمن، بحيث أصبحوا الجسر الذي عبرت منه التعاليم اليهودية إلى التشيع.

(١) انظر تفصيل ذلك في المقالة التي كتبها الصديق د. هاشم الملاح: التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية. مجلة الجامعة، العدد ١١، سنة ١٩٧٢ ص ٢٧٠ وما بعدها. (جامعة الموصل بالعراق).

أثر اليهودية في عقائد الفرق الإسلامية عموماً

مقدمة

لقد تأثرت الفرق الإسلامية بعقائد الأمم السابقة من مجوسية، ويهودية، ونصرانية بشكل عام، وبعض هذه التأثيرات كانت واضحة للدارسين، وبعضها الآخر أدخل خلصة في ثنايا الحجج والادعاءات بين الخصوم.

ولم تغلُ الفرق الإسلامية من التأثير بالديانة اليهودية، وفق مستويات مختلفة، ولما كان هذا البحث طويلاً يخرجنا عن البحث الأساسي هنا، نشير إلى مسألة خلق القرآن بوصفه أحد الأمثلة:

قيل: إن بدعة القول بخلق القرآن، التي جاء بها المعتزلة، وأصبحت عنواناً لمذهبهم الفكري كان أصلها يهودياً، من فكرة خلق التوراة التي نادى بها قديماً لبيد بن الأعصم اليهودي، وقيل: إن أول من صنف في خلق التوراة هو طالوت اليهودي، ختن لبيد بن الأعصم.

وأخذ القول هذا عن طالوت أبان بن سمعان، وأخذ عن أبان الجعد بن درهم، من أوائل شيوخ المعتزلة، وأخيراً وصلت إلى القاضي ابن أبي دؤاد المعتزلي^(١).

وقد رصد ابن خلدون أقوال بعض من أسلم من اليهود، فأدخلوا في تفسير القرآن الكريم ما هو عندهم من شروح وتفسيرات للتوراة. (تساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤوا كتب التفسير بهذه المقولات)^(٢).

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٦.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص٣٦٧.

موضوع الإسرائيليات

تتمحور موضوعات الإسرائيليات في كتب تفسير القرآن الكريم أو الحديث الشريف، حول ما ذكرته تلك المصادر مجملاً، ومقارنته مفصلاً بما ورد في التوراة أو التلمود من ميثنا، وجيمارا، وشروحها، وقد تتجاوز ذلك عند الكذابين إلى إضافات وخزعبلات ومعجزات وخوارق لا يصدقها العقل، بل فيها من اختراع الخيال الإنساني الكثير، وأهم تلك الموضوعات تدور حول:

- ١ - خلق الكون: خلق السماوات والأرض، مدة هذا الخلق، السنة، والشهر، واليوم، وما هي وظيفة السماء، ومم تتكون السماوات وما عددها.
- ٢ - خلق الإنسان: مادة خلق الإنسان، كيفية الخلق هذا؛ زمان ومدة هذا الخلق، أحوال آدم وحواء، وكيف خلقت منه حواء؛ الشيطان وكيف وسوس لهما ودفعهما إلى الأكل من الشجرة المحرمة؛ الصعوبات التي حلت بهما جراء هذا العصيان، دور الشيطان والحية في هذه الخطيئة والغواية، تمحور الغواية حول المرأة وخطيئتها، ما هذه الشجرة المحرمة؛ وماذا أكل منها، كما تذكر أسماء الأنبياء وأقوامهم وما حصل لهم في دعوتهم.

ليس من أهدأنا في هذا البحث الدخول في هذه الموضوعات، وسأترك الخوض فيها إلى العرض الذي سأعرضه حولها من مصادر الشيعة؛ لأن ذلك هو الجديد في البحث، أما مباحث تلك الموضوعات عند السنة فكثيرة هي ومفصلة، تناولها العلماء قديماً وحديثاً، وعلماء المسلمين لم يروا بأساً من رواية الصحيح من الإسرائيليات، وإنما كان عتبههم على نقل أكاذيب أهل الكتاب، على الأنبياء والافتئات على الله سبحانه في الخلق، وذكر الخرافات والخوارق.

الإسرائيليات في كتب التفسير

كتب التفسير أصناف من حيث موقفها من الإسرائيليات، فمنها:

١ - تفاسير تذكر الإسرائيليات بأسانيدھا. أي سلسلة رواتها، وتترك للقارئ

حرية الحكم على السند والمتن، ومن أمثلتها: (جامع البيان في تفسير

القرآن) لمحمد بن جرير الطبري.

٢ - تفاسير تذكر الإسرائيليات بأسانيدھا ثم تعقب عليها بالنقد والتمحيص،

سواء يرفضها بسبب السند أو المتن أو قبولها، فمثلاً لاتفاقها مع ما جاء

في القرآن الكريم وهكذا، ومن أمثلة ذلك: (تفسير القرآن العظيم)

للحافظ ابن كثير.

٣ - تفاسير تذكر الإسرائيليات دون سند ولا تعقب عليها، بنقد ولا تمحيص،

ومن أمثلتها، تفسير مقاتل بن سليمان، الذي حوى الكثير من الخرافات

والخوارق الخارجة عن حكم العقل، وقد يذكر سند بعضها، ويكون

السند مطعوناً به ولكنه لا يبين ذلك، بل يسكت عن ذلك، ومثله كذلك

تفسير الثعلبي، وتفسير الخازن^(١).

٤ - تفاسير تذكر الإسرائيليات، ولكن تنتقدها وتكذب غير الصحيح

منها، وتنبه القارئ إلى ما فيها من خرافات وخزعبلات، وتحذر من

تصديقها، ومن أمثلتها: تفسير روح المعاني لأبي النّشاء محمود شكري

الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، ومن هذه التفاسير أيضاً تفسير المنار

للشيخ رشيد رضا، الذي ينتقد رواية الإسرائيليات بشكل عام، وفي رأي

الذهبي أنه كان عليه أن يتبين ويدقق في الراوي، ومدى الوثوق به، حيث

(١) محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٨٠-٢٢٠.

أنكر الذهبي على رشيد رضا هجومه على كعب الأبحار، ووهب بن منبه، ولم يمحص مروياتهم الصحيح منها والسقيم، وأن الناس ربما كذبوا عليهم، ونسبوا لهم إسرائيليات لم يذكروها، فصاحب المنار عند الذهبي يطعن حتى في بعض الصحابة الذين نقلوا بعض الإسرائيلييات كأبي هريرة^(١).

(١) محمد حسين الذهبي: المصدر السابق، ص ٢١٩، وقد أحالنا الذهبي إلى تفسير المنار، ج ١، ص ٨.

تفاسير الشيعة والإسرائيليات

تفاسير الشيعة كثيرة، سنعرض نماذج للتفاسير التي تعكس أفكار الشيعة الغلاة، ثم نذكر نموذجاً لتفاسير المعتدلين، ولا نريد أن نستغرق في هذا الأمر هنا؛ لأننا سنذكرهم بالتفصيل حينما سنستعرض مسألة تحريف القرآن الكريم، وموقف تفاسير الشيعة منها، كما أننا سنستعرض موضوع الإسرائيليات عند الشيعة، حينما نتناول بالتفسير تأثير الفكر اليهودي على آراء وأفكار الشيعة، فتحليل القارئ لهذه المواضع خشية التكرار، ولكن يستحسن أن نذكر هنا في عجالة جملة من تفاسير الشيعة الاثني عشرية والتعريف بها، إجمالاً، فمنها ما نهجت منهج الغلاة وتأثرت بمروياتهم، ومنها ما هو معتدل نسبياً، مع احتفاظه بأركان وأسس الاعتقاد عند الإمامية.

١ - التفسير المنسوب للحسن العسكري من إملاء ابن سيار وابن زياد، يتناول تفسير الفاتحة وأغلب سورة البقرة، وهو يرشح بالغلو لآل البيت، وفيه من المعجزات والخرافات ما لا يصدق العقل، وأكثر تركيزه على عقيدة الإمامة بأنها بالنص لعلي، وأن الإيمان بها هو أساس الاعتقاد، ومن دونها تقسد جميع الأعمال مهما كانت خيرة.

تذكر رواية عن الإمام الباقر، أن اليهود في المدينة كادوا للنبي ﷺ ولعلي، منهم مالك بن الصيف، وكعب بن الأشرف، وحيي بن الأخطب، وأبو ياسر بن الأخطب، وأبولبانة بن عبد المنذر، وقالوا للنبي ﷺ: (لا نؤمن بك حتى ينطق هذا البساط الذي تحتنا، وهذا السوط بيدنا، وهذا الحمار الذي أمامنا فرد النبي ﷺ: (ألا يكفيكم ما نطق به التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم بنبوتي، وذكر وصية أخي علي بن أبي طالب، فأنطق الله

الثلاثة بذلك، ومع ذلك لم يؤمن هؤلاء، فنزلت الآية: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ٦) (١).

يتبين للباحث هنا أن رواية الشيعة قد استخدموا أسماء يهود المدينة والكتب المنزلة لغرض أساسي هو ولاية الإمام علي، وتعضيدها بالتأويل الباطني بالقرآن والكتب المقدسة، فقد كان هذا في متناول اليد، وقريب من أفكار أولئك الرواة.

وانصافاً للحق فإن كثيراً من علماء الشيعة من رفض نسبة هذا التفسير إلى الإمام العسكري، وتجاهل النقل منه كثير من مفسري الشيعة.

٢ - تفسير القمي: لعلي بن إبراهيم القمي (ت ٢٠٧ هـ)، ومن شيوخ الكليني صاحب الكافي؛ لذا فهو مكثّر من النقل والرواية عنه، وأكثر علماء الشيعة الإمامية على توثيق القمي مع ما أورده في تفسيره من تحريف للقرآن الكريم، وأكثر التحريف الوارد عنده متعلق بإمامة علي ابن أبي طالب، حيث يضيف الاسم إلى الآيات، من أمثلة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ (يا علي) ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (النساء: ٦٥)، وهكذا يقحم اسم الإمام علي عليه السلام، ويستبدل مكانه ربما المعنى في الآية عيسى ابن مريم.

ويؤول الآيات الواردة عن فرعون وهامان بأن المعنى بهما: أبو بكر، وعمر عليه السلام.

إن القمي ورواته مثلهم مثل الرواة الآخرين المتأثرين بالأفكار اليهودية الواردة في التوراة وشروحها، ففكرة الرجعة يدل عليها القمي بآيات قرآنية

(١) محمد بن الحسن العسكري: تفسير القرآن، ص ٣٤.

كثيرة في تفسيره منها: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥)، وفسر القمي قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (النحل: ٢٢) أي لا يؤمنون بالرجعة^(١)، وسنتناول الرجعة عند اليهود وعند الشيعة، مقارنة في مصادر أخرى غير تفسير القمي.

والأثر اليهودي على تفسير القمي، وما ينقل من إسرائيليات، حورها رواة الشيعة، ووضعت بفم الأئمة مثل تأويله الآية: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ٤) إلى فكرة التفويض إلى إمام الزمان إلى ما كتبه الله للخلائق، ومنها أن الأئمة يعلمون الغيب بدليل الآية: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ (٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ (الجن: ٢٦ - ٢٧)، وأشرك القمي الإمام علي بعلم الغيب مع الرسول ﷺ بدليل هذه الآية^(٢).

كما فسر القمي بعض الآيات أنها دالة على ظهور الإمام القائم مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٢٩)، وظهور المنقذ آخر الزمان، وأوردتها التوراة كما سنرى تفصيلاً^(٣).

وذهب القمي بالتأويل الباطني إلى معان بعيدة، ولكنها تخدم غرض الشيعة عموماً، فعند تفسيره لقوله تعالى الموجه صراحة لبني إسرائيل: ﴿لَنُفَسِّدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (الإسراء: ٤)، إنما يعني بها أمة محمد ﷺ؛ لأن الإمام الصادق في زعمه قال: (إن القرآن نزل بياباك أعني، واسمعي يا جارة)، فالعنى ليس بني إسرائيل^(٤).

(١) علي بن إبراهيم القمي: التفسير ج١، ص ٢٨٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي ١٩٩١م.

(٢) القمي: تفسير، ج٢، ص ٣٩٠، وص ١٤ - ٢٠.

(٣) المصدر السابق: ج٢، ص ٨٤ - ٨٥.

(٤) القمي: تفسير، ج١، ص ١٤ - ١٦.

والقمي مثل علماء بني إسرائيل، الذين خصوا اليهود وحدهم بمغفرة الله، وخاصة لعصاتهم، قال في تفسير الآية: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا سَمْعَ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه: ١٠٨)، أن النبي يشفع لعصاة الشيعة، فكلهم يدخل الجنة^(١)، والآية: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ (غافر: ٢)، أنها خاصة بشيعة علي عليه السلام. وهذا هو النهج الذي صار عليه شراح التوراة والتلمود من علماء اليهود.

من هو مؤلف تفسير القمي^(٢)؟

هو علي بن إبراهيم بن هاشم القمي من علماء القرن الثالث الهجري، ينسب لمدينة قم في إيران، التي قصدها المسلمون عند فتح فارس، وسكنها الأشعريون، وكثير من كنده، وكان فيها كثير من الأشاعثة، وكانت موطناً لبعض الغلاة من الشيعة، لدرجة أن أهلها طردوهم منها في ذلك الوقت، لقد كان الأشعث بن قيس من أوائل ولاية هذه المنطقة قبل ولاية الإمام علي عليه السلام، حينما تولى الخلافة، ويبدو أن القبائل اليمانية ضاربة السكنى السكن فيها منذ تمصيرها، روى الكليني عن القمي كثيراً في كتابه الكافي.

والد علي إبراهيم كان كوفيًا، وانتقل إلى قم في أواخر القرن الثاني الهجري، ويبدو أنه من نقلة حديث الشيعة الكوفيين إلى قم، ولعلي بن إبراهيم ابن اسمه أحمد، نقل عنه الشيخ الصدوق ابن بابويه القمي الكثير من أحاديث الشيعة، ولعلي بن إبراهيم مؤلفات كثيرة غير هذا التفسير في موضوعات شتى، ومن هذه الكتب: كتاب الشرائع، فضائل أمير المؤمنين، كتاب المغازي، كتاب الأنبياء.

(١) القمي: تفسير، ج٢، ص ٦٤.

(٢) انظر مقدمة ناشر الكتاب ص ٢-١١، (مؤسسة الأعلمي).

وهذا التفسير عبارة عن روايات أكثرها عن الإمام الصادق أسند القمي الرواية عن أبيه إبراهيم في كثير من الأحاديث.

والرواية عن الصادق تنتهي إلى زياد بن يحيى الأزدي، أما الروايات عن الإمام الباقر فتنتهي إلى أبي الجارود.

يعد هذا التفسير عند كثير من الشيعة الإمامية من الأصول التي قعدت المذهب.

وتفسير القمي يرويه تلميذه أبو الفضل العباس بن محمد بن حمزة، ويقول الناشر: إنه هو الذي أدخل روايات الإمام الباقر التي أملاها على أبي الجارود في أثناء هذا التفسير، كما أضاف بعض الروايات المناسبة عن بعض مشايخه، كما يقول الناشر.

وهذا يعني أن التلميذ قد أدخل نصوصاً جديدة على نص شيخه، ويبدو أن هذا التلميذ هو الذي كتب مقدمة الكتاب، التي تناولت أصول التفسير وقواعده وليته التزم بها. وذلك بعد أن بين مكانة القرآن وما فيه من عبر وحلال وحرام، وما نقله في هذا المعنى من كلام الإمام علي عليه السلام المنسوب إليه، وقال: إن القرآن خاطب الأئمة بقوله: ﴿مَلَأَ آيَاتِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا (القرآن) لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا (أنتم يا معشر الأئمة) شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٨).

ثم ذكر أن القرآن منه ناسخ ومنسوخ و... ومنه على غير ما أنزل الله... ومنه آيات بعضها في سورة وتامها في سورة أخرى. ومنه... ومنه تأويله قبل تنزيله، ومنه... ومنه رخصة ظاهرها خلاف باطنها، يعمل

بظاهرها، ولا يدان باطنها، ومنه ... ومنه مخاطبة لقوم وهو لقوم آخرين، ومنه ... ومنه رد على من أنكر المتعة والرجعة، ومنه ... ومنه مخاطبة الله ﷻ لأمر المؤمنين والأئمة، وما ذكره الله في فضائلهم، ومنه خروج القائم وأخبار الرجعة ... ثم قال: وأما ما كان هو على خلاف ما أنزل الله فهو قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، فقال الصادق لقارئ هذه الآية: (خير أئمة) يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين، يريد بذلك، كيف يكونون خير أمة وقد قتلوا أولئك الأئمة! وقال: أما ما هو محرف منه فهو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (في علي) وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، (المائدة: ٦٧). قوله ... وأورد جملة من آيات ادعى أنها محرفة.

وذكر أن ما تقدم تأويله على تنزيله، فأية الظهار وآية اللعان معروفة، ثم ذكر أن القرآن فيه ردود على جميع أصحاب المقالات والفرق، وبسط تفصيل ذلك، لكنه لم يذكر أي رد على مقولات الشيعة المعروفة، وإن تعددت فرقتها، مع أنه ذكر الرد من القرآن على المعتزلة^(١).

ثم يأتي نص تفسير القمي بادئاً ببسم الله ثم أحاديث يرويها في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، وهكذا...

ويبدو أن القمي قد كتب تفسيره قبل استقرار الآراء الفقهية للشيعة الإمامية؛ لأنه يورد الكثير من الآراء على خلاف ما عليه أو ما استقر في مذهب الاثنى عشرية، مثل تفسيره للآية: ﴿يَسَاؤُكُمْ حَرْبٌ لَكُمْ فَاتُّوا حَرْبَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، قال: أي متى شئتم، وأن العامة (السنة) قد ذهبوا

(١) انظر مقدمة الكتاب ص ١٢ - ٣٩.

في تفسيرها حيث شئتُم في القبل أو الدبر، وهكذا يدل من القمي، إما على قلة علمه، أو أنه تعمد إصاق التهمة هذه بالسنة^(١).

والقمي يروي عن رجال مطعون فيهم من أصحاب علم رجال الشيعة، أمثال أبو الخطاب، (انظر الرواية عنه في ج ١ ص ١٠٥).

وذكر القمي لتحريف القرآن الكريم كان في مواضع كثيرة خاصة تلك التي تصدق مع عقيدة الشيعة، فمثلاً عندهم أن الأئمة الاثني عشر هم المفضلون عن العالمين عند الله، وحينما يأتي إلى تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣)، يقول: إن ذلك: في وقتهم فقط؛ لأنه قد حصل تحريف وأورد النص الآتي: (قال العالم عليه السلام نزل وآل عمران وآل محمد على العالمين فأسقطوا آل محمد من الكتاب)^(٢).

(١) انظر مقدمة الكتاب، ص ١٣ - ٣٩.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ١٠٨.

بعض الاسرائيليات في تفسير القمي

خلق الإنسان

في تفسيره للآية: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤). ينسب الرأي للصادق: أن الله أمر الملائكة بعد خلق آدم بالسجود له، فسجدوا إلا إبليس، حسد آدم على هذه المكرمة. وكان الله قد خلق في الأرض خلقاً غير آدم، فأفسدوا فيها، فبعث الله الملائكة فقتلوهم، وأسروا إبليس ورفعوه إلى السماء. وقال المؤلف في رواية أخرى: إن الملائكة تعجبوا، واعترضوا كيف يجعل الله في الأرض خليفة من جنس يفسد في الأرض، بينما هم لا يفسدون، أي إنهم يصلحون أن يكونوا خلفاء بدل خلق آدم. فرد الرب إنني أعلم ما لا تعلمون. فأبعدهم الله من العرش، ولكن نزلت عليهم رحمة الله، ووضع لهم البيت المعمور، ليطوفوا فيه، فهو توبة لأهل السماء، ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض، وقال المؤلف: إن الله بعد أن تاب الملائكة من اعتراضهم، عزم على خلق آدم، فأخذ غرفة من الماء العذب، فخلق منه الأنبياء والأئمة الصالحين و... ثم أخذ غرفة من الماء المالح، فخلق منه الجبارين وإخوان الشياطين، قال: وشرطه في ذلك البدء، ولم يشترط في أصحاب اليمين.

ثم نسب المؤلف القول للإمام أبي جعفر أنه وجد في كتاب الإمام علي، أن إبليس تحاور مع الرب في طلب غواية بني آدم، وأن يجري بهم مجرى الدم إلى يوم القيامة، فأعطاه الله ذلك.

وأورد رواية أخرى أن آدم اعترض على ما أعطى إبليس من تمكين، وسأل آدم الرب ماذا تعطيني؟ فأجابه الرب: الحسنه بعشر أمثالها، وسيثتكم بمثلها، والتوبة لك ولولدك حتى تبلغ الحلقوم.

ثم أورد روايات أخرى يعكس فيها أن إبليس هو الذي وسوس لآدم وحواء أن يأكلا من الشجرة المحرمة، طلباً للخلد والملك، فلما أكلها منها سخط الله عليهما، وسأل جبريل آدم: لم عصيت الله؟ فقال: إن إبليس أقسم بالله ولم أعلم أنه يكذب علي.

كما أورد الكاتب رواية أن موسى سأل أن يجمعه بآدم، فتم له ذلك فسأله: لم عصيت ربك؟ فرد موسى عليه، (بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين ألف سنة، قبل أن خلق الله آدم قال هو ذلك، قال الإمام الصادق: حج آدم موسى عليه السلام).^(١)

وأورد المؤلف رواية كيف أن آدم حينما جاءه الغم بعد طرده من الجنة، وشكا ذلك إلى جبريل، طلب جبريل من آدم أن يقوم بمناسك الحج لمكة، ويتوب ويدعو، فعرض له إبليس عند العقبة، فأمر جبريل آدم أن يرمي إبليس بعشر حصيات^(٢).

وفي تفسير الآية المتعلقة بطلب موسى لبني إسرائيل أن يذبحوا بقرة. قال المؤلف: إنه كان في بني إسرائيل ولد صالح خطب امرأة، فحسده ابن عمه وقتله غيلة، فنجي بالقاتل لموسى وهم لا يعرفون قاتله. وكان في بني إسرائيل أيضاً؛ ولد صالح لديه سلعة يريد بيعها، وقد حضر المشترون، ولكن

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٩.

مفتاح البيت تحت وسادة أبيه النائم، فكره إيقاظه وفات عليه البيع والريح، فلما استيقظ الأب سأل ابنه: هل بيعت سلعتك؟ فأخبره أنه كره أيضاً إيقاظه لأخذ المفتاح من تحت وسادته، فأهدى الأب للولد بقرة عنده، ولأجل معرفة موسى للقاتل أمر بني إسرائيل بذبح بقرة، بذات صفات تلك البقرة، فاشتروها بذهب كثير من ذلك الابن الصالح، وطلب موسى بعد ذبحها، أن يضرب بذيلها القتيل، فلما فعلوا ذلك تكلم الميت، وقال: قتلني ابن عمي فلان^(١).

وفي معرض جملة من الآيات قال: إنها نزلت في اليهود منها: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠)، عن عذابهم بالنار، قال: أين الأيام التي عبدوا فيها العجل. كما أورد الآيات التي توصم اليهود بتحريف التوراة وهم يعلمون، وذلك لهوى في أنفسهم.

ويضع المؤلف الرواية أن عطاء بمكة، فسأل الإمام أبا جعفر عن الملكين هاروت وماروت، الواردين في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ (البقرة: ١٠٢)، فقال: إن الملائكة كانوا ينزلون إلى الأرض، فوجدوا فيها العصيان والكفر والقتل، فضج أهل السماء بما فعل أهل الأرض، فتعجبوا ألا يغيض ذلك الرب سبحانه، فأوحى الله للملكين أن يهبطا إلى الأرض، بعد أن جعل فيهما طبع الشره للطعام والشرك بالله، والزنا، وكل ما جعله من طبع لبني آدم، فهبطا ناحية بابل، فوجدا امرأة وقعت في قلوبهما فراودوها فأبى، إلا أن يسجدا لصنمها، ثم أن يشربا الخمر، ففعلوا فدخل عليهم رجل، فطلبت منهم المرأة

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٦٠.

قتله كي لا يجمعها، فقتلاه ثم هربت المرأة، ولم يتمكن منها، فقال لهم رب العزة: كيف تشركان بي وتشربان الخمر، وتقتلان الرجل، وتؤيان الزنا، وكنتما تعترضان على فساد أهل الأرض، فاخترتا عذاب الدنيا، أو عذاب الآخرة، فاخترتا عذاب الدنيا، فكانا يعلمان السحر ببابل؛ ليفرقا بين المرء وزوجه، ولم يزالا في العذاب معلقين في الهواء إلى يوم القيامة^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى حاكياً عن بعض بني إسرائيل الذين قالوا لنبيهم: ﴿أَبْتَنَّا لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٤٦)، نبيهم، المقصود بقوله إنه إرميا والملك المتسلط عليهم هو جالوت من القبط.

فبعث الله لهم طالوت ملكاً، وكان قوياً ولكنه فقير، فاعترضوا كيف يكون له الملك، ولم يؤت سعة من المال، ولكن الله نبههم أن آية ملكه عليهم، أن يأتيهم تابوت موسى فيه سكينة لهم في الحرب، وهو كما يقول: التابوت الذي وضعت أم موسى صبيها فيه، وبقي عند موسى يضع فيه الألواح، التي أوحى الله له فيها من تعاليم لبني إسرائيل، وقال: إن هذا التابوت أهمله بنو إسرائيل بعد موسى حتى غدا لعبة للصبيان، فرفعه الله إليه ثم أنزله في وقت طالوت.

وأورد المؤلف تفاصيل عن الحرب بين طالوت وجالوت، ولباس أصحاب طالوت درع موسى، وكيف ابتلاهم الله بنهر، وهم في فلاة عطشى، فأمرؤا ألا يشربوا، وقال: إن الذين شربوا من النهر ستون ألف رجل، وهؤلاء هم الذين قالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت، ثم يورد تفاصيل القتال بالحجارة، وكيف قتل داود جالوت، وانتصروا^(٢).

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٦٦ - ٦٨.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ٨٨ - ٩١.

وفي تفسيره لآية الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (البقرة: ٢٥٥). يرفع الرواية عن الأصبع بن نباتة عن الإمام علي عليه السلام، أن الكرسي أوسع من السماوات والأرض، وأن كل ما فيهما هو في جوف الكرسي، وأن الكرسي يحمله أربعة من الملائكة، أحدهم على هيئة آدميين، وهو أكرمهم عند الله، والثاني في صورة ثور، وهو سيد البهائم، والثالث في صورة النسر، والرابع في صورة الأسد، وكل يطلب الله الرزق لبني قومه. ويضيف - والكلام منسوب للإمام علي عليه السلام - أن الثور كان أحسن الصور، ولذا عبده بنو إسرائيل، فخفض الثور رأسه استحياء من الله^(١).

وبجاري القمي حقد بني إسرائيل على نبوخذ نصر، وذلك عند تفسيره للآية: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩)، في تفاصيل طويلة، مفادها أن نبي الله إرميا أمره الله أن يعذب بني إسرائيل الذين عنده، بسبب فسقهم، فقال: إن فيهم الطفل والضعيف، فكيف أفعل ذلك؟ فمر على امرأة بني تطعم ولداً مرمياً في مزبلة خبزاً منقوعاً بحليب الخنزير، فكان ذلك الغلام؛ هو نبوخذ نصر، الذي سلب على بني إسرائيل وهدم هيكلهم، وفيما بعد أخبر دانيال نبوخذ نصر أنه سيقطله رجل من فارس، وهذا كما تقول رواية القمي: ما حصل حيث قتل نبوخذ نصر وجميع من حوله، فخرج دانيال بين القتلى الكثيرين، وتعجب كيف يحيي الله هذه الأرض بعد تلك المذبحة، فأماته الله مئة عام ثم بعثه، وأراه الله كيف يحيي عظامه وعظام حماره^(٢).

(١) القمي: تفسير، ج١، ص ٩٠ - ٩٢.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص ٩٧ - ٩٨.

ويعرض القمي محاورة بين الإمام أبي جعفر، وأحد رجال الدين من أهل الكتاب، يكرر فيها سيادة علم أبي جعفر وشهادة الحبر النصراني على علمه، وأنه من الأمة المرحومة^(١).

٣ - تفسير العياشي

هو محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠ هـ) الكوفي السمرقندي، روى عنه الكشي صاحب الرجال، وعند أكثر رجال الشيعة أن العياشي ثقة صدوق، عده النوري من جملة القائلين بتحريف القرآن مثل القمي^(٢)، وقد ذكر العياشي في تفسيره قوله تعالى: ﴿بَشَرًا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ (البقرة: ٩٠)،^(٣) والعياشي على رأي، أن القرآن زيد فيه، وأنقص منه، وينسب ذلك رواية للإمام الصادق، ولو تتبعنا مواضع تحريف القرآن عند العياشي، لطال بنا البحث، وخرج عن هدفه.

وقد شاب العياشي شراح التوراة، حينما قام بتأويل كثير من الآيات، للطنين في الصحابة عليهم السلام، وخص أبا بكر وعمر رضي الله عنهما^(٤).

كما ذهب في تفسير بعض الآيات لمعانٍ فيها غلو بالأئمة كنسبة معرفة الغيب لهم ومعجزاتهم المكررة في كتب الشيعة^(٥).

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ١٠٧.

(٢) حسين النوري: فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، ص ٣٦.

(٣) العياشي: تفسير، ج ١، ص ٢٢٢.

(٤) العياشي: تفسير، ج ١، ص ٧٢ - ٧٣، وص ٢٥٥ - ٢٥٧.

(٥) العياشي: تفسير، ج ١، ص ١٢، وص ٦٢، وص ٢٣٠، وج ٢ ص ١٤٢.

وسنتناول المقارنة بين ما ورد في اليهودية من أفكار نقلها رواة الشيعة، متأثرين بالإسرائيليات وشروح علماء اليهود.

٤ - تفسير التبيان

لمحمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) والطوسي هو تلميذ الشيخ المفيد (ت ٤١٣)، وقد شرح كتاب الفقه للمفيد المسمى (المقنعة)، وسماه كتاب تهذيب الأحكام، وذلك عن طريق جمع روايات الأحاديث الدالة على أبواب الفقه، والطوسي هو مؤلف كتاب الاستبصار، وهذان الكتابان يعدان من الكتب الأربعة (إضافة للكافي ومن لا يحضره الفقه)، وله مؤلفات كثيرة، ولذا سموه بشيخ الطائفة.

وعموماً فإن تفسيره التبيان، يعد من التفاسير المعتدلة، يخلو من الادعاء بالزيادة والنقصان، فلم يتابع شيخه المفيد، حتى إن بعض علماء الشيعة عد تفسير التبيان من مؤلفات الطوسي التي جامل وداهن فيها العامة، وقد صرح الطوسي في تفسيره: أنه لا يحيد عن معاني اللغة العربية^(١)، ولم يجنح أو يساير المتأولين، ولم يدع بأن للآيات معاني ظاهرة وباطنة، كما هو الحال في التفاسير الثلاثة السابقة، التي ألفها شيعة القرن الثالث الهجري التي يتضح فيها الغلو كما عرضنا، وربما يعود سبب اعتدال الطوسي في تفسيره هذا لكونه كان شافعيًا حينما كان في طوس (الشهد)، ولما انتقل إلى الكوفة وبغداد والنجف انقلب شيعيًا، فتأثر الحكم البويعي للعراق وإيران في هذه المدة، وحين احتلال السلاجقة العراق هرب الطوسي من بغداد إلى النجف، وقد انتهت كتبه أو أحرقت كما قيل.

(١) الطوسي: التبيان، مقدمة الكتاب في الجزء الأول ص ١٥-١٧.

ولا شك أن الطوسي قد تعرف إلى تفاسير علماء الشيعة قبله، التي يقول فيها مؤلفوها بالهوى والتشهّي، يقول الطوسي: (ينبغي لمن تكلم في تأويل القرآن أن يرجع إلى التاريخ، ويراعي أسباب نزول الآية، على ما روي، ولا يعول على الآراء والشهوات)^(١)، ولا يفهم من هذا أن الطوسي يتخلّى عن أركان عقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشر، خاصة تلك المتعلقة بالإمامة، يذكر الطوسي أن سبب نزول الآية: ﴿وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (الزخرف: ٥٧)، أي يصدون عن ولاية علي رضي الله عنه، كما يراها الطوسي^(٢).

٥- كنز العرفان في فقه القرآن

للمقداد بن عبد الله السيوري الحلي (من علماء القرن التاسع الهجري)، وهذا التفسير خصه كاتبه بالأحكام الفقهية فقط، وفيه انتصار لأفكار الشيعة الاثني عشرية في كيفية الوضوء (مسح الرجلين)، ومسألة الطلاق الثلاث في مجلس واحد يعد طلاقاً واحدة، وهو مبدأ معروف ومشهور في الفقه الجعفري. وفي ذلك أيضاً الحكم بنجاسة أهل الكتاب، نجاسة عينية لا حكمية؛ لأنهم مشركون، وكل مشرك يعد كافراً، ويدخل في ذلك كل من أنكر الإمامة إذا بلغته وجوبها عليه بالنص، ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨).

وفي الصلاة على النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، الصلاة واجبة في أثناء الصلاة المكتوبة على الرسول ﷺ، وعلى الأئمة، أما في غيرها فمستحب.

(١) المصدر السابق: ج٩، ص ٣٢٥.

(٢) المصدر السابق: ج٩، ص ٢٠٩.

وهذه من الزيادات التي زادها الشيعة الاثنا عشرية على الصلاة المكتوبة وجوب الصلاة على الأئمة المعروفين عندهم، وهو لم يقله بقية المسلمين، ويعمل الكاتب ذلك لأنهم معصومون مثل الرسول ﷺ^(١).

٦- تفسير شبر

وهو للسيد عبد الله شبر (ت ١٢٤٢ هـ). وهذا التفسير وإن لم يساير أقوال الشيعة في تحريف القرآن الكريم صراحة، إلا أنه ينتصر لمبادئ الاثني عشرية في التقية والرجعة والإمامة والعصمة... إلخ، ففي تفسيره للآية ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، أي ولتكن منكم أئمة وهم الاثنا عشر، كما يساير شبر التفسير التي تطعن في الصحابة، وخاصة الخلفاء الراشدين، والسيدة عائشة رضي الله عنها، فالآية المتعلقة بليلة القدر: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ (القدر: ٤)، تنزل الملائكة على النبي، والأوصياء بعده. والآية القائلة: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (الماح: ١)، أي بعذاب واقع بالمنافقين، الذين أنكروا يوم الغدير ولاية علي رضي الله عنه^(٢).

٧- تفسير الصافي

وهو لمحمد بن المرتضى المدعوب بمحسن، انتهى من تأليفه سنة ١٠٧٥ هـ، جمع فيه مؤلفه أقوال الغلاة من الشيعة، وخاصة ما تعلق منها بتحريف القرآن الكريم، ثم رجع في ذلك لكتب التفسير قبله، وكتب الحديث أيضًا، وفي تفسيره

(١) كنز العرفان في فقه القرآن: المقداد بن عبد الله الحلبي. ص ٨ - ٢٢، ص ٧٠ - ٨٠.

(٢) تفسير شبر: السيد عبد الله شبر، ص ٩٦ - ٩٧، ص ١٤٥ وما بعدها، ص ٢٣٨، ص ٢٠٤، ص ٥٣١، ص ٥٦٢.

هجوم على صحابة الرسول ﷺ، ويرميهم بالنفاق، ويدعي أن مصادره في التفسير ترجع إلى الأئمة الاثني عشر.

وذكر أن المنافقين أسقطوا الكثير من القرآن، وقدر في بعض الأماكن سقوط ثلثه، وقد رد على بعض علماء الشيعة القائلين بتمام القرآن وعدم تحريفه، أمثال الشيخ الطوسي والصدوق والطبرسي، وينقل آراء من سبقه من المفسرين الشيعة^(١)، خاصة تفسير القمي، وما ورد فيه من القول بتحريف القرآن الكريم.

٨- البرهان في تفسير القرآن

وهو لهاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، يرى البحراني أن القرآن الكريم لم يجمعه أحد كما أنزل إلا الأئمة، وفي هذا التفسير آراء للفلاة من مفسري الشيعة، وقد نهج منهج المتأولين الباطنيين، فقد ذكر رواية عن الإمام الصادق بأن القرآن قد نزل بـ (إياك أعني واسمعي يا جارة)، وهذا سبيل من سلك من الشيعة بالهجوم على الصحابة ﷺ أجمعين، وركز المؤلف كثيراً في تأويل الآيات الصالحة للاحتجاج، لإمامة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتفضيله بل والمغالاة فيه، والقول: إن الظالمين قد اغتصبوا حقه.

وتفسيره الباطني بعيد إلى درجة مثلاً يفسر آية: ﴿وَفَضَّلْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَنُفِيدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (الإسراء: ٤)، أي أنتم يا معشر أمة محمد ﷺ. وأما تفسير: ﴿غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْفَاسِقِينَ﴾ (الفاتحة: ٧)، فهم الشكاك في دين الشيعة. ويقوم بتحريف الآيات مثلاً، فيقول: (كتاب علي لا ريب فيه)، زاعماً الآية هكذا أنزلت^(٢).

(١) تفسير الصافي: محمد بن المرتضى، ج ١، ص ١٨ - ٢٠، وص ٢٠، ج ٤، ص ١٢٢.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: هاشم البحراني، ص ١٥ - ٢١، وص ٢٤ - ٢٧، ص ٤٧ - ٥٢.

٩- تفسير (الميزان في تفسير القرآن)

وهو لمحمد حسين الطباطبائي، وهو من التفاسير الحديثة، وهو أقرب للاعتدال منه إلى الغلو، مع أنه يورد بعض الروايات التي كان أصحابها يستدلون بها على التحريف، ولكنه يوردها على سبيل البيان والتفسير، أي إنها ليست من نص القرآن، بل هي تأويل له وإيضاح، ولما كانت الولاية ركن عند الاثني عشرية من أركان الدين، لا يصح دين المسلم إلا بها، فإن الكاتب يستغرق في تأويل الآيات التي سبقه مفسرو الشيعة في تأويلها، على أنها دالة على ولاية الإمام علي عليه السلام، فعنده مثلاً طاعة الله والرسول واجبة، أما أولو الأمر فهم الأئمة الاثنا عشر، فهم أولو الأمر المعصومون في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩).

وصاحب الميزان يورد الروايات الإسرائيلية، ولكنه كغيره من علماء الإمامية ينسبها إلى الأئمة خاصة الإمام الصادق، وهذا هو شأن تفسير القمي، ويستخدم الرواية هو ورواته الذين ينقل عنهم في الاحتجاج لولاية وعصمة الأئمة، ففي موضوع أكل آدم من الشجرة المحرمة، ومحاولة آدم الحصول على الخلد، قال: إن الله قال لآدم ارفع رأسك. فنظر آدم إلى الساق فوجد مكتوباً عليه اسم علي بن أبي طالب عليه السلام، وفاطمة وبقية الأئمة.

وهكذا فإن الروايات الإسرائيلية التي نجدها مثلاً في تفسير الطبري وابن كثير نجدها هنا محورة كثيراً، منسوبة للأئمة، ويدخلون فيها معاني وأقوالاً لم يسبقهم أحد إليها، وذلك لمجرد الانتصار لرأي المذهب في الإمامة.

والروايات الإسرائيلية مثلاً عند الطبري وغيره حينما يتحدثون عن تأويل الآية: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٧)، فإن صاحب

الميزان كغيره ممن سبقه من الاثني عشرية يقول: إن الكلمات التي تلقاها آدم بالتوبة بعد أن سأل بحق محمد وعلي والحسن والحسين، فشفع الله لأدم بهم، وغفر له خطيئته^(١).

١٠ - التفسير الكاشف

وهو لمحمد جواد مغنية، وهو تفسير حديث ابتعد فيه صاحبه عن الغلو المعهود في تفاسير الشيعة، وقد التزم فيه الأخذ غالباً بالمعنى الظاهري الذي تقتضيه قواعد اللغة العربية، وعمد إلى تفسير القرآن بالقرآن، كمنهج إذا أمكن ذلك، وألا يرجع إلى الأحاديث الثابتة عنده عن الأئمة، مع ابتعاده عن روايات الغلاة والأساطير غير المعقولة، التي لا يتحملها الزمن الحديث، وقد مرت على علماء الشيعة السابقين، على شكل روايات عن الأئمة من رواة كذبة، مع الأسف يكذبون على الأئمة، وينقلون عن التراث التوراتي، كما هو مبين في هذا البحث.

والاعتدال واضح في منهج المؤلف، فهو حينما يتعرض لتفسير الآية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْنَصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: ١١٣)، قال: هذه أمم تكفر بعضهم بعضاً، فما بال المسلمين اليوم يكفر المسلم أخاه المسلم، وهو يتلو كتاب الله سبحانه، وذكر وجوب التأسّي بالإمام علي بن الحسين زين العابدين، حينما دعا للمهاجرين والأنصار بالرحمة، وكان الكاتب يرد على من يقول من الشيعة بكفر وردة أكثر الصحابة من المهاجرين والأنصار.

(١) تفسير الميزان: للطباطبائي ج١، ص ٩ - ١٢، ص ١٤٤ وما بعدها.

ولكون موضوع الإمامة والولاية ركن في الدين عند الاثني عشرية، فإن الكاتب لا يخرج عن هذا المفهوم العام حينما يتعرض للآيات المتعلقة بأولي الأمر، أما تلك التي تشير في رأيه إلى الإمامة، ويبدو أنه يمتدح بما أورده من حديث منسوب للإمام علي عليه السلام عن القرآن الكريم: (ذاك القرآن الصامت وأنه القرآن الناطق). وهو يمتدح بعصمة آل البيت وإمامتهم كما هو في المذهب^(١).

من هم رواة الإسرائيليات

يبدو أن نقلة الإسرائيليات من رواة القرن الأول الهجري، كانوا قلة؛ لعدم الانشغال كثيراً في تفسير القرآن الكريم والكتابة فيه، بخلاف الحديث الذي اتسع نقله وكتابته في أواخر القرن الأول وما بعده، ونقلة الإسرائيليات من الصحابة قلة، وهم بلا شك عدول صادقون، وما نقلوه يعد غاية علمهم ومعرفتهم، أما من التابعين فكانوا في العدد أكثر؛ لاتساع النقل ودخول الناس في الإسلام وتوالي الفتوح، وهذا أمر طبيعي، وسنلقي الضوء سريعاً على حملة الإسرائيليات عموماً، ولكن البحث سيركز على بعض رجال الشيعة الذين نقلوا الإسرائيليات، وتأثروا بها في رواياتهم ومدوناتهم.

ثم عموماً أثرت اليهودية على التشيع وليس الإسرائيليات وحدها، فهي فرع صغير من الأثر اليهودي على بعض المسلمين.

إن نقلة الإسرائيليات منهم الثقات الذين ينقلوه ما قرؤوه صحيحاً، وقد يكون عندهم رأي ثاقب في رد هذه الإسرائيليات وتكذيبها، أو ربما

(١) التفسير الكاشف: محمد جواد مفنية، ج١، ص ١٦ - ٢٥، ص ١٨٠، ص ١٩٦ - ٢٠٠.

السكوت عنها؛ لعدم قدرتهم على الحكم عليها، وقد يكون الرواة أولئك من الكذبة الذين يسخرون الإسرائيليات لمقاصدهم الفكرية، لإقتناع الآخرين وتبني وجهة النظر اليهودية، ومن هنا تأتي الخطورة على ثقافة الأمة وعلومها، حيث يتزايد بعض الرواة، فيزيدون من عندهم أفكاراً على تلك الإسرائيليات، معززين وجهة نظرها، وهذا ما حصل عند بعض الفرق الإسلامية، وخاصة عند بعض فرق الشيعة، حيث سنأتي على تفصيلها.

من الصحابة

١ - عبد الله بن عباس (ت ٥٨ هـ)

كانت سن ابن عباس حين وفاة الرسول ﷺ بين العاشرة والثالثة عشرة، على اختلاف الروايات، وكان ذكياً من بيت النبوة لا يرد سائلاً، اشتهر بالعلم والجرأة في الفتيا، ولهذا تعرض إلى نقل الإسرائيليات عن علم بمصادرها، ولكن يبدو أن المنسوب لابن عباس من الإسرائيليات كثير ربما لم يقله، وإنما تقوله عليه بعض الرواة، والكتاب في العصر العباسي؛ تقريباً لسلطان بني العباس؛ لأنه جدهم.

تذكر الروايات أن مصدر ابن عباس، كان أبو رافع القبطي، مولى رسول الله ﷺ، وقيل مولى للعباس بن عبد المطلب، أسلم أبو رافع قبل غزوة بدر، ولم يشهد لها.

روى عنه ولده رافع وتوفي بالمدينة، ولا يبعد أن يكون ابن عباس بالإسرائيليات، من أبي رافع ذي الأصل النصراني، ومن بعض الصحابة خاصة أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، المشهور في نقل الإسرائيليات، فقد نسب إليه الكثير^(١).

ذكر الشيخ محمد أبو شهبه عن مرويات ابن عباس أن فيها الصحيح والحسن والضعيف، بل الموضوع شيء كثير^(٢). ونشير إلى أن الضعف أو الكذب لم يأت من طرف ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فهو ثقة، ولكن العلة منصبة على من نقل

(١) ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٩٢، وج٧، ص٦٥.

(٢) محمد أبو شهبه: الإسرائيليات والموضوعات، ص٩٠، القاهرة ١٩٨٤.

من ابن عباس من جهة، أو من روى تلك الإسرائيلية من مصادرها الأصلية، وهو يعلم بفسادها، وكذب أصحابها، وأنها مجرد خرافات، وشأن ابن عباس هذا شأن كثير من الصحابة والتابعين الذين نقلوا أو روى تلك الإسرائيلية.

٢ - عبد الله بن عمرو بن العاص

هو من صفار الصحابة سناً أسلم قبل أبيه، قيل: إنه كان يقرأ التوراة، وذكر أنه كان يعرف اللغة السريانية، اشترك في معركة اليرموك، وغنم حمل بعيرين من كتب أهل الكتاب، حيث استهواه ما فيها من علوم وأخبار، وهذا مصدر واضح لنقله للإسرائيليات^(١).

٣ - عبد الله بن سلام

أصل اسمه الحصين بن سلام بن الحارث اليهودي الإسرائيلي، ويكنى بأبي يوسف، سماه رسول الله ﷺ عبد الله بن سلام وبه اشتهر، وكان حبراً لليهود في المدينة قبل إسلامه، فهو ضليع بعلم التوراة والإسرائيليات، وقد حسن إسلامه، وقيل: إن الآية الكريمة: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ (الأحزاب: ١٠)، نزلت فيه، إن عبد الله بن سلام لم ينسب له رواية عن النبي ﷺ، ذكر فيها إسرائيلييات، وإنما روي عنه هو مباشرة قصص وأحداث وردت في التوراة، وهذه إن كانت إسرائيلييات، لكن ابن سلام صحيح فيما نقل ثقة، ولكن ابن سلام لم يدع إلى بدعة وردت في الإسرائيليةيات، أو أنه تبني رأياً يهودياً مخالفاً لما عليه القرآن والمسلمين، وهذا شأن الصحابة جميعاً.

(١) ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ١١٤.

٤ - أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي^(١)

قدم على الرسول ﷺ من اليمن، وأسلم عام خيبر، عن ثمان وعشرين سنة، وصحب رسول الله ﷺ وكان فقيرًا معدماً، أكثر الحديث عن الرسول ﷺ، فرد عمر وعثمان وعائشة بعض مروياته، وقيل: إنه كان يروي عن الصحابة في كثير من الحالات، وليس عن الرسول ﷺ مباشرة. ذكر أنه كان يصرع في المسجد من شدة الجوع، وذكر أن أبا هريرة لا يكتب، وأنه كان يروي الكثير؛ لأنه كان يسأل عن الكثير، يسأل الرسول ﷺ، ويسأل من عنده علم من الصحابة رضي الله عنهم، ولا شك أنه كان صادقاً عدلاً، ولكنه كأي بشر يعتريه ما يعتري أي إنسان من ضعف ومرض وشيبة ونسيان، وكان أبو هريرة يسأل كعب الأخبار الذي قدم من اليمن بحصيلة كبيرة من العلم بالإسرائيليات، ومن كثرة ما تعلمه أبو هريرة من أخبار التوراة، فقد شهد له كعب الأخبار، حسبما تنقل بعض الروايات، أنه برغم عدم قراءته للتوراة فهو عالم بما فيها، حسبما نقل الذهبي في تذكرة الحفاظ. توفي أبو هريرة عن ثمان وسبعين سنة، وهذا العمر المديد يفسر كل رواياته.

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص ٣٦٤

رواة الإسرائيليات من التابعين

١ - كعب الأحبار

هو كعب بن ماته الحميري اليمني، قدم المدينة من اليمن في خلافة أبي بكر، وقيل: بل عمر رضي الله عنه، وفيها أسلم وكان يهودياً، ولهذا ينسب بالأحبار، وقد والى العباس بن عبد المطلب، اتصلت صحبته بأبي هريرة الذي أخذ عنه كثيراً من الإسرائيليات، وأخبار التوراة كما قدمنا.

ثم أيضاً هو صاحب لابن عباس هو الآخر مهتم بعلم كعب ورواية الإسرائيليات كما قدمنا، وقد قيل: إن كعباً أسرف في رواية الإسرائيليات، ووجد حوله أناس متعششون للعلم لا سابقة لهم، في علوم أهل الكتاب^(١)، قيل: إنه إضافة لخته لقراءة القرآن فإنه كان يختم قراءة التوراة، في ستة أيام ويدعو من يسمعه في يوم ختمها، حيث يدعي نزول الرحمة، وربما نسب له آراء غير معقولة، مثل سؤال معاوية له: أنت الذي قلت: إن ذا القرنين يربط خيله بالثريا؟ فرد عليه بالآية: ﴿وَأَنبِئْهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِّأً﴾ (الكهف: ٨٤)، ولم يقل: إن ذلك وجده عند أهل الكتاب^(٢)، وقد شهد كعب الأحبار بغزارة العلم الصحابي أبي الدرداء فقال: (إن عند ابن الحميري لعلماً كثيراً)، بينما تذكر بعض الروايات أن عمر رضي الله عنه هددته بالنفي إلى أرض القردة.

٢ - ابن أبي فروة الأزدي

مختلف في اسمه، قيل: هو أبو الجلد الجوني (حي من الأزدي)، وقيل: اسمه جيلان بن فروة، كما ورد في بعض المصادر: أبو الخلد غيلان بن فروة،

(١) ابن سعد الطبقات، ج٧، ص٤٤٥، وما بعدها.

(٢) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات، ص١٤٤ - ١٤٥.

ذكر أنه قرأ كتب اليهود والنصارى، وقد طعن بعض رجال الحديث بروايته عن رسول الله ﷺ، وقيل: إن ابن عباس كان يسأل عن بعض الأمور^(١)، وربما تعدى السؤال إلى الإسرائيليات، ما زال عالماً بالتوراة والزيور كما ذكر، وذكر المستشرق جولد زيهر أن ابن عباس كان يسأل أبو فروة عن الإسرائيليات، وأن ابنة أبي فروة ذكرت أن أباهما هو الذي يختم القرآن في سبعة أيام، وبالتوراة في ستة؛ طلباً للرحمة^(٢).

٣ - عامر بن عبد الله بن عبد القيس العنبري

تذكر المصادر علمه بالتوراة وعلوم أهل الكتاب وشغفه في روايتها، ونقل عنه أنه يتشبه بإبراهيم الخليل، فلا يأكل اللحم ولا السمّن، وهو أمر قد ورد في شروح التوراة، ويعد كعب الأخبار من شيوخه، وقد شهد له مالك ابن دينار، أنه راهب هذه الأمة مع معرفتهم لا رهبانية في الإسلام^(٣).

٤ - وهب بن منبه الصنعاني (٣٤ هـ - ١١٤ هـ)

قيل: إن أصل أبيه فارسي من هراة، أرسل إلى اليمن في جيش كسرى، وعلى كل حال يبدو أن علم وهب بن منبه بالإسرائيليات واليهودية عموماً كان في اليمن لإشاعة علوم اليهود فيها، كما ذكرنا، ونقل عنه أنه يذكر عن نفسه أنه جمع علم عبد الله بن سلام وكعب الأخبار، ذكر له كتاب في القدر، وربما بث من خلاله كثيراً من الإسرائيليات.

(١) ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ١٨٢.

(٢) محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص ١٠٧، ص ١٠١.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص ١٠٤ و ١١٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص ١٠٢.

ويذكر أنه أسرف في رواية الإسرائيليات، وهي مبثوثة في كتب التفسير والحديث والمغازي والملاحم التي نقلت عنه، وكما هو معلوم فإن الذين شغلوا بالقول بالقدر كانوا متأثرين بما عند اليهودية من أقوال حول الموضوع، وقيل: إنه رجع عن القول بالقدر، ووثقه بعض المحدثين^(١).

٥ - مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)

رواياته أكثرها مبثوثة في تفسير القرآن الكريم؛ ولذا سمي بالمفسر، أشار ابن خلكان إلى أن أكثر المحدثين لا يوثقونه، وأنه كان يفسر القرآن الكريم بما جاء عن اليهود والنصارى صراحة، قال عنه أبو حاتم: إنه يأخذ من اليهود والنصارى، ونسب له بعض الأقوال في تشبيه الخالق على ما عند اليهود، قال عنه الذهبي: إنه متروك الحديث، ونقل عن الشافعي أنه يوثق تفسيره، توفي مقاتل سنة ١٥٠ هـ في البصرة^(٢).

٦ - محمد بن إسحاق بن يسار

أسرف ابن إسحاق في رواية الإسرائيليات، خاصة المتعلقة بخلق السماوات والأرض وتواريخ الأنبياء وأخبارهم، مفسراً بذلك ما ورد مجملًا عن ذلك في القرآن الكريم، قال الذهبي: إنه كان يحدث عن أهل الكتاب، اتهمه بعض المحدثين بالتدليس، وأنه كان يحدث عن يهودي اسمه يعقوب، ويبدو أنه متأثر بما عند اليهود من تشبيه الخالق تعالى الله عن ذلك، نقل عن الإمام مالك أنه كان يعد ابن إسحاق كذاباً، ويبدو أن لمالك رأياً في نفي ابن إسحاق وطرده من المدينة، وقد اتهم ابن إسحاق بأنه يتشيع وينسب له

(١) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات، ص ١٤٨.

(٢) ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج ٥، ص ٢٥٦، الذهبي: الميزان، ج ٤، ص ١٧٥.

القول بالقدر، وأنه يدلّس في الحديث، ولكن قبل كثير من الرجال روايته في المغازي والسير، ولكنه ليس حجة في الحلال والحرام^(١).

ذكر أن ابن إسحاق يروي عن أبي الزناد، وهو متهم عند الإمام مالك، وهو الذي يروي عنه: (أن الله خلق آدم على صورته) وهذا نص قد ورد في التوراة وشروحها عند اليهود، ويظهر لنا في كثير من المصادر السنية القديمة والشيعة خاصة عند من يسمون بالمشبهة أو المجسمة الذين سنذكرهم في هذا البحث.

٧ - ابن جريج، وهو عبد الملك بن عبد العزيز (٧٠ هـ - ١٥٠ هـ)

قيل: إنه من أصل رومي، وهي إشارة إلى نصرانية أصله، وهو عند المحدثين مدلس، أي يسقط الراوي عن الرسول ﷺ، لا يذكره، وإنما يذكر من بعده ممن لم يروا الرسول ﷺ ولم يسموا منه، ضعفه الإمام أحمد، كان يروي حليّة المتعة، وقيل: إنه تزوج كثيراً من النساء متعة، وأنه كان يحتقن طلباً للمتعة، وقد سكن ابن جريج البصرة، وأكثر الطبري في تفسيره من نقل الإسرائيليات عن ابن جريج^(٢).

٨ - الواقدي، هو محمد بن عمر المدني

صاحب تصانيف كثيرة في التاريخ والمغازي والفتوح وأخبار الردة، تذكر بعض مصادر الشيعة بأنه سيئ الحفظ حتى في القرآن الكريم، كما توثق رواياته، ومنها، أن علياً رضي الله عنه، معجزة من معجزات الرسول محمد ﷺ، كما العصا لموسى وإحياء الموتى لعيسى، وتعد هذه المصادر من أوائل الشيعة.

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٢٢٦.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال، ج ١، ص ١٧٢.

أما رجال السنة فلم يوثقوه: قال عنه أبو حاتم: إنه كان يروي معضلات (لا تصدق)، وقال الذهبي: مجمع على تركه، وقال عنه المديني: إنه من الوضاعين للحديث، وقال عنه البخاري: متروك الحديث، وإنه مدني سكن بغداد، وعند أحمد أنه كذاب، وعند أكثر المحدثين أنه متروك الحديث، ونقلوا عن الشافعي، أن كتب الواقدي كلها كذب^(١).

٩ - لوط بن يحيى الأزدي الغامدي أبو مخنف

ذكره النجاشي^(٢) في رجاله وقال: إنه صنف كذباً كثيراً في المغازي وهو في الكوفة، وتعد بعض المصادر الشيعية أن أبا مخنف الغامدي من جملة رجال الشيعة^(٣)، وتذكر المصادر أن أباه كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام، وقيل: إن جده مخنف كان صحابياً شهد الجمل مع علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو حامل راية الأزد حيث توفى فيها سنة ٣٦ هـ، هذا وقد توفى أبو مخنف لوط سنة ١٥٧ هـ، وقد نقل عنه الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل في التاريخ.

لكن علماء الرجال السنة لم يوثقوا أبا مخنف: قال عنه ابن حجر: إخباري تالف لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره، وقال عنه يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال عنه الدارقطني: ضعيف، وقال عنه ابن عدي: شيعي محترق، وذكره العقيلي في الضعفاء من الرواة^(٤).

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٦٣، وما بعدها.

(٢) النجاشي: رجال، ص٢٢٤.

(٣) محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج١، ص١٢٧.

(٤) الذهبي: ميزان الاعتدال، ج٢، ص٣٦٠.

١٠ - ابن السائب الكلبي

هو هشام بن محمد بن السائب بن بشير الكلبي. تذكر مصادر الشيعة أن أباه محمدًا كان من أصحاب الإمام الباقر، كتب ابن السائب في المقاتل بين المسلمين، كما كتب في المثالب، كما يعد أكثر مصادر الشيعة ابن الكلبي، وأباه من أصحاب الأئمة الباقر والصادق^(١).

ذكر أنه كوفي عالم بالأنساب، قيل: إن جده كان مع علي في الجمل وصفين، كما ذكر أن السائب قتل في جيش مصعب بن الزبير، وقيل: إن أباه محمدًا شهد موقعة الجمام مع ابن الأشعث ضد الجيش الأموي، وهو كوفي يؤمن بالرجعة، كان الإمام الصادق يقربه إليه، وذكر أنه أصابته عكة، نسي العلم بعدها، فشكا ذلك للصادق فسقاه كأسًا أعادت إليه ذاكرته كما يدعي^(٢).

أما مصادر السنة فتقول عن الأب محمد: إنه من كذابي الكوفة، مثله مثل السدي، قال عنه البخاري: تركه يحيى بن معين وابن مهدي، ذكر أنه قال عن نفسه: أنا سبئي، وروي عنه حديث منكر، يتعلق بالوحي إلى رسول الله ﷺ، وفي أثناء ذلك قام من مقامه، فجلس علي بن أبي طالب رضي الله عنه مكانه يوحى إليه، ورجال الحديث مجمعون على ترك حديث محمد ابن السائب، وروايته مبثوثة في التفاسير، خاصة الإسرائيليات، توفي الأب محمد بالكوفة سنة ٤٦ هـ، ولكنه عند الجميع (السنة) متروك الحديث، وعند بعضهم أنه كذاب، وابنه هشام ينقل عنه ولهذا لم يوثق هشام، ويعد الإمام أحمد صاحب سمر ونسب، أما حديثه فمتروك، غير ثقة، يحدث عن أبيه الذي ينسب لابن عباس تفسيرًا لم يصح، وإنما هو من الإسرائيليات^(٣).

(١) الطوسي: رجال، ص ٢٨٩.

(٢) النجاشي: رجال، ص ٣٠٥.

(٣) ابن حجر: التهذيب، ج ١، ص ١٧٨، وما بعدها.

وهناك أسماء يهود دخلوا الإسلام، ثم ارتدوا، ولم يتم تسليط الضوء عليهم من قبل المؤرخين، لكشف أدوارهم في ترويج الإسرائيليات، ودس القصص الخرافية والمقاصد المضمرة، في تمزيق الأمة وتكوين الفرق ذات المقالات المنكرة، فمن ذكر هؤلاء عبد الله بن سوريا الأعور القطيوني، أنه أسلم، ثم ارتد إلى يهوديته^(١).

وقد أكمل القصاص دور المروجين للإسرائيليات، حيث ذكر أن بعض القصص كانوا يجلسون في المسجد، يسمعون الناس بعض القصص والسير في تاريخ السابقين، وعن هذا الطريق تدخل الإسرائيليات في قصصهم، خاصة إذا تعرضوا لقصص الأنبياء، وهي كثيرة في القرآن والتوراة وشروحه، ذكر ممن جلس في المسجد في المدينة القاضي تميم بن أوس الداري في عهد عثمان رضي الله عنه، وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد نهاه عن ذلك، وقيل في رواية: إنه قد استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فأذن له، وقد أدى القصاص دور سياسياً بين أصحاب علي ومعاوية رضي الله عنه، كل يأتي بما يؤيد موقف صاحبه من الناحية السياسية.

وقد اشترك في هذه الحيلة، وكانوا فرسانها من سمي بمسلمة العرب، من يهود ونصارى عرب، دخلوا الإسلام وكانوا على علم سابق بعلوم التوراة، فكانوا عاملاً مساعداً في نشر الإسرائيليات، والزيادة عليها من خيال القصص، حيث تلقفها بعض الرواة على أساس أنها جزء من العلم، فكتبوها أو رووها للآخرين، وبمرور الوقت أصبح لها موضع في التراث في بيئة عربية متعطشة لمعرفة العلم، بعد استقرار من البدوة إلى الحضارة، كما يقول ابن خلدون.

(١) ابن هشام: السيرة، ج٢، ص١٧٦، محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص٢٤، ١٩٨٤.

الفصل الثاني

من آثار اليهودية على الفكر الشيوعي المغالي

إن ابن بابويه القمي (ت ٣٨١) فيما يبدو هو أول رواته على علم بما في التوراة، فهو ينقل عن بني إسرائيل أن من علامات تقبل القربان عندهم أن تأكله النار^(١)، كما يورد روايات يبدو فيها متأثرًا بما عند اليهود في كون الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل، وأن إسحاق كان قد تمنى أن يكون حقًا هو الذبيح، فسماه الله ذبيحًا لصدقه وصبره، وذكر ابن بابويه أيضًا أن أنبياء بني إسرائيل كانوا يجأرون بالتلبية بالحج، وأن موسى فعل ذلك عند صفائح الروحاء، بل إن سليمان حج البيت في الجن والإنس^(٢).

بل حتى موعد السفر عند ابن بابويه يستحب أن يكون يوم السبت، فإن لم يتمكن فيوم الثلاثاء؛ لأنه اليوم الذي ألان فيه الحديد لنبي الله داود^(٣)، وعلى هذا النسق يشير ابن بابويه في كتابه واضعًا ما أمكنه العلم الذي ينقله عن الأئمة، مسندًا لما كان عليه الحال في بني إسرائيل واليهود، حتى استحباب أخذ العصا عند السفر (إشارة لعصا موسى)، وأن إبراهيم وإسماعيل كانا قد روضا خيل العرب بعد أن كانت وحشية^(٤).

ويبدو أن الشيعة أو بعضهم كانوا يخالطون اليهود والنصارى في مجتمعهم، فقد أورد ابن بابويه في كتابه السالف جواز أن ترضع اليهودية أو النصرانية أو المجوسية الصبي^(٥).

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٣٨٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٠٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٣٨.

(٥) المصدر السابق: ص ٥٩٤.

وقد استعار الشيعة ما ذكر عند اليهود بالتابوت الذي كانوا يحملونه معهم، وفيه تعاليم الألواح، يحملونه خاصة في الحروب، تبركاً وطلباً للنصر، وقد استعار المختار الثقفي في ثورته بالكوفة على الأمويين كرسياً، ادعى أن الإمام علياً عليه السلام كان يخطب عليه، وأخذ جيشه يحمل الكرسي؛ كما كان اليهود يحملون التابوت، طلباً للسكينة والنصر، وقد وردت أحاديث كثيرة في كتب الحديث عند الشيعة تشبه السلاح الذي عند الإمام بالتابوت عند بني إسرائيل، وأنه علامة للملك والإمامة^(١).

ومن الغريب عند الشيعة الإمامية قولهم: إن الإمام الغائب إذا ظهر فسيملاً الأرض عدلاً، ويحكم بشريعة سليمان وداود، لا يسأل البيعة، وهذه استعارة صريحة وضعت من فم الإمام الصادق، ادعوا أنه قالها^(٢)، وفيها إعلاء شأن بني إسرائيل وشريعتهم، وأن القرآن شريعة العرب لا تصلح حينذاك.

وكانما يود الشيعة لو أن الإمام علياً عليه السلام أخذ بشريعة موسى وعيسى صراحة: أورد الكليني حديثاً عن أبي بصير^(٣)، عن رسول الله ﷺ، أنه خاطب علي بن أبي طالب عليه السلام: «أن فيك شبيهاً من عيسى ابن مريم، ولولا أن تقول فيك طوائف من أمتي، ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم، لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدمك يلتمسون بذلك البركة...»^(٤).

(١) انظر ثورة المختار في كتابنا جذور التشيع. وانظر الكليني الأصول، ص ١٣٦.

(٢) الكليني: الأصول، ص ٢٣٦.

(٣) الحديث مكذوب، وأبو بصير الشيعي ليس في عصر الرسول ﷺ.

(٤) الكليني، المصدر السابق، ص ٦٩٩.

وينقل الطبرسي في كتابه الاحتجاج مناظرات بين رجال الشيعة وعلمائهم، وبين بعض رجال الدين من أهل الكتاب، تدل هذه المناظرات على اطلاع رجال الدين الشيعة على تعاليم اليهودية والنصرانية، وبعض هذه الاحتجاجات وضعت في فم الأئمة لإعطائها وزناً أكبر، ومن تلك المجادلات ما تقبله الطبرسي من احتجاج الإمام الرضا على الجاثليق، في أمور قد أقرتها نصوص التوراة في صالح الرسول ﷺ أو تعاليم الإسلام عموماً، أريد بها الانتصار خاصة لدعاوي الشيعة بخصوص الإمامة، والبداء، ومعجزات الأئمة من إحياء الموتى...^(١).

وينقل علي بن إبراهيم القمي في كتابه (تفسير القمي) تأويله للآيات القرآنية، الواردة في سورة البقرة الخاصة بنبوّة موسى عليه السلام، وتنزيل الألواح في طور سيناء، وعبادة بني إسرائيل العجل، ينقل تفصيلاً وشرحاً من أفكار اليهود الواردة في شرح التوراة المتعلقة بتلك الأحداث، أو إيرادها القصة التي دارت في بني إسرائيل، عن طلب موسى منهم أن يذبحوا بقرة، وما مبررات أن تكون بقرة بعينها، موصوفة بتلك الصفات الواردة في القرآن^(٢).

وفي تفسير القمي هذا تفاصيل وخرافات عن سوء منبت نبوخذ نصر، منذ كان طفلاً ترضعه أمه الزانية من حليب الخنزير كما يدعون، ولا شك أن كل ذلك من آثار كراهية اليهود لنبوخذ نصر الذي هدم أورشليم، ويذكر

(١) الطبرسي: الاحتجاج، ج٢، ص ٤١٧ - ٤٢٤.

(٢) علي بن إبراهيم القمي: تفسير القمي، ج١، ص ٦٠، بيروت ١٩٩١م، وهو من علماء القرن الثالث الميلادي، كان أبوه كوفيّاً، ورحل إلى قم بعد سنة ٢٢٩هـ تقريباً، وعلي يروي عن أبيه إبراهيم، والكليني يروي عن علي هذا، والظاهر أنه وأباه من ناقلي النلو الذي دخل على التشيع في إيران.

تفاصيل عن أنبياء بني إسرائيل، إرميا، ودانيال، وعلاقة كل واحد بمأساة هدم أورشليم^(١).

وهذه القصص والأساطير سبق أن سطرها علماء بني إسرائيل في شروحهم للتوراة والتلمود، خاصة التلمود البابلي، وهؤلاء الرجال يغرفون من ذلك الميراث عن علم أو عن جهل.

وتوضع هذه القصص والمجاذلات للانتصار غالباً للإمام الصادق، وإظهار خصمه النصراني أو اليهودي غير ذي علم، بينما المعلومة أساسها قد ورد في شروح التوراة مثل سؤال الصادق للنصراني عن رجلين من بني إسرائيل، حملتهما أمهما في رحم واحد، ووضعتهما في ساعة واحدة، وماتا في ساعة واحدة، ودفنا في ساعة واحدة، وفي قبر واحد؟ قال: هما عزيز وعزيرة^(٢).

والعتب ليس على الشيعة وحدهم، فجميع الفرق الإسلامية غرفت من إناء واحد، ولكن كل فرقة تؤول النقل حسب مرادها، والشيعة دائماً معروفون بالتأويل لصالح إمامة سيدنا علي عليه السلام وأولاده وعصمة الجميع، ومعرفتهم العلوم وخلقهم من طينة غير تلك التي خلق منها بقية البشر.

وفي تفسير القمي للآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ (البقرة:

١٦١)، نزلت في أعداء آل محمد عليه السلام، ويقصد بهم مجموع الصحابة والسنة أو النواصب منهم، وأما قوله تعالى في ذلك: ﴿لَنْ نَأْتِيَكَ بِشَيْءٍ مِمَّا تَشْتَبِهُونَ﴾ (آل عمران: ٩٢)، أي حتى تردوا على آل محمد كلهم من الخمس^(٣).

(١) القمي: تفسير، ج١، ص-٩٧٩٥.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص١٠٧.

(٣) القمي: تفسير، ج١، ص١١٥.

وإذا كان علماء الشيعة القدماء أمثال القمي عاشوا في عصر الجهالة، بالنسبة إلى عصرنا الحاضر، فما بال بعض العلماء الشيعة ينشرون، وينقلون في خطبهم ومقالاتهم ويرددون تلك القصص والخرافات نفسها والاحتجاجات غير المقبولة؟

يستغرق علماء اليهود قديماً في شرح ما ورد في باب التكوين من التوراة، فيضيفون على النص تفاصيل من اجتهاداتهم، فيفصلون أن الله في كل يوم من أيام الأسبوع خلق كذا من خلقه أو كونه، ففي يوم الأحد للخلق، والإنثين والسبت عطلة، وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي للقرآن حينما يفسر الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (مؤد: ٧)، ذكر القمي أن الله خلق الهواء، ثم القلم ثم الظلمة والنور، ثم الماء والعرش... ثم بدأ يفصل خلق الأشياء حسب أيام الأسبوع، فذكر خلق السماوات والأرض والملائكة يوم الخميس، وخلق الأرض يوم الأحد، وخلق دواب البر والبحر يوم الإثنين، والشجر والأنهار يوم الثلاثاء، وخلق الجان يوم السبت، وخلق الطير يوم الأربعاء، وخلق آدم في ست ساعات من يوم الجمعة^(١)، وعند ابن بابويه أن يوم السبت عطلة (راحة الخالق)^(٢) كما في التوراة.

ولم يبال رواة الشيعة ومصنفوهم؛ حينما ينقلون تلك التفاصيل عن أصحاب العلم الأول، كما سماهم الإخباريون العرب، لم يبالوا حتى في تلمس نقل الصيغة اللغوية، التي تلفظ بها نبي الله نوح مثلاً حينما اشتد الطوفان، وتاهت السفينة، قال القمي: (فرغ نوح يده، فقال: يارهمان اخفرس وتفسير

(١) القمي: تفسير، ج١، ص ٢٢٢.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص ١٨٠.

أحسن)، ويستغرق في تفصيل قصة الطوفان، واضعاً تلك التفاصيل قولاً في فهم الأئمة^(١)، وعلى هذا المنوال يسير القمي في تفسير سورة يوسف، وما فيها من تفاصيل وجدوها في شروح التوراة المتراكمة على مر السنين^(٢)، ومفسرو الفرق الأخرى يفعلون الشيء نفسه، ولكن الفرق أن الشيعة يضعون هذه التفاصيل على شكل أحاديث ينسبونها إلى الأئمة، في حين ينسب الآخرون غالباً تلك التفاصيل والنقول إلى رواة من العرب اليهود أو النصارى الذين أسلموا، أو ينقلون مباشرة من شروح التوراة، ويعترفون أنهم وجدوها هكذا عند أصحاب العلم الأول (أهل الكتاب)، إن أكثر تفاسير علماء الإسلام حينما يتعرضون إلى اسم الذبيح من ولد إبراهيم يقولون: إنه إسماعيل، لكن الناقليين من كتب اليهود مباشرة، يتابعون اليهود في قولهم: إن الذبيح هو إسحاق، وهكذا فعل علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، حينما تعرض لتفسير الآية: ﴿يَبْقَىٰ إِلَٰهُكَ فِي الْمَنَارِ ۖ إِنَّكَ أَذْبَحَكَ﴾ (الصافات: ١٠٢).^(٣)

ابن بابويه القمي المسمى بالشيخ الصدوق (٣٨١) والمولود بالري كتب كتابه، علل الشرائع، فكانت موروثات الفكر اليهودي المضمنة في شروح التوراة والتلمود معيناً عذباً، ففي ذكره العلة التي من أجلها عبدت النار بلا شك، كان يستطيع أن يذكر السبب الشائع، بين الفرس في عبادتهم الزرادشتية للنار المتعلقة بالنور والظلمة، لكنه وجد في شروح التوراة أن هايل حينما قدم قربانه الجدي المشوي بالنار تقبل منه، بخلاف قابيل الذي قدم قليلاً من الحبوب، إذن النار كانت سبباً مقدساً لقبول القربان، لكن ابن بابويه جعل

(١) القمي: تفسير، ج١، ص ٣٣٩.

(٢) القمي: تفسير، ج١، ص ٣٤٠.

(٣) القمي: تفسير، ج٢، ص ١٩٧.

قاييل أيضاً يوقد النار التي عبدها الضالون مثل قاييل قديماً^(١)، لكن فكرة النور وقداسته تظل في الفكر الشيعي المغالي الذي يستمد أصوله من التراث الزرادشتي القديم، فيرجع ابن بابويه ويذكر أن العلة في تفضيل الأئمة الإثني عشر على الملائكة، أنهم خلقوا من نور قبل خلق الملائكة^(٢)، ومن هنا جاءت ضرورة المزج بين التراث اليهودي، والتراث الزرادشتي الفارسي.

وينقل ابن بابويه في علل الشرائع عن بعض رواته أنهم ينقلون أو يروون مباشرة من صحف موسى بن عمران^(٣)، أن ابن بابويه ورواته بارعون في سد الباب على الفرق التي أباحت نكاح المحارم، ممن انتسب للإسلام بفارس قديماً، وذلك لرجوعه إلى علة زواج أبناء آدم من أخواتهم من أول الخليقة، وللهروب من ذلك ابتدع ابن بابويه ورواته القول: إن الله أرسل من جنه حوريات إلى كل من شئت وبافث كي يتزوجوهن، وإن جميع بني آدم من تلك الزيجة^(٤).

ورواة الشيعة يعكسون حقيقة أخذهم من التراث اليهودي وعموم أهل الكتاب، بل يضعون ذلك من عمل أئمتهم؛ لأنهم قد ورثوا علم أهل الكتاب، وما في الصحف الأولى، ففي حديث يرويه ابن بابويه عن الصادق أنه (صحفي) أي يقرأ ما في الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى، وحديث آخر يحتاج به على أبي حنيفة في مسألة القياس، ويسأله هل ورث شيئاً أو علماً مما في الصحف الأولى، حتى يتصدى للإفتاء بالكوفة ويستعمل القياس^(٥).

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص١٢ مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٨م.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص١٦.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص٢٤.

(٤) المصدر السابق: ج١، ص٣٢.

(٥) المصدر السابق: ج١، ص١١١ - ١١٢.

وأخذ الشيعة عند اليهود العرب من الرواة يظهر واضحاً في كثير من مروياتهم، ومن أمثلة ذلك يتردد اسم عبد الله بن سلام، وما يرويه عنه ابن بابويه، في علل الشرائع^(١). ومرات أخرى يروي ابن بابويه في علل الشرائع عن يهودي دون ذكر اسمه^(٢)، وفي بعض الأحيان بعد أن يذكر ابن بابويه تلك العلوم التراثية القديمة، ينسب إلى الإمام أبي جعفر مثلاً: (وجدناه في كتاب من كتب علي عليه السلام)^(٣)، كما يروي ابن بابويه عن وهب بن منبه قوله: (إنه وجد في التوراة كذا وكذا...) ^(٤)، ويسرد ما فيها من شروح اليهود.

والشيعة تعد الرسول محمدًا ﷺ يقرأ ويكتب، وإنما سمي بالأمي نسبة إلى أم القرى مكة، فإذا كان يقرأ ويكتب فنحن نسأل ماذا كان يقرأ ويكتب؟ إن هذا التصور يسهل على رواة الشيعة وعلمائهم نسبة العلوم والمعرفة إلى الرسول ﷺ وإلى الأئمة بعده^(٥)، ومن ثم يسهل عليهم نسبة علوم أهل الكتاب وما فيها من علوم نقلوها من مصادرها أن تكون تلك العلوم معروفة ومقروءة للنبي ﷺ، مع أن القرآن الكريم يقول: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُلُونَ﴾ (النكيت: ٤٨)، ورواة ابن بابويه يودون، فيما يبدو من أسئلتهم التي سطرها المؤلف، لو أن الرسول ﷺ كان مثلهم يقرأ ما في الصحف الأولى، لتأييد ما جاء به، فقد سأل الرواة إمامهم عن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَتَلِ الْأَلْفَبَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (يونس: ١٠)، وينقل

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ١١٧.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ١، ص ١١٩.

(٣) المصدر السابق: ج ١، ص ١٢١.

(٤) المصدر السابق: ج ١، ص ١٢٤.

(٥) المصدر السابق: ج ١، ص ١٥١.

(٦) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ١، ص ١٥٦.

ابن بابويه القمي عمن رواه أن بعض الناس وجدوا كتابة غير عربية على حجر فجاءوا بها إلى وهب بن منبه، فترجمها لهم وكان مدلولها، يبحث على الزهد في الدنيا^(١).

وينقل ابن بابويه القمي عن رواته، أنهم وجدوا في أوراق وهب بن منبه أن ذا القرنين فعل كذا وكذا، تفاصيل مما وردت في شروح التوراة، ثم قال: إن ذا القرنين بعد أن سار عشرين سنة: (إذ وقع على الأمة العادلة الذين هم قوم موسى، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون).^(٢)

وينقل ابن بابويه القمي، أسماء أنبياء بني إسرائيل وما يقابلها بالعربية، فيقول: إن إسرافيل هو يعقوب، ويوشع هو ذو الكفل، (انظر يهود العراق)، والخضر هو إرميا، ويونس هو ذو النون، وعيسو هو المسيح عيسى^(٣). وهذا يدل على صريح النقل والعلم بما في التوراة وشروحها من قبل أولئك الرواة.

ولكون موضوع ولاية الإمام علي عليه السلام، ووجوب الإيمان بها ضرورة للمذهب، فقد أوردت المصادر القديمة عند الشيعة، أن ولاية علي عليه السلام والنص عليها مذكورة في جميع الصحف المنزلة من الله^(٤)، وتهتم مصادر الشيعة خاصة القديمة منها بنقل أو ما روي من أحاديث أو أسئلة دارت بين رجال يهود، مثل عبد الله بن سلام، أو مجموعة من اليهود قامت بطرح أسئلة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم^(٥).

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص١٧٦.

(٢) المصدر السابق: ج٢، ص١٨٤.

(٣) المصدر السابق: ج٢، ص٢٢١.

(٤) المفيد: الاختصاص، ص١٨.

(٥) المفيد: الاختصاص، ص٣٣، ٤٣.

وهذه المرويات تلقاها كثير من علماء الشيعة بالقبول، رغم الطعن الوارد على روايتها عند محدثي الشيعة أنفسهم، فعلى سبيل المثال ينقل الشيخ المفيد في كتابه (الاختصاص)، مرويات جابر بن يزيد الجعفر، وبريدة العجلي، ووزارة بن أعين وغيرهم، ولم ينكر عليهم مقولاتهم المغالية في الأئمة، بل مدحهم بوصفهم أول من أظهر علم الأئمة، بعد أن كان الرواة يخافون نشره^(١).

ويبدو أن إدخال اليهود أو علمائهم في أسئلة موجهة لأئمة الشيعة، يعزز في رأي الرواة والعلماء، أحقية هؤلاء الأئمة بالعلم؛ لأن اليهود هم أصحاب العلم الأول، وهم أهل المعرفة، فإذا صادق اليهود على أقوال الأئمة، أو ما ينقل فقد تعزز رأي الفقيه الشيعي وأعطاه ثقلاً علمياً كبيراً، فهنا الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٤١٣ هـ)، ينقل في كتابه (الاختصاص)، إجابات طويلة لليهودي سأل الإمام علي عليه السلام، وكلها من المسائل التي يريد المفيد أن يتعزز فيها رأي الشيعة مثل دعوى وصية النبي ﷺ لعلي ومعجزات كثيرة، تدفع في رأي المفيد القارئ أو المتلقى لتصديقها^(٢)، ويسند الشيخ المفيد للراوي (مثلاً رفاعه) عن الإمام الصادق مباشرة أن في التوراة كذا وكذا^(٣)، بل يصدق الشيخ المفيد ما ورد في التوراة حتى في تكفيرها للملك نبوخذ نصر^(٤)؛ لأنه عند اليهود هو الذي هدم أورشليم وسبى اليهود، وجاء بهم عبيداً إلى بابل.

(١) المفيد: الاختصاص، ص ٦٦.

(٢) المفيد: الاختصاص، ص ١٦٣ - ١٧٠.

(٣) المفيد: الاختصاص، ص ٢٣٦.

(٤) المفيد: الاختصاص، ص ١٦٥.

إن علماء الشيعة القدماء حاولوا بناء رابط وصلته بين رهبان المسيحية ورجالهم، فرواية الشيخ الطوسي في أماليه تذهب إلى درجة أن الراهب الذي قابله علي عليه السلام بعد رجوعه من حرب الخوارج، بارك نزول الإمام علي عليه السلام وجيشه حول تلك الصومعة، قائلًا: إنها أرض لا ينزلها إلا نبي أو وحي، فهل أنت أصلع قريش؟^(١)، وفي موضع آخر يظهر الطوسي الجدل بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من جهة، وجاثليق النصارى القادم من نجران، بكثير من ضعف حجة الاثنين حتى يأتي الإمام علي عليه السلام فيباشر الكلام مع الجاثليق الذي يظهر له علو الشأن والمعرفة والتصديق^(٢).

ذكر البرقي في كتابه (كسر الصنم) عدم صحة أحاديث الكايفي، وأن روايتها مطعون فيهم عند رجال المذهب نفسه، وقد حصرت أكثر من مئة وعشرين راويًا من بينهم رواية الكايفي في كتابي جذور التشيع، وأوضحت أسباب الطعن في هؤلاء الرواة في نظر رجال حديث الشيعة الإمامية، ولكن من وثق الكايفي ادعى أن الكتاب عرض على الإمام الغائب، فاستحسنه وقال: كاف بشيعتنا.

ولا أدل من أن رجال الشيعة كانوا يلتمسون في أفكارهم وردودهم على خصومهم ما كان عند الأمم السابقة من يهود ونصارى: ذكر الكليني أن هشام بن الحكم احتج في الدفاع عن أفكاره ضد خصمه (عمرو بن عبيد إن صح النقل) فلما عرض هشام حجته على الإمام الصادق، رد عليه الإمام: (هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى)، إذن القوم يأخذون من

(١) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٢.

علوم التوراة والتلمود وينسبونها بوضوح إلى الإمام^(١)، وحتى أولئك الرواة الذين ربما يسمعون من إمامهم علماء لا ينقلونه كما سمعوه، إنما يزيدون عليه أو ينقصون، حسب مقتضياته. روى الكليني في الكافي أن أحدهم سأل الإمام الصادق (أسمع الحديث منك، فأزيد أو أنقص؟...) (٢).

(١) الكافي، الأصول: ص ٩٦، الأعلمي، بيروت ٢٠٠٥ م.

(٢) الكافي، الأصول: ص ٢٢.

أفكار واسرائيليات يهودية استعارها التشيع

مقدمة

١- لا بد من نبي يخلف موسى، ولكل نبي خليفة إلى جانبه في حياته، فكان خليفة موسى هو يوشع بن نون عليهما السلام، وهكذا^(١).

وقد استعار الفكر الشيعي من اليهودية القول: إن علياً هو وصي محمد ﷺ في حياته وخليفته من بعده، وقالت الشيعة: إن الأرض لا تخلو من إمام ظاهر أو مستور (إمام غائب)، ولو خلت الأرض منهم لساخت.

٢- إن كثيراً من الرواة الذين وصمتهم كتب الرجال عند الشيعة بالغلو والكذب والارتفاع، هؤلاء كان سبب غلوهم وكذبهم أنهم ادعوا على الأئمة أقوالاً اقتبسوها أو سمعوها من أهل الكتاب، وزحفت هذه الأقوال على أحاديث تلقفها مدونو الحديث دون تمحيص، ونستعرض هذه الأفكار وقربها مما قاله أهل الكتاب.

فدعوى صالح بن محمد الهمداني القائل: إن الإمام أبا جعفر هو الرب، أو دعوى سعيد بن طريف الإسكافي بأن الإمام الصادق لم يمت، وإنما غاب وسيرجع فإنما هو المهدي^(٢). كما أن أفكار الخطابية والمفضل بن عمرو الجعفي (جماعته وأفكار النصيرية نسبة إلى محمد بن نصر النميري الفهري) الذي ادعى أن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ هو الإله، وأن النميري هو النبي، هؤلاء وأضرابهم قالوا بكثير من الآراء المشابهة لما

(١) فان فلوتن، أحزاب المعارضة، ص ١٧٢.

(٢) النويختي، فرق، ص ٨٧.

عند أهل الكتاب يهوداً ونصارى، وقد تسلت أحاديث هؤلاء إلى كتب حديث الشيعة وتراثها مبثوثة في الكتب القديمة خاصة، مثل الكافي والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه وكتاب المحاسن^(١) و... غيرها.

ذكر الكشي في رجاله أن محمد بن سنان شكاً إلى الإمام الرضا وجعاً في عينه، فأرسله إلى الإمام أبي جعفر، فجعل يرفع رأسه ويقول: ناخ ناخ، فذهب كل وجع في عينه، فقال ابن سنان لأبي جعفر: جعلت فداك شيخاً على هذه الأمة، كما جعل عيسى ابن مريم شيخاً على بني إسرائيل^(٢).

٢- فكرة توحيد الله: يؤمن الشيعة بكيفية المسلمين بوجود إله واحد معبود فرد صمد لم يلد ولم يولد، وقد تواتر النقل من رواية الشيعة والإمامية خاصة على وحدانية الله سبحانه وتعالى والنهي عن الإشراك به^(٣). وقد أفرد كثير من فقهاء الشيعة الإمامية كتباً كاملة في التوحيد^(٤). لا مجال لبسطها، لكن روايات الغلاة، وهي استثناء بطبيعة الحال يرى فيها الدارس خروجاً على أصل التوحيد وتفسيراً يخرج عن مقتضى المعنى الواضح، وما ذلك إلا اجتهد من هؤلاء الرواة للاحتجاج لعقيدة المذهب وتمييزها عما يقوله الآخرون. فبرغم وضوح الآية القرآنية في التوحيد القائلة: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لَيَجْطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمر: ٥٦)، مقتضى التفسير الواضح والظاهر حسب قواعد اللغة العربية أنها تعني: إن أشركت بالله إلهاً آخر فإن عملك مهما كان حسناً فإنه غير مقبول. جاء في تفسير القمي أن الآية تعني: إن

(١) النوبختي، فرق، ص ٤٠ وما بعدها.

(٢) الكشي، رجال، ص ٥٨٢-٥٨٣. (مع اختيار معرفة الرجال للطوسي).

(٣) كتاب توحيد المفضل: للمفضل الجعفي.

(٤) القمي، تفسير ج ١ ص ٢٥١، المجلسي، البحار، ج ٢٣، ص ٣٩١، الكليني، الكافي ج ١ ص ٤٣٧.

أشركت في الولاية غيره^(١). يعني إن أشركت مع.... في الولاية غيره فقد كفرت، وهكذا أدخلوا تأويل الشرك بالولاية مع أن النصوص المتعلقة بالشرك بالقرآن لا تذكر ولاية ولا علاقة لها بذلك. وهذا التأويل البعيد شجع أبا الخطاب والغلاة أضرابه إلى تأويل أبعد من ذلك، فقد نقل عنه تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ (الزمر: ٤٥)، يعني إذا ذكر الإمام علي وحده. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني فلاناً وفلاناً، يعني بذلك أبابكر وعمر رضي الله عنهما. وقد تبرأ الصادق من هذا التأويل حينما نقل إليه^(٢). إذا الولاية لها أهمية كبيرة في العقيدة الشيعية تقرب من أن تكون صنواً للتوحيد، فمن لا يؤمن بولاية علي عليه السلام وبقيّة الأئمة المنصوص عليهم عندهم فهو في مرتبة من أشرك بالله. وذكر الطوسي في أماليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (لوجاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأعمال الجبال، ولم يجئ بولاية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لأكبّه الله صلى الله عليه وآله في النار). ونقل هذا كثير في التفاسير وكتب الحديث^(٣). والمنافض له أو المخفف لهذه الغلواء أيضاً يرد في بعض التفاسير. والنتيجة أن يرتفع الاهتمام بالأئمة إلى مرتبة فوق الناس العاديين، فيبني الغلاة على ذلك أن الأئمة معصومون عن الخطأ بخلاف البشر، وأنهم يعلمون متى سيموتون، ولديهم علم الغيبات عن باقي الناس وما إلى ذلك.

وهكذا يبالغ رواة الشيعة في صفات الأئمة إلى درجة أن يعدوهم واسطة بين العبد وخالقه، فهم وسيلة الهداية. لقد عقد المجلسي في بحاره باباً (أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله...) وروى المجلسي عن الصادق أنه قال: (نحن السبب بينكم وبين

(١) القمي: تفسير البرهان. ج ٤. ص ٧٨.

(٢) الطوسي. أمالي ج ١، ص ٢١٤.

(٣) المجلسي. البحار. ج ٢٧. ص ١٧٢.

الله ﷻ^(١). كل ذلك والقرآن الكريم صريح في عدم وجود واسطة بين العبد وربّه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ويذكر القرآن مقولة على لسان المشركين عن عبادتهم للأصنام، فقال: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ودفع هذا الانحراف والفلو إلى أن يستغيث العبد بالأئمة، وينسى الله أو لا ينساه، وإنما يعمده واسطة وشفيعاً. وقد أورد المجلسي في بحاره أدعية عدة كلها ترشح بالاستغاثة بالأئمة^(٢). وقد دفعت هذه الأقوال والأفكار عامة الشيعة إلى التعلق بقبور الأئمة والحج لها، وطلب الحاجات والمغفرة منهم، أو من الله عن طريقهم، كل ونيته المقصودة.

تدعي روايات عن بعض الرواة الشيعة أن الله قد اختار الشيعة أولياء لعلي بن أبي طالب ﷺ وبقية بنيهِ من الأئمة. وتذهب روايات شيعية إلى القول: إن الله قد ناجى علياً يوم الطائف ويوم عقبة تبوك ويوم حنين^(٣). وسمع صوتاً من الجبل تحت الرسول محمد ﷺ وعلي ﷺ معه، فسأل: ما هذا الصوت؟ فقال: (إن الله يناجي علياً)^(٤).

نقل المجلسي من كتاب (خص الاختصاص للشيخ المفيد) عن كتاب سليم بن قيس الهلالي..... قال أبان: لقيت أبا الطفيل بعد ذلك، فحدثني في الرجعة عن أناس من أهل بدر وعن سلمان والمقداد..... قال... (ثم سألت أبا الطفيل الإمام علياً ﷺ عن الآية:.....) ﴿أَخْرَجْنَا هُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تَكَلِّمُهُمْ﴾.... قال أمير المؤمنين ﷺ: هي دابة تأكل وتمشي في الأسواق وتتكح النساء،

(١) المجلسي. البحار. ج ٢٣ ص ٩٧-٩٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المجلسي. البحار. ج ٣٩ ص ١٥٤. الشيخ المفيد الاختصاص. ص ٢٢٨.

(٤) محمد بن النعمان المفيد. الاختصاص. ص ٢٠٠.

فقلت: يا أمير المؤمنين، من هو؟ قال: هورب الأرض الذي تسكن الأرض به...^(١). وتتفق أكثر تفاسير الشيعة على تفسير هذه الدابة في الآية: أنها هي علي عليه السلام.

٤- إله اليهود وتعاليم التوراة والتلمود: إن اليهود لم يستطيعوا الاستقرار على إله واحد معبود، كما دعا إليه موسى وبقية أنبياء بني إسرائيل. وهم في عقيدتهم يتجهون كما ذكرنا إلى تجسيم الإله الذي أمرهم موسى عليه السلام بعبادته. ولما كانوا قد تأثروا بعبادة العجل منذ كانوا بمصر قبل الخروج أعادوا عبادة العجل كما تقرر التوراة ذلك، حيث تقول: إن هارون هو الذي عمل لهم العجل يطلب منهم حينما غاب موسى عليه السلام؛ وتقول التوراة: إنهم استبشروا بهذه العبادة حيث خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب. كما عبد بنو إسرائيل الحية؛ لكونها مقدسة عندهم، فهي رمز الحكمة والدهاء والانسحاب. وهي الحيوان الوحيد الذي يلتقي طرفاه. ترسم التوراة في أسفارها الخمس صورة بشرية للإله يهوه له طول وعرض وله يد ورجلان، والإله يهوه يأمرهم بأن يسرقوا ذهب المصريين وفضتهم عند الخروج من مصر، كما يذكر العهد القديم من تعاليم الإله في معاملة غير اليهود: (لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق بهم). فيهوه إله قاسٍ شديد البأس حتى ضد شعبه، فيذكر العهد القديم أن يهوه غضب على شعبه مرة فراجعه موسى وطلب منه الرجوع عما أضمره ضد شعبه، وقال له موسى: (ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك؟... فتدم الرب على الشر الذي أضمره^(٢). وبدا له غير ما قرر. وبعد بناء الهيكل في أورشليم أضحى الإسرائيليون لا

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٢، ص ٢١٧.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ٢٢، آية ١٠ - ١٤.

يذكرون إلههم يهوه بالاسم، حيث تكرر التعليمات عدم تسميته باسمه، بل بالإشارة فقط، ثم استعاضوا بذلك إلى عبادة الهيكل نفسه على أساس أن فيه روح الإله يهوه^(١). إنه ممنوع على غير اليهود عبادة معبودهم أو الدخول في الهيكل للصلاة، فقد أضحت ديانتهم ديانة عنصرية خاصة بهم فقط، أما بقية الشعوب فهم أنجاس لا يستحقون الرحمة، بل إن أموالهم (وما قدرتم أخذه حلال لكم)^(٢).

وتذكر التوراة أن موسى صنع لشعبه تابوتاً، وضع فيه الألواح التي تسلمها من الرب، وهي من كتابة الرب، وفي التابوت المذبح الذي يوقد فيه نار للبخور صباح مساء، ووضع في التابوت ذهباً وفضة، وكل ما غلا ثمنه بقصد حفظه، وقيل لهم: لا يجوز لأحد أن يمس التابوت؛ لأن فيه روح الرب يهوه. وقد تركزت تعاليم عدم مسح التابوت عند أحبار اليهود، وذلك كما يقول الدارسون، ليحفظوا الأشياء الثمينة، وادعوا أن من يمسه - كما هو نص التوراة - فإنه يموت حالاً، ويكون مصيره كمصير الرجل الذي مات حينما مسه دون علم وقصد منه. وتذكر التوراة أن إله يهوه يحب القرايين من الخراف المشوية. والقرايين والنذور التي تقدم لا تكون مقبولة إلا إذا كانت على يد الكاهن، بل توبة العبد لا تقبل إلا على يده. وأصبح الكهنة حول الهيكل يمثلون قوة في العقيدة اليهودية، فقد كانوا معفيين من الضرائب، وتقسم بينهم النذور والقرايين التي تقدم، وقد كان يقدم للإله حتى القرايين البشرية حيث قدمت للذبح ابنته حية، ثم في مرحلة لاحقة

(١) ذكر المجلسي في البحار المجلد ١٢، ص ٣٩ النهي عن ذكر اسم الإمام الثاني عشر، بل يذكر بأسماء الكنى، الحجة، القائم، المهدي، الفقيه، م ح د، صاحب الزمان، صاحب العسكر، الناحية المقدسة حرسها الله، انظر ج ١٢، ص ٢٣٧ - ٢٤٢.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ١٤، آية ١٢ - ١٨.

اكتفوا بتقديم الضحايا البشرية لمجرد الخدمة في المعبد، وقد اكتفي بتقديم جزء من الأعضاء البشرية، فبدل أن يضحي بالإنسان كله يقطع منه جزء علامة على انقياده للإله وهو الختان الذي كان رمزاً عندهم لهذا العرف^(١). يدعي اليهود أن إلههم يهوه قد وعد آبائهم بتميزهم عن بقية الشعوب؛ لأنه اختارهم من دون الآخرين: (..... بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم)^(٢) ويقول التلمود بالتناسخ أيضاً.

ويرى الباحثون أن هذا من الأثر الفارسي على الديانة اليهودية، حيث قام حاخامات بابل الذين كتبوا التلمود البابلي إلى تكرار فكرة التناسخ، فأرواح اليهود هي جزء من الله، كما الابن جزء من أبيه، وهذا يعني أن اليهود خلقوا بشكل مختلف عن بقية الشعوب كما يفسر ذلك أحبارهم. وفي بعض أحاديث الشيعة أنهم خلقوا من طينة غير طينة آدم.

ويكرر التلمود ما ورد في التوراة من كون الرب يغير رأيه في بعض الأحيان. فمرة كما يذكر التلمود غضب الرب واستولى عليه الطيش، فحلف بحرمان شعبه من الحياة الأبدية، لكنه ندم بعد ذلك؛ لأن غضبه كان ضد العدالة. وهذا يشبه إلى حد كبير فكرة البداء التي بثها كثير من رواة الشيعة.

يرى اليهود أن نصوص التلمود في أهميتها وقديسيتها: كنصوص التوراة، مع أنهم يعلمون أن التلمود مجرد أقوال رجال الدين جمعوها فيما بعد، وهم يقولون: من يقرأ التوراة بغير المشنا والجيمارا (التلمود) فليس له إله؛ لأن قول الحاخامات هو قول الله الحي، بل إن الرب يستشير الحاخامات عندما تواجهه معضلة لا يمكن حلها في المساء.

(١) يوحنا ١٨: ٣٠، الملوك الثاني، ١٦: ٣ و ٨: ١ و ٦: ١٤ و ٢١ - الخروج، ٣٠: ١-١٠.

(٢) سفر التثنية، ٧: ٦-٨.

لليهودي الإنسان منزلة كبيرة في الفكر اليهودي، فهو عندهم معتبر عند الرب أكثر من الملائكة؛ لأن اليهودي جزء من الله. إذا قام آخر غير يهودي بضرب يهودي فكأنما ضرب الرب نفسه. أما غير اليهود فلا يجوز إطلاعهم وهم أقل من الحيوانات. وفي مجال السلوك يجب على اليهودي ألا يفش يهودياً مثله، أما مع غير اليهودي فلا تكن طاهراً مع الدنسين. ولا يجوز أخذ الربا من اليهودي، ويجوز مع غيره. أما الأرضون والأموال فهي ملك للرب واليهود هم المالكون للأرض والأموال نيابة عن الرب. وأعد التلمود أن سرقة المال من غير اليهودي يعد استرداداً للمال من سالبه. وأجاز الحاخامات أن يحلف اليهودي ويفش غير اليهودي البيع ويعطي الأيمان الكاذبة. ولا يجوز لليهودي رد المال المفقود من غير اليهود. جاء في التلمود: (محرم على اليهودي أن ينجي أحداً من غير الأميين من هلاك أو يخرج من حفرة وقع فيها). وأجاز التلمود لليهودي ارتكاب المحرم مع المرأة النصرانية؛ لأنها غير مؤمنة. كما لا بأس من الحلف زوراً عند الحاكم؛ لإنقاذ يهودي من خصمه غير اليهودي؛ لأن هناك يوم الغفران ستمحى فيه جميع ذنوب السنة الماضية.

الحيض والولادة تدنس المرأة كما الخطايا تدنس الإنسان، لكن الهدايا والقرايين يكفران تلك الخطايا على أن تقدم للكاهن مع الاعتراف بها.

لا يجوز زواج اليهودية من غير اليهودي. والرضاعة ليست سبباً للتحريم. اليهودي من خرج من رحم يهودية فقط.

٥- تحمل ذنوب الأمة: إن كثيراً من رواة الشيعة اتهموا بالغلو؛ لأخذهم بأفكار أهل الكتب، ونسبوا إلى الأئمة. فكثيراً ممن ينتمون إلى فرقة

الخطابية الشيعية انتحلت أفكاراً من النصرانية، وصاغوها بشكل حديث نسبوه لأحد الأئمة، ونجد تسرب هذا الحديث أو ذاك في كتب حديث الشيعة الإمامية.

من هؤلاء المفضل بن عمرو الجعفي الذي ذهب به الغلوحد القول: إن الأئمة تقدر أرزاق العباد، فلما علم منه الإمام الصادق ذلك تبرأ منه ولعنه^(١).

كما عدّه النجاشي فاسد المذهب برغم ما ذكر له من مصنفات^(٢).

ذكر المجلسي أنه وجد في أحد كتب الشيعة: (لم يذكر الكتاب ولعله أحد مصنفات المفضل) برواية المفضل بن عمرو أنه سأل الإمام الصادق عن المهدي.... ثم سألته عن المتعة وذكر قول علي عليه السلام في تحريمها من قبل عمر عليه السلام، ثم يذكر قول الصادق: (.... ثم يقوم جدي (علي عليه السلام) فيشكو للرسول ﷺ الظلم الواقع على الأئمة من قبل الخلفاء، فيرد الرسول ﷺ: الحمد لله الذي صدقنا وعده.... ثم يقول ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقال الإمام الصادق: يا مفضل، إن رسول الله ﷺ قال: اللهم، حملني ذنوب شيعة أخي وأولادي الأوصياء ما تقدم منها وما تأخر إلى يوم القيامة، ولا تقضحني بين النبيين والمرسلين من شيعتنا، فحمله الله إياها وغفرها جميعها. قال المفضل: فبكيت بكاء طويلاً وقلت: يا سيدي، هذا بفضل الله علينا منكم. قال الصادق: يا مفضل، ما هو إلا أنت وأمثالك بلى، يا مفضل، لا تحدث بهذا الحديث أصحاب الرخص من شيعتنا، فيتكلمون على هذا الفضل ويتركون العمل....). قال المجلسي في آخر

(١) الكشي. رجال. ص ٢٧٤.

(٢) النجاشي. رجال. ص ٢٩٥.

هذا الخبر: أقول: روى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب منتخب البصائر هذا الخبر هكذا^(١).

ونقل المجلسي أيضاً عن (كنز = كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة) .. أنه سأل الإمام أبا الحسن الثالث عن قول الله ﷻ: ﴿لَا يَغْفِرُكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقال: وأي ذنب كان لرسول الله ﷺ متقدماً أو متأخراً؟ وإنما حمل الله ذنوب شيعة علي عليه السلام ممن مضى منهم وبقي ثم غفرها له^(٢). هذا وقد اقتبس رواية الشيعة فكرة تحمل الرسول ﷺ ذنوب الشيعة من فكرة تحمل المسيح ابن مريم ذنوب أمته، فقدم نفسه قرباناً ليطهرهم من الذنوب. تمتد النصرانية أن عيسى عليه السلام قد قدم نفسه لأن يصلب فداءً لذنوب أمته. وقد تكررت هذه الفكرة واستعيرت بطرق شتى وتبريرات مختلفة عند معالجة كثير من مصادر الشيعة لموت الإمام الحسين عليه السلام. إنه كان يعلم مصرعه مقدماً، ولكنه أصر لأن يقدم روحه الطاهرة فداءً للأمة^(٣).

٦- نقل الجنائز ودفنها في النجف: ترى اليهودية أن أفضل مكان لدفن اليهودي هو سفوح جبل الزيتون. ويرون أن النبي زكريا مدفون هناك، وكثير من أوليائهم كانوا ينقلون موتاهم للدفن في هذا الموقع على دعوى أن النبي ﷺ سينفخ يوم البعث بوقه ليخرج الموتى من قبورهم^(٤).

لقد أشرنا إلى الأحاديث الشيعية التي تروى في تقديس أرض كربلاء التي دفن فيها الإمام الحسين عليه السلام. وتذهب بعض الأحاديث إلى حد أن من

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٢. ص ٢٠٠-٢٠٨.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ٧ ص ١٤٧.

(٣) المجلسي. بحار الأنوار. في مواضع عدة أحاديث مروية كثيرة بهذا المعنى. انظر: عزاء الحسين في هذا البحث.

(٤) الإنسكلوبيديا اليهودية (جبل الزيتون).

دفن بجوار الإمام علي عليه السلام فإن محنة عذاب القبر لا وجود لها، كما يروى عن الإمام الصادق أن الدفن بجوار الإمام علي عليه السلام يعادل يومه سبع مئة يوم من العبادة^(١).

وكان شيعة إيران منذ القدم يتوقون لدفن موتاهم في النجف؛ واستمر نقل الجناز من إيران، واتخذ أهمية اقتصادية ومهمة تبدأ من النقل إلى الدفن. وكانت أكثر اتفاقيات الصفويين مع العثمانيين تنص على حرية الإيرانيين في دفن موتاهم في النجف؛ لما لذلك من أهمية دينية.

وقد انتقد بعض علماء النجف نقل الجناز ودفنهم في النجف، منهم هبة الدين الشهرستاني الذي ذهب إلى حد التشكيك في صحة الأحاديث المروية في الدفن في الأماكن المقدسة، وذهب إلى أن الرسول صلى الله عليه وآله أمر أصحابه بالدفن حيثما يموت المسلم. وأشار الشهرستاني نفسه إلى أن الإمام علي حذر أتباعه من الاقتداء باليهود ونقل أمواتهم للدفن في معابدهم. وأوضح قبح ما يفعله البعض من تأمين دفن الجناز في مكان ثم نقل الجثة إلى النجف؛ لما فيها من انتهاك حرمة الميت. وقد لاقى الشهرستاني الأذى من أهل النجف بسبب فتواه هذه وطرد منها وذهب إلى الهند مدة سنتين عاد بعدهما إلى كربلاء. وبهذا فقد إمكانية ترشيحه لأن يصبح مرجعاً أكبر. وقد أنكر من علماء الشيعة نقل الجناز ودفنها في النجف علماء غير هبة الدين الشهرستاني مثل السيد محسن الأمين ولكن لم تلق دعواتهم آذاناً مصفية مع الأسف^(٢). وهذا يوضح مدى تأثير العامة على العلماء في هذه الحقبة التي

(١) محبوبة. ماضي النجف ج١ ص ١١.

(٢) الطوسي. المبسوط، ج ١، ص ١٨٧. هبة الدين الشهرستاني. تحريم نقل الجناز. بغداد، ١٩١١. الآداب. عبدالله التفيسي. دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، ص ٧٩.

فقدوا فيها قدرتهم على التوجيه ما دفع أكثر علماء الشيعة إلى عدم معاكسة تيار العامة والوقوف ضد عاداتهم الدينية، وإن لم يكن لها سند من الشرع.

٧- فكرة التثليث: ذكر الكشي في كتابه "الرجال" الذي لم يصلنا، وإنما وصلنا ما اختاره منه الطوسي، فأسماء اختيار معرفة الرجال. قال الكشي: إن بشار الشعيري ادعى، فقال: هي مقالة العليوية يقولون: إن علياً هرب أي (هرب من الربوبية في عالمها)، وظهر بالعلوية الهاشمية وأظهروا به وعبيده ورسوله بالمحمدية، فوافق أصحاب أبي الخطاب في أربعة أشخاص: علي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام. وأن معنى فاطمة والحسن والحسين عليه السلام الأشخاص الثلاثة تلبيس، والحقيقة شخص علي عليه السلام؛ لأنهم الأول في الأمانة، وأنكروا شخص محمد عليه السلام وزعموا أن محمداً عليه السلام عبد وعلياً عليه السلام رب...

وذكر الكشي أن الإمام الصادق كان قد اشتكى من هذا الإنسان^(١)؛ لأنه أغوى أصحابه. وقد تبرأ الإمام الصادق من هذه المقالة حينما بلغته.

٨- البداء: روى الطبري أنه كان في الكوفة امرأتان ناعطيتان: إحداهما تسمى هند بنت المتكلفة الناعطية والثانية ليلي بنت قمامة المزنية يمينتان، وكان يجتمع إليهما غلاة الشيعة في الكوفة أيام المختار، وقد قامتا ببيت أفكار غلاة الشيعة مناصرة للمختار. وكان عبد الله بن نوف قائد سرية المختار في حروراء يتردد على الناعطيتين، فلما انهزم جيش المختار في حروراء لقي عبد الله بن شريك النهدي عبد الله بن نوف، فقال له: ألم تزعم يا ابن نوف، أننا سنهزمهم؟ قال: أو ما قرأت في كتاب الله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يُرِيدُ ۚ وَهُوَ أَمُّ الْكِتَابِ﴾

(١) الكشي. الرجال. ص ١٩٨-٤٠١، ج ٢ ص ١٠٤.

فلا بد أنه قد تلقى مثل هذه الأفكار من تلكما الناعطيتين اليمينيتين اللتين ربما كانتا على دراية باليهودية وأفكارها السائدة لدى عرب اليمن ممن سكن الكوفة بعد الفتح^(١). وقد أوضحنا فيما سبق أن فكرة البداء كانت في الفكر اليهودي، قال بها المختار.

وقد ذكر أن هند الناعطية ادعت النبوة. وقد رمى الشاعر بشار بن برد بالناسخ على طريقة ليلي الناعطية^(٢).

٩- التابوت والكرسي: تذكر الروايات الإسرائيلية أن نبي الله موسى عليه السلام بعد أن تسلم الألواح من ربه، التي فيها تعاليم الرب، قام فوضعها في تابوت؛ للمحافظة عليها من التلف. وقد أشار القرآن الكريم إلى فضل الله على بني إسرائيل، وتنزل التابوت الذي فيه بقية من بني إسرائيل؛ ليضي عليهم السكينة والأمان. وقد استعارت الكيسانية فكرة التابوت واستبدلتها بالكرسي، فقد ذكر الطبري عن طفيل بن جعدة بن هبيرة أن جاراً له كان عنده كرسي متسخ قدمه الجار إلى المختار الثقفي على ادعاء أن هذا الكرسي كان عند أم جعدة أم هانئ بنت أبي طالب وهي أخت الإمام علي عليه السلام. فأخذ المختار الكرسي وزينه بالديباج، وكان يحمله على بفل في الكوفة، فيطوف به على أصحابه يستسقون به ويستنصرون أمامه. وكان المختار إذا قاتل حمل الكرسي هذا معه؛ طلباً للنصر. فالمختار لحاجته للنصر في ثورته في الكوفة على الأمويين ركب الصعب، وأدخل على أنصاره بزعمه أن في الكرسي بقية من الإمام علي بن أبي طالب برغم ما نقل عن شيث بن ربعي وهو من أصحاب علي عليه السلام إنكاره على من تدافعوا على الكرسي يستنصرون به،

(١) الطبري. تاريخ؛ ج ٦. ص ١٠٢، حركات الشيعة المتطرفين. د. محمد جابر عبدالمال. ص ٢٣.

(٢) فتحي الزغبى. غلاة الشيعة. ص ١٢١.

وإبراهيم بن الأشتر قائد المختار ذكر عنه قوله: (اللهم، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا) ^(١) وقد أنكر الشاعر أعشى همدان عليهم قائلًا:

شهدت عليكم أنكم سبئية وأني بكم يا شرطة الكفر عارف
وأقسم ما كرسىكم بسكينة وإن كان قد لفت عليه اللفائف ^(٢)

١٠- استعارة معجزات نبي الله عيسى عليه السلام: إن القارئ لكتب الحديث عند الشيعة والمتعلقة بمعجزات الإمام علي عليه السلام والحسين وفاطمة عليها السلام يشاهد استعارة صريحة لما نسب من المعجزات لنبي الله عيسى عليه السلام في حال مولده وفي حال قتله، يذكر منها للإمام علي عليه السلام ومنها كثير للإمام الحسين عليه السلام، أما معجزات فاطمة عليها السلام فقد استعيرت جميع معجزات مريم عليها السلام وذكرت لفاطمة عليها السلام.

كما استعيرت معجزات مولد نبي الله عيسى عليه السلام إلى مولد الإمام الثاني عشر.

معجزات الإمام علي عليه السلام ومشابهتها لتلك المذكورة لعيسى عليه السلام:

من معجزات نبي الله عيسى عليه السلام التي ذكرها القرآن الكريم: إحياء الموتى وإبراء الأعمى والأبرص بإذن الله. وقد نسبت للإمام علي عليه السلام أنه أحيى ميتاً من بني مغزوم خرج من قبره يتكلم بلسان الفرس. ونسب له أيضاً أنه أحيى ميتاً لأجل أن يتحقق أهله، ويسألون من قتله ^(٣). ومثل هذا كثير نسب لعلي عليه السلام وإلى الأئمة. وذكر الكليني أن الأئمة قادرون على إحياء

(١) الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٨٣.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج٢، ص ٣٥٢.

(٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٤٨٤.

الموتى وإبراء الأكمه والأبرص^(١). وتذكر روايات كثيرة أن الأئمة يعلمون الغيب، وأخرى تقول: إنهم لو شاؤوا أن يعلموا الغيب لعلوم^(٢).

وقد جمع دونالدسون معجزات كثيرة لعلي عليه السلام والأئمة تشابه تلك المذكورة لعيسى عليه السلام تماماً خاصة إحياء الموتى^(٣).

وقد ادعت فرق الشيعة المغالية إحياء الموتى من قبل أئمتها، فقالت فرقة البيانية: إن ابن الحنفية يحيي الموتى^(٤)....

كل ذلك وهم يتلون كتاب الله القائل بكل وضوح:

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

- معجزات فاطمة، وتلك المذكورة لمريم:

في كتاب بحار الأنوار للمجلسي نقول من مصادر عدة قديمة لأحاديث مروية عن الأئمة في شأن معجزات منسوبة لفاطمة عليها السلام، وتلك المعجزات نجدها بعينها كتلك المنسوبة لمريم ابنة عمران في المصادر النصرانية.

- معجزات الحسين، وتلك المذكورة لعيسى:

ينقل المجلسي عن كتاب (ير = بصائر الدرجات) رواية تفيد أن حبابة الوالدية شكت للحسين عليه السلام العمى في عينيها، فقتل الحسين عليه السلام في عينيها فأبصرت^(٥). وقد أشار القرآن الكريم إلى معجزة نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿وَتَرَى الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتِ بِإِذْنِي﴾.

(١) المصدر السابق.

(٢) الطبرسي. الاحتجاج. ج ١. ص ٢٥٦.

(٣) دونالدسون. عقيدة الشيعة. ص ٨٠.

(٤) الأشعري. مقالات. ص ٣٨.

(٥) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ١٤١ وما بعدها.

ونقل أيضاً رواية عن كتاب (يج = الخرائج) أن امرأة أرادت أن توصي للإمام الحسين عليه السلام وبحضوره ولكنها توفيت، فلما حضر الحسين وقف على بابها وناداهما، فقامت (من الموت) ثم قال لها: أوصي. فأوصت ثم ماتت^(١).

وذكر رواية تفيد أن الحسين عليه السلام كان يعلم أموراً غيبية، فقد دخل عليه أعرابي فقال له الحسين: أما تستحي أن تدخل على إمامك وأنت جنب؟

وذكر أيضاً (عن يج): أن رجلين اختصما على طفل رضيع أمام الحسين عليه السلام فطلق الطفل مشيراً إلى أبيه الحقيقي^(٢). وقد ذكر القرآن الكريم معجزة عيسى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وذكر المجلسي روايات تفيد أنه بعد استشهاد الحسين عليه السلام بكت السماء والأرض عليه وانكسفت الشمس وانخسف القمر. ويكتب كل البلاد ما عدا البصرة (كانت البصرة عثمانية) ودمشق وآل الحكم بن أبي العاص أو آل عثمان بن عفان. وبكت الوحوش والحياتان والطيور ومؤمن الإنس والجن وجميع ملائكة السماء والأرض^(٣).

ونقل المجلسي رواية عن نضرة الأزديّة قالت لما قتل الحسين عليه السلام: أمطرت السماء دماً، وجرارنا صارت مملوءة دماً..... ورواية أخرى تذكر أنه لما قتل الحسين عليه السلام ضجت الملائكة إلى الله بالنحيب، وهبطوا يريدون نصرته، ولكن لم يؤذن لهم^(٤).

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ١٤١-١٤٢.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ١٤٢.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ٢٤٤ وما بعدها.

(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ٢٢٨-٢٢٩.

كما ذكر المجلسي ما قيل من مرثٍ وأشعارٍ في مقتله، والعلة التي من أجلها أخرج الله الانتقام من قاتل الحسين (عليه السلام) أن الله ينتقم منه في زمن ظهور الإمام القائم^(١).

ذكر المجلسي أيضاً رواية تفيد أن الحسين ولدته فاطمة، ولم يمكث في رحم أمه إلا ستة أشهر، كما هو الأمر في عيسى ابن مريم^(٢).

وذكر رواية (عن كا = الكافي) تفيد أنه لما ولد الحسين (عليه السلام) أمر الله خازن النار أن يطفئها كرامة لمولود آل محمد، وأمر رضوان أن يزخرف الجنان، وأمر الحور العين أن يتزين، وأوحى الله إلى الملائكة: أن قوموا صفوفاً للتسبيح والتحميد. وأوحى الله إلى جبريل أن اهبط... وهنثوا آل محمد (عليه السلام).

وهذه نصوص تقارب ما ذكر في الأناجيل عند مولد المسيح (عليه السلام) من فرحة الطيور وتسبيح الملائكة....

وذكر رواية تقول: إن الله سبحانه كان قد غضب على أحد الملائكة، فجرده من ريشه، وألقاه في جزيرة، فلما ولد الحسين (عليه السلام) شفع فيه الحسين عند ربه، فرده الله إلى مكانه مع الملائكة المقربين.

ونقل المجلسي من تفسير العياشي كما يبدو أن الله خير الرسول (عليه السلام) إما أن يميت إبراهيم (ابن الرسول (عليه السلام)) أو (يميت الحسين) فاختار (عليه السلام) إماتة إبراهيم فدأء للحسين؛ لأن إبراهيم أمه إذا مات لم يحزن عليه إلا محمد (عليه السلام) بخلاف الحسين.

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٠، ص ٢٥٦-٢٦٧

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٠، ص ٦٩.

وذكر أن الحسن والحسين عليهما السلام مكانهما يوم القيامة ما بين عرش الرحمن أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره^(١).

١١- معجزات الإمام الثاني عشر عند مولده، وتلك التي قيلت بمولد عيسى: نقل المجلسي عن كتاب (كا) رواية تفيد أن الإمام الحجة بعد أن ولدته أمه تكلم، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم صلى على أمير المؤمنين والأئمة جميعاً، ثم سلم على أمه، ثم تلا الآية: ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَيَعْمَلَهُمْ أَمَةً وَيَعْمَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ونقل المجلسي عن (ك = لكمال الدين) أن فلاناً دخل على القائم بعد مولده بليلة فعضس عنده فرد عليه القائم (الطفل) يرحمك الله.

وذكر المجلسي نقلاً عن كتاب (ك): أن فلانة (هكذا) شاهدت طيوراً تمسح بأجنحتها القائم بعد مولده، فقالت لأبيه: ما شاهدته؟ فقال: هم الملائكة نزلت تتبرك به^(٢). وهذه استعارة صريحة لما عند النصاري في كتبهم عن معجزات الطفل المسيح وأمه.

ونقل المجلسي رواية عن كتاب (عط = الغيبة للشيخ الطوسي) أن الإمام الحسن العسكري (الإمام الحادي عشر) أرسل أحد خدمه ليبتاع له جارية صفتها كذا وكذا وكتب له كتاباً باللغة الرومية: ليعطيه إياها ففعل ذلك، وتبين له من كلامها أنها بنت ملك الروم، وأنها وقعت في الأسر، وأنها كانت قد حلمت حلمًا بأن المسيح عليه السلام قد زوجها من أبي محمد الحسن العسكري، فلما

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٠، ص ٧٢-٨٨.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ب- ج. الصفحات الأولى من ١-٢ لم ترقم إنما بدأ الترقيم بعدها.

قدم الخادم بها للإمام خيرها الإمام بين مبلغ من المال أو بشارة يقولها لها، فاختارت البشارة، فقال لها: (أبشري بولد يملك الدنيا.... فهو القائم)^(١).

أثر عقائد الصابئة (المنذائين) على اليهود والشيعة :

يسكن الصابئة جنوب العراق على ضفاف الأنهار، وخاصة في قلعة صالح قرب العمارة. وقد تأثرت بعض تعاليم الشيعة الإمامية ببعض عقائد الصابئة منذ القديم. وتعاليم الصابئة نفسها قد ورثوها من العقائد القديمة في العراق وفارس، وما عند النصاري حيث يدعي الصابئة أن نبيهم يحيى من أنبياء النصاري.

أكثر تأثر الشيعة، وربما غيرهم من الفرق الساكنة في العراق كان بالعقائد المتصلة بالكواكب. يرى الصابئة أن كل يوم من أيام السنة يتحكم فيه كوكب كما يتحكم الملائكة المعنويون بذلك. فيوم الأحد، وهو أول أيام الخليقة تتحكم فيه الشمس يرتبط أيضاً بتجسيد (هشبشة) أول أيام الأسبوع، وهو ملك يطابق أحياناً بالأرواح المنقذة.

كما تقسم ساعات اليوم إلى ساعات نحس وساعات سعد يوم الجمعة وليلته وقت نحس.....

الشمس كوكب ودود، ولكن القمر ذو تأثير منحوس. والزهرة أكثر وداً ومارس هو رب السحاب والرعد. وعطارد رب الكتابة والكتب ورب الحكمة.

إذا سقط الصابئي مريضاً في الحادي والعشرين من أي شهر فأمله في الشفاء قليل؛ لأن ذلك يوم يتحكم فيه الجن... وكذلك اليوم الخامس

(١) المصدر السابق. المجلد ١٠. ص ١.

والعشرون والأفضل ألا يغادر منزله. القمر يُعدّ مسؤولاً عن حالات الإجهاض والعاهات التي تصيب الناس^(١).

إن هناك ساعات نحس يجب على الزوج ألا يقرب زوجته ورجل الدين (الكنزفزة) هو الذي يكشف طالع الزوجين.... والكاهن هو الذي يخبر باليوم السعيد لعقد الزواج أو وقت إرسال الوليد للدرس أو التهيؤ للسفر أو... الحائض نجسة. ويرى الفرس القدماء أن الحيض عند المرأة أو أي نزف عند الرجل إنما هو نجس، والذي يمسه يتنجس. وكان في إيران القديمة بجانب بيت النار مكان اسمه (داستانستان) أي بيت للنساء الحائضات، وذلك لعزلهن وألا يمسسن أي شيء؛ كي لا يتنجس. وعلى الحائض ألا تأكل إلا في أوان معدنية؛ لأن الفخارية يصعب تطهيرها بعد الحائض.

وعلى الحائض لبس القفازات. وحالما تقترب المرأة من الحيض فعليها: تغيير ملابسها.

أن تبعد عن مكان منعزل، فلا ترى ماء ولا ناراً ولا رجلاً مقدساً، ولا تنظر إلى الشمس، ولا القمر، ولا إلى السماء، والأشجار. أن تأكل بملقعة أو بقفازين.

أن تعتزل الناس من ٣-٩ أيام بعدها لا بد من غمس نفسها بالماء. ويلزم استحمام الرجل والمرأة بعد الجماع.

(١) اللبيدي دراوير. الصابئة المندائيون، ج ١. ص ١٢٥-١٤٣. مطبعة الإرشاد. بغداد. ١٩٦٩م.
ترجمة نعيم بدوي وغضببان رومي.

وبعد الوفاة يصنع طعام يؤكل على روح الميت يسمى (اللفاني) ، وهذا مما يساعد روح الميت على اجتياز العقبات في أثناء خروجها إلى عالم النور. ويؤكل اللفاني أيضاً بعد اليوم الخامس والأربعين (الأربعينية) ، وهذه العادة موجودة لدى الفرس القدماء غير أنها واجبة بعد ثلاثين يوماً من الموت. وقد أخذ اليهود هذه العادة ونصوا في التلمود على وجوب إعداد الطعام على روح الميت بعد ثلاثين يوماً من وفاته.

كما للصابئة عادة توزيع الخبز على روح الميت أو أكل الخبز.

شجر الآس عند الصابئة شجر مقدس، ويجب إحضار الآس عند الموت أو الزواج^(١).

وعقائد الصابئة هذه تبدو مزيجاً من عقائد الفرس القدماء وعقائد الحضارات السومرية والبابلية في العراق القديم، التي أدخل اليهود كثيراً منها حين تدوين التلمود في بابل.

ما ورد عند الشيعة الإمامية من أحاديث لها شبه لما عند الصابئة واليهود:

أورد المجلسي في كتابه بحار الأنوار أحاديث كثيرة عن الأئمة، مضمونها أن يوم الأربعاء هو يوم نحس يتطير منه لأسباب مختلفة ذكرتها تلك الأحاديث، منها: أن يوم الأربعاء هو اليوم الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وفيه ألقى نبي الله إبراهيم عليه السلام في النار، وفيه أغرق الله فرعون، وفيه أدخل نبي الله يوسف السجن^(٢).

(١) المصدر السابق. ج ١. ص ٢٨٠-٣١٧.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٤. ص ١٩٥.

ونقل المجلسي أن الشيخ الصدوق (ابن بابويه القمي) نهى عن السفر يوم الأربعاء أو الاحتجام فيه.

ويسوق المجلسي حديثاً عن الإمام علي عليه السلام أنه إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليتي أول الأهلة وأنصاف الشهور، فإن الشيطان يطلب الولد فيها^(١).

ويذكر المجلسي أن يوم الحادي والعشرين من كل شهر يوم نحس، وذكر أن الفرس ترى أنه يوم جيد، وفي رواية أنه يصلح لإهراق الدم... ولا تطلب منه حاجة. وذكر رواية حديث عن الأئمة أن هذا اليوم لا تطلب فيه حاجة، وتكره فيه سائر الأعمال^(٢).

وذكر المجلسي روايات عن اليوم السادس والعشرين، وأنه يصلح لكل شيء ما عدا الزواج (فمن تزوج فيه فرق الله بينهما، كما فرق الله لموسى البحر)^(٣).

وذكر المجلسي في بحاره في المجلد الرابع عشر من ص ١٩١ وحتى ص ٢٠٨ روايات تكلم فيها عن نحس الأيام وسعادتها. ثم ذكر النيروز، وقال: إنه أول يوم طلعت فيه الشمس، وفيه نزل جبريل على النبي محمد ﷺ... وإذا قرأت أي كتاب من كتب الشيعة الإمامية وخاصة القديمة تجد تفاصيل عن أيام النحس والسعد. أورد الشيخ المفيد في كتابه الاختصاص جملة أحاديث عن الأئمة، مفادها: أن الجماع يكره عند الفجر وعند المغيب وعند الكسوف والخسوف وعند اشتداد الريح الحمراء والصفراء والسوداء. ثم أورد حديثاً عن الرسول ﷺ أنه لم يجامع في ليلة انكسف فيها القمر^(٤).

(١) المجلسي، البحار، المجلد ١٤، ص ١٩٦-١٩٨.

(٢) المجلسي، البحار، المجلد ١٤، ص ٢٠٢.

(٣) المجلسي، البحار، المجلد ١٤، ص ١٠٦.

(٤) المفيد، الاختصاص، ص ٢١٣.

وتعتقد كتب فقه الشيعة الإمامية في باب الزواج فصلاً للأوقات التي يكره فيها الزواج، فمثلاً في كتاب العروة الوثقى للطب طبائى وشرحه للسيد الحكيم المسمى المستمسك أورد فيه جملة من الأوقات التي يكره فيها الزواج، ومعاشرة الزوجة.



الفصل الثالث

العنصرية والتمييز

أ- قصر العنصر السامي على اليهود

جاء في سفر التكوين (٩، ١٨، ١٩) أن بني نوح الذين خرجوا من الفلك، هم سام وحام ويافت، ويعدون ساماً هو أب الكهنة، ورجال الدين، بينما حام هو أب الرقيق، ويافت أب للسادة^(١).

والهوية اليهودية تثير أشكالا بين الباحثين في العصر الحديث، فإذا كانت اليهودية مجرد دين فقط، فيصح أن يكون من بين اليهود، الأبيض والأسود والسامي والآري والشرقي والغربي... وهكذا أصبح لدينا تعريف ديني لليهود، (وهو من خرج من رحم يهودية) في رأي رجال دينهم، فالسامريون في فلسطين يعدون أنفسهم فقط هم اليهود المعنيون في الأسفار السنة فقط، وما عداها فمن زيادات الفرق المدعية باليهودية، في حين نشأت تعريفات قومية لليهودي وأخرى صهيونية لخدمة الأغراض السياسية ولدولة إسرائيل^(٢).

وذهبت فرقة القبايلين من اليهود إلى التمييز بين اليهودي وغيره إلى الادعاء بأن: (اليهود خلقوا من طينة مختلفة، عن تلك التي خلق منها بقية البشر)^(٣).

(١) محمد يونس هاشم: الدين والسياسة والنبوة، ص ١٢٢، دمشق ٢٠١٠م، دار الكتاب العربي.

(٢) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود، المجلد الأول، ص ٩٠ - ١٠٥، دار الشروق.

(٣) المصدر السابق: عبد الوهاب المسيري، ص ٤١، ص ٥٦.

ب- خلاص الرب لليهود من ذنوبهم

تنص التوراة في كتاب أشعيا (١١/١١ - ١٢) على بشرى لليهود واجتماعهم، بعد شتات في أرض الميعاد، حيث سيحكمون بالعدل والسلام، وأن من سيظهر للحكم بالعدل، هو من سلالة داود عليه السلام، وأن الرب سيخلصهم أخيراً من جميع شرورهم، وقد ورد في زكريا (٨): (كنتم لعنة يا أبناء يهوذا وإسرائيل، فأنتي أخلصكم فتصبحون بركة)، وهذا الخلاص الذي ورد عن طريق الأنبياء أشعيا وزكريا وغيرهم، إنما كانت تخص رجوع المسيبيين من بابل إلى فلسطين، لتخلصهم من الاضطهاد والاستبعاد، وقد تحقق هذا الخلاص على يد الملك الفارسي كورثس، كما هو معروف، ولكن رجال الدين اليهودي يحرفون نصوص الأنبياء هذه، لتعم جميع اليهود في شتات الأرض، وهو أمر قد درجوا عليه، وأشار إليه القرآن الكريم: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦)، وقد استغلت الصهيونية هذا التحريف، وزادت عليه بقصد حث اليهود على العودة إلى فلسطين^(١).

ج- إن الله قد اختارنا من بين خلقه وسيثار لنا

ورد في التوراة حث لليهودي على الصلاة والدعاء المخصوص، وذلك كما يقول البعض (.. لكي تكثر أيامك وأيام أولادك على الأرض، التي أقسم الرب لأبائك أن يعطيهم إياها طيلة أيام السماء والأرض)، (انظر التوراة سفر التثنية ١١/١٣ - ٢١).

(١) محمد يونس هاشم: المصدر السابق، ص ٥٥، وما بعدها.

وفي الصلاة اليهودية أدعية كثيرة، تطلب من الرب أن يعجل لهم بالفرج؛ لأنه قد اختارهم من بين خلقه، ووعدهم بالنصر، وفي جزء آخر من الصلاة، يشكر اليهودي الرب على (...) وأيدتهم في خصومتهم، وحكمت حكمهم، وثأرت انتقاماً لهم، سلمت الجبابرة بيد المستضعفين (...).

القاعدة عند اليهود، تقضي بحق الابن البكر في الميراث، ثم عدلت إلى أن يكون له سهمان، وكما كان إسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم، لكنهم عدلوا عن ذلك باجتهاد أن إسماعيل ولد الأمة المصرية، لا ينطبق عليه اختيار الرب لشعب إسرائيل من نسل إسحاق^(١).

وفرقه اليهود القريزيون يعدون أنفسهم هم العلماء الأتقياء، وأن الآخرين (من عامة الأرض)، أي عوام الأرض^(٢)، وقد ورد في سفر التثنية: (لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختارك الرب لتكون له شعب أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض) (الإصحاح ٧ / ٦).

وقد ورد في التلمود: أن أرواح اليهود قد تحررت من الله مباشرة، لا من آدم.

وفي التوراة أن الرب خاطب النبي داود: (...) لأن الرب خاطب إسرائيل إلى الأبد، جعلك ملكاً لتجري حكماً وبراً) (الإصحاح ١٠ / ٩)، وادعى اليهود أن الله قد سخط على جميع الأمم عدا إسرائيل التي أحبها وحدها: (...) لأن الرب قد سخط على جميع الأمم... (الإصحاح ٣٤ / ١ - ٣)، وأمرت التوراة اليهود بأن لا يشفقوا بهذه الأمم، ولا يقطعوا لهم عهداً (الإصحاح ٧ / ١ - ٢)، وطلب

(١) المصدر السابق: ص ١٩٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١٠.

نص التوراة من اليهود ألا يدخل في دينهم غير بني إسرائيل (الإصحاح ٢٣ / ١ - ٢)، وشجع اليهود على الاستيلاء على أموال خصومهم ومخالفهم من المسيحيين وغيرهم، فأموالهم كالرمل في الصحراء، أو كالماء بالبحر، قد يعبرون عن ذلك، وتحرم التوراة استعباد اليهودي لأخيه اليهودي، أما الآخرون فهو جائز، لأن الأمم الأخرى إنما خلقت عبيداً وخداماً لبني إسرائيل (الإصحاح ٢٥ / ٣٩ - ٤٦)، ولأنهم يهود قد اختارهم الله فإنهم لن يعذبهم الرب، حتى إن أذنبوا بل سيغفر لهم، لأنهم أبناءؤه وأحبائه (المزمور ٨٥ / ١ - ٢)، كما ادعى اليهود أن الجنة لا يدخلها إلا اليهود الصالحون، قد حكى القرآن الكريم هذه الدعاوى^(١).

اختيار الخالق للشيعة

يدعي الشيعة الإمامية أن الله قد اختارهم من بين خلقه، بل من بين بقية المسلمين، ذلك أن بني آدم خلقوا من الطين، ولكن أرواح الشيعة والأئمة خلقوا قبل أبدانهم من نور معلق تحت العرش قبل خلق آدم^(٢).

ولأن أمر الشيعة وعقائدهم، كما نقل في الأحاديث: (إن أمرنا صعب مستصعب)، أي من الصعوبة أن يؤمن به الإنسان، سوي العقل؛ لذا فقد اختار الله الشيعة فقط لهذا الأمر؛ كي يحملوه ويؤمنوا به، فهو صعب حتى على (الملك المقرب، أو النبي المرسل)، ولكن الشيعة قبلوه؛ لأن الله قد خلقهم من طينة مختلفة عن الآخرين^(٣).

(١) عبد الوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية، المجلد ١، ص ٥٦، دار الشروق. ومجلد ٢، ص ٢٦.

(٢) الكليني، الكافي: الأصول، ص ٢٦١.

(٣) الكليني، الكافي: الأصول، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

وتصنف أحاديث الشيعة خصومهم، وتصنفهم بأوصاف سيئة، فما يبقى عليها إلا هم الصفوة.

يروى الكليني عن سليمان بن خالد عن الصادق قوله: (أهل الشام شر من أهل الروم، وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة)^(١)، ويعمل حديث آخر ما سلف، بأن أهل الروم كفروا، ولكن لم يعادوهم كأهل الشام.

أورد علي بن إبراهيم القمي في تفسيره للقرآن في معرض الآية: ﴿فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ (النور: ٣٦)، عن الإمام الرضا: (... نحن أبناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا... وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم... ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة...) (٢).

وادعاء اختيار الشيعة من قبل الله ليس في الدنيا وإنما أيضاً في الجنة، ففي حديث طويل ينسبه الطوسي في أماليه، أنه يوم القيامة يسأل الداخلون في الجنة: من أنتم؟ فيجيبون: نحن العلويون، فيدخلون مع من يوالون^(٣).



(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص ٥٣٨.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٨٠.

(٣) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص ٣٢، بيروت ١٩٨١م.

البصائر النبوية

آل موسى وآل محمد وعلي

وصية النبي موسى ليوشع بن نون بعده

ورد في التوراة: أن الرب طلب من موسى أن يوصي يوشع، أن يكون بعده راعيًا لبني إسرائيل: (... ففعل موسى كما أمره الرب، أخذ يوشع وأوقفه قدام العازار الكاهن، وقدام كل الجماعة، ووضع يده عليه، وأوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى)، (الإصحاح ٢٧ / ١٥ - ٢٣).

وتشير نصوص التوراة إلى حصر الملك عند بني إسرائيل، بنسل النبي داود، متعلقين بأيام الرخاء والسيادة التي مرت عليهم، في مملكة داود، وابنه سليمان عليهما السلام. جاء في سفر إرميا: (لأنه هكذا قال الرب: لا ينقطع لداود إنسان يجلس على الكرسي لبني إسرائيل)، (انظر الإصحاح ٣١ / ١٧).

وجاء في سفر الملوك الأول: (ويكون لداود ونسله وبيته وكرسيه سلام إلى الأبد من عند الرب) (الإصحاح ٢ / ٢٣)، (وانظر كذلك المزامير ٨٩ / ٢٠ - ٢٦).

فالملك عندهم أصله وصية نصية، ثم هو محصور في بيت واحد، ونسل واحد فقط، كما تشير النصوص. وقد تعلق اليهود ببناء هيكل سليمان، الذي دمره نبوخذ نصر، ويرون أن تابوتًا كان قد وضعه سليمان في الهيكل لتقديسه، وأضحى الإسرائيليون يحملون هذا التابوت في حروبهم؛ لاعتقادهم أنه يجلب لهم النصر على عدوهم (انظر سفر صموئيل الأول ٤ / ١ - ٧).

وصية الرسول محمد ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

يرى الشيعة أن لكل نبي وصياً، فكما أن موسى قد أوصى ليوشع بن نون أن يأتي بعده، كذلك الرسول محمد ﷺ، أوصى ونص على أن يخلفه علي ابن أبي طالب، وادعوا أن ذلك تم في غدير خم (من كنت مولاه فعلي مولاه). واحتجاج الشيعة بهذا الأمر مشهور ومبسوط، لا حاجة للاستغراق فيه، لكن يصل بهم الحد للاحتجاج أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب للرسول محمد ﷺ أن يخلفه ولد، وذلك لحكمة، مجيء وصية علي بن أبي طالب بعده^(١).

الأسباط عند اليهود

الأسباط هو ولد الولد، واستعملت في المصادر القديمة التي تحكي تاريخ الإسرائيليين بمعنى القبائل، وفي تراث اليهودي أن العز والقدرة والنباهة والنبوة، انحصرت في ولد يعقوب بن إسحاق الأربعة، وهم لاوي ويهوذا ويوسف وبنيامين، والباقيون من ولد يعقوب أصبحوا أسباطاً بهؤلاء، وقد أشار القرآن الكريم إلى أسباط بني إسرائيل عدة مرات قاصداً المعاني أعلاها^(٢).

الأسباط عند الشيعة

قيل: إن أول من جاء بفكرة الأسباط الأربعة هو عبد الله بن حرب، حيث هو الذي وصف أبناء الإمام علي بن أبي طالب بأنهم أسباط، فكما أن أبناء يعقوب أصبحوا أسباطاً، للصفات المذكورة فيهم، فإن أبناء الإمام علي الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية، هؤلاء الثلاثة مع أبيهم علي هم

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص١٥٨.

(٢) علي النشار: نشأة الفكر الفلسفي، ج٢، ص٨١.

أسباط أربعة، ويشرح سعد القمي في كتابه المقالات والفرق، وهو من مصادر الشيعة الموثقة، أن أولاد يهودا (السبط الأول)، هم النبي داود وسليمان، ولاوي (السبط الثاني)، فأولاده موسى وهارون وعزير وحزقيال أما يوسف (السبط الثالث)، فأولاده يوشع بن نون، وهو وصي موسى، أما السبط الرابع يامين فأولاده طالوت^(١).

٣ - فكرة المسيح المخلص (والمنتظر) عند اليهود

بسبب الاضطهاد الذي تعرض له اليهود قديماً في مصر على يد الفراعنة وفي وادي الرافدين، على يد نبوخذ نصر، وفي فلسطين، على يد الكتعانيين، خصومهم التقليديين، حاول شراح اليهود ورجال دينهم تأويل بعض نصوص التوراة، بأنهم ينتظرون أن يأتيهم مسيح مخلص من جميع تلك الآلام ويجمعهم بعد شتات.

يذكر في التكوين (١٠ / ٤٩)، (لا يزال صولجان من يهوذا ومشتري سلالاته حتى يأتي (شيلو) وتطليه الشعوب)، وفي (العدد ١٧ / ٢٤): «إني أراه وليس حاضراً أبصره، وليس قريباً يبرز ككوكب من يعقوب، ويقوم صولجان من إسرائيل، فيحطم طريق مؤاب ويخسف كل أبناء الغرور).

وقد أضفى شراح اليهود على النبي إيلياهو المذكور عندهم، صفات تقربه من ادعائهم بأنه هو المخلص، وهو المسمى عند المسلمين بإلياس، (انظر الملوك الأول ١٦ / ٢٩ - ٢٣) وفي (أشعيا ٦ / ٩ و٧)، نص صريح واضح، سيأتي لهم ابن مخلص يكون رئيساً يعم به السلام، وعندها كما يقول النص يرعى الذئب والنمر مع العجل...

(١) سعد القمي: المقالات والفرق، ص ٢٧ - ٣٠.

وفي هذا الجو كما يصور النص أن يتمتع الأسد من الافتراس ويأكل التين (انظر سفر إياهو ٦٥).

وقد ظهر بين اليهود إبان الحكم الروماني أدعاء كثر، قالوا: إنه المسيح المنتظر، ولكن الجيش الروماني قتلهم وأتباعهم، واستمر الادعاء بمن ينسب نفسه للمسيح المنتظر الذي وعد به اليهود حتى في ظل الدولة الإسلامية، ففي عهد عبد الملك بن مروان سنة ٦٨٥م، ظهر رجل في أصفهان اسمه عويدا، ادعى أنه المسيح المنتظر، وفي عهد عمر بن عبد العزيز سنة ٧١٧م، ظهر في سوريا سورينوس، ادعى أنه المسيح المنتظر في كتب اليهود، وعزي ظهوره إلى الحرية الدينية في عهد هذا الخليفة العادل، وقد ظهر أدعاء بأنهم المسيح المنتظر بين اليهود في عهود وبلاد مختلفة من العهود الصليبية، إلى بلاد المغرب وفارس والعراق^(١).

معركة هر مجدوم ونزول المسيح

لقد تأثر المسيحيون البروستانت بدعوى اليهود الخاصة بالملخص، وظهوره آخر الزمان، وأضافوا إليها بأن المخلص هذا سيكون المسيح نفسه، ولكن قبل نزول المسيح لا بد من حصول مقدمات فيما يرون، منها إقامة دولة إسرائيل لتجمع اليهود من الشتات، ثم وقوع معركة فاصلة بين قوى الخير والشر (هر مجدوم). حيث يتم في النهاية تنصير اليهود أو القضاء على من يرفض ذلك، وقد استخدم البروستانت قراءة مغلوطة ومحرفة للإنجيل جمعوا بينها وبين نص التوراة المحرف هو الآخر أيضاً، وهذا في رأيهم كله تمهيد لظهور المخلص، فالمخلص لا يظهر فجأة^(٢).

(١) انظر في تفصيل ذلك حسن ظاظا: المصدر السابق: ص ١١٧، وما بعدها.

(٢) محمد يونس: المصدر السابق: ص ١٩٢، وما بعدها.

الإمام المنتظر عند الشيعة

لقد عالجنا دعوى الشيعة المتعلقة بنسبة الإمام الثاني عشر المدعى به محمد بن الحسن العسكري، واختفائه وهو طفل في سرداب في سامراء، وذلك في كتابنا جذور التشيع.

وقد ادعى الشيعة الإمامية أن الإمام المنتظر سيظهر ويملاً الأرض عدلاً وحكمة، وسينتقم من أعدائه وأعداء آبائه، وادعوا أن ظهوره منصوص عليه ولا يشيرون إليه بالاسم، وإنما يشار إليه بعدة صفات: صاحب الزمان، صاحب الدار، المنتظر، الإمام الغائب...

فقد وردت أحاديث عندهم بالنهي عن الاسم، وفصلوا في حال غيبة الإمام، وذكروا كراهية القول بتوقيته ظهوره، وأن غيبته إنما هي تمحيص وامتحان للمؤمنين^(١).

وحينما يظهر الإمام الغائب، فإنه سيحكم بشريعة سليمان وداود. وفي تفسير القمي للآية: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا مِنَ الْأَرْضِ﴾ (النمل: ٦٢)، عن الصادق أنها نزلت في القائم من آل محمد^(٢)، وهو عندهم المهدي المنتظر.

وهناك تفاصيل كثيرة تسردها كتب الشيعة، حول خروج المهدي، وما سيفعل بالعرب خاصة بمكة، وسينتقم من جميع أعداء الشيعة، الذين سيرجعون للحياة لهذا الغرض قبل يوم القيامة، وسيحكم المهدي بشريعة داود، وينفذ حكمه دون طلب البيعة، كما ينقل ذلك الشيخ المفيد^(٣).

(١) انظر هذه التفاصيل في كتاب الكافي (الأصول) الكليني، ص ١٢٠ - ٢٢٠.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ١٠٥.

(٣) المفيد: محمد بن محمد النعمان: الإرشاد، ص ٣٦٥، بيروت ١٩٨٩م.

الإمام الغائب يرون أنه الإمام الثاني عشر، وهو محمد بن الحسن العسكري (نسبة إلى عسكر سامراء) وأنه ولد بسامراء سنة ٢٥٦هـ وقيل ٢٥٥هـ، وغاب بسر داب في سامراء وعمره في روايات مختلفة بين أربع سنوات إلى إحدى عشرة سنة، وأكثر الروايات أنه غاب سنة ٢٦٠هـ وهي سنة وفاة والده.

والروايات التي ذكرها المجلسي في كتابه بحار الأنوار نقلاً عن كتب قديمة تذكر أن أم الإمام المهدي اسمها نرجس وهي جارية رومية^(١). ونقل من كتاب (غظ) رواية خرافية مفادها أن الإمام أبا محمد الحسن العسكري أرسل أحد خدمه من سامراء إلى بغداد؛ ليبْتَاعَ له جارية كذا وكذا، وكتب له كتاباً باللغة الرومية؛ ليعطيه إياها ففعل ذلك وتبين له من قولها أنها بنت ملك الروم، وأنها وقعت في الأسر، وأنها كانت قد حملت حلاًماً أن المسيح ابن مريم قد زوجها من أبي محمد الحسن العسكري، فلما قدم بها سامراء وسلمها لأبي محمد قال لها أبو محمد: هل تريدان كذا دينار أم بشارة، فقالت: بل بشارة بولد، فقال لها: أبشري بولد يملك الدنيا فهي أم المهدي^(٢). وتنتهي الروايات المدونة عن ذكر اسم الإمام الثاني عشر صريحاً كذا: محمد بن الحسن، بل يجب أن يدعى: بالحجة من آل محمد أو القائم أو المهدي أو صاحب الزمان، أو صاحب العسكر أو صاحب الناحية المقدسة^(٣). وتختلف روايات أخرى أن أم المهدي اسمها ريجانة، وقيل صقييل أو سوسن^(٤). وتروى عند مولده خوارق منها أن فلاناً عطس عنده بعد مولده بلبلة واحدة فرد

(١) المجلسي. بحار الأنوار. ج١٣. ص ٢.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. ج١٣. ص ١.

(٣) المجلسي. بحار الأنوار. ج١٣. ص ٣٩ وص ٢٣٧ وص ٢٤٢.

(٤) المجلسي. بحار الأنوار. ج٢. ص ٩٨. وهذا الاختلاف الكبير عند مصادر الشيعة القديمة ألقى الشك استناداً لروايات أخرى بأن الإمام الحسن العسكري لا ولد له وأن وارثه الوحيد هو أخوه جعفر. انظر المجلسي. المجلد ١٣. ص ٢٤٤.

عليه القائم: يرحمك الله. وأن فلانة قد شاهدت طيوراً تمسح بأجنحتها القائم بعد مولده، فقالت لأبيه ذلك فرد عليها: هم الملائكة نزلت تتبرك به ^(١). ورواية تذكر أن القائم شوهد يمشي بالدار يتكلم الفصحى بعد ولادته بأربعين يوماً ^(٢).

وفي هذه الروايات تشبيه واضح واقتباس مما ذكر عن ولادة المسيح ابن مريم ونزول الملائكة حين مولده وتكلمه بالمهدي كما هو مذكور في العهد القديم.

وتصفه روايات الشيعة بأنه شاب وسيم يلبس البياض ويركب حصاناً أبيض، وقد كان الشيعة لمهد قريب يهيئون حصاناً أبيض عند السرداب بسامراء ربما ليركبه عند خروجه. وقد وجد الشيعة حول هذا السرداب أو يأتون من أماكن بعيدة حاملين الأموال بما يسمى حق الإمام لتسليمه إلى وكيله، ويدخلون ما يعن لهم من أسئلة حول دينهم في رقعة إلى داخل السرداب، ويدعى أن الإمام الغائب يجيب عنها بواسطة وكيله. ودامت هذه الحال إلى ما يقرب من سبعين سنة تعاقبت فيها أربعة وكلاء للإمام الغائب يسمون بالسفراء، وهذه المدة هي ما تسمى عندهم بالغيبة الصغرى، حيث تمتد من سنة ٢٦٠هـ إلى وفاة آخر سفير كما سنرى حيث دخلت مدة الغيبة إلى ما يسمى بالغيبة الكبرى. واضطراب هذه الروايات يدل على عدم وجود ولد للإمام الحسن العسكري وأن غيبته حديث خرافة.

وتسوق روايات كثيرة مسندة إلى أقوام رأوا الإمام الغائب وتدور على قصص فيها الخرافة، فينقل الطوسي في كتابه الغيبة (غيبة الإمام

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٢، ص ب - ج.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج١٢، ص ٧٧.

الثاني عشر) أن رجلاً رأى الإمام الغائب سنة ٣٠٩ هـ بعد رجوعه من الحج، ورأى من علامة كونه الإمام الغائب أن الجمل يرتفع بالإمام من الأرض إلى السماء^(١). كما تذكر قصص لقوم لا يذكرون أنهم رأوا الإمام إلا بعد مدة من الزمن، فهذا رجل يذكر أنه رأى الإمام الغائب في الكعبة في أثناء الحج يحدث الناس في حلقة علم^(٢). كما ينقل الشيخ المفيد محمد بن محمد ابن النعمان في كتابه الإرشاد أن حكيمة بنت محمد بن علي قد رأت الإمام الحجة يوم مولده، وأن خادمة لإبراهيم بن عبده النيسابوري رأت الإمام الحجة عند الصفا في الكعبة وهو يحدث الناس. كما ذكر أن عمرو الأهوازي قال: أرنه الإمام أبو محمد الحسن العسكري وقال هذا صاحبكم^(٣).

وقد جمع المجلسي من كتب الشيعة الكثير من الروايات والقصص التي تدور على رؤية الإمام الغائب غالباً في أثناء الحج أو عند سرداب سامراء، وبعضها ينسب أصحابها أن الحجة قد شافهم من أمراض يشكون منها كمرض الفالج وعمى العيون^(٤). ومن طريف ما قرأت قصة محكية عن علي ابن فاضل المازندراني الذي حدثهم في مدينة الحلة في العراق أنه سافر إلى الشام ثم مصر ثم ركب البحر إلى الأندلس، ومنها إلى ما سماه الجزيرة الخضراء في وسط البحر، حيث وجد أهلها شيعة إمامية "اثنا عشرية"، وتلقاه إمام المسجد وأكرمه فتبين للمازندراني أن إمام المسجد من أولاد الحجة الإمام المهدي، وزار المازندراني من جملة ما زاره قبة عليها خادمان، وكان إمام المسجد يرقى إليها ليكتب إلى الإمام الحجة، فيخرج له جواب

(١) الطوسي. الغيبة. ص ١٥٥.

(٢) الطوسي. الغيبة. ص ١٥٢. وقد أورد الطوسي في هذا الكتاب. ص ١٧٠ أخبار من رأى الإمام الغائب وصفته.

(٣) المفيد. الإرشاد. ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(٤) المجلسي. بحار الأنوار. ج ١٣. ص ١١٨ - ١٢٢.

أسئلتهم. ولما طلب المازندراني هذا من إمام المسجد أن يرى الحجة أجابه بالمنع، ثم قال له: إنك رأيته مرتين، ولكنك لم تنتبه أنه الحجة: مرة في سامراء ومرة في موضع كذا، فذكره الحادثين فتذكرهما المازندراني^(١). وأمثال هذه الروايات قد دفعت أحد علماء الشيعة المتأخرين وهو حسين ابن محمد النوري الطبرسي إلى تأليف كتاب: (جنة المأوى في ذكر من فاز بقاء الحجة ومعجزاته في الغيبة الكبرى). وقد طبع في آخر الجزء الثالث عشر من كتاب بحار الأنوار للمجلسي أورد فيها تسعاً وخمسين حادثة رؤية الحجة في تواريخ مختلفة تقع ما بين سنة ٣٩٢هـ - ١١٨٦هـ. استغرق تسطيرها ما بين ص ٢٥٢-٢٩١ من كتاب بحار الأنوار، الجزء الثالث عشر. والمهم أنها جميعاً بعد الغيبة الكبرى. وساق المجلسي رواية من أحد الكتب القديمة عن شخص طلب عدم ذكر اسمه كيف أنه نزل السرداب بسامراء سنة ٦٢٥هـ، ووضع فيه كتاباً فيه أسئلة، وأنه شاهد الحجة، وحمل عنه رقاعاً ورسائل^(٢).

ويقع علماء الشيعة وأتباعهم في حيرة في كيفية التوفيق وتصديق الروايات المروية والمتضاربة في موضوع رؤية الإمام الغائب، أو أنه يكتب للصفوة من الشيعة، فيكاد إجماع الشيعة ينعقد على صحة رواية عن السفير الرابع والأخير علي بن محمد السيمري، حيث وصلت له رقعة من الإمام الغائب وبتوقيعه قبل وفاة السيمري بشهور سنة ٢٢٩هـ. ورد فيها: «لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله، فمن ادعى رؤيتي فهو كذاب مفتر»^(٣).

(١) المجلسي. بحار الأنوار. ج٣. ص ١٤٤ - ١٤٨.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. ج٣. ص ١١٨. والرواية من كتاب (نجم).

(٣) المجلسي. بحار الأنوار. ج٣. ص ٢٨٥.

وفي رواية أخرى عن السيمري يذكر النص هكذا «... من يدعي المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر^(١). وللخروج من هذا المأزق يرى البعض أن الحديث السالف آحاد لا يلزم تصديقه، حيث تعارضه أخبار كثيرة وردت في مشاهدة الإمام الغائب كالتي سقناها آنفاً وقيل: لعل المقصود بانقطاع المشاهدة على السفراء الأربع لا بسائر الخواص من علماء الشيعة. ورأي ثالث ذهب إلى أن قول الإمام الحجة السالف إنما يؤخذ في حال حكم بني العباس الذين يخشى الإمام أن يقتلوه، أما بعد أن يأمن فإن أولياءه يشاهدونه ويكتب لهم.

ورأي رابع يؤوله إلى أن المشاهدة المنفية إنما هي أن يشاهد الإمام، ويعلم أنه هو الإمام الغائب حال المشاهدة لا بعدها. وتذهب رواية أخيرة منسوبة عن الكليني في الكافي والنعماني في كتابه الغيبة في غيبته، وعلق على ذلك حسين بن محمد النوري أن ذلك قد يكون في كل عصر ثلاثين ولباً يتشرفون بلقائه^(٢). وهكذا فتح الباب على مصراعيه بعد أن كان مغلقاً، فما الداعي إلى ذلك يا ترى؟

إن هذه حاجة مهمة يحتاج إليها بلقائه أئمة الشيعة خاصة من الناحية السياسية، حيث قد يحتجون بأنهم يتلقون الأوامر من الإمام الغائب.

إن عناصر الفكر اليهودي قد تسربت إلى فكرة الإمام الغائب بطرق شتى، منها الإمام المنتظر حينما سيظهر أمره سيحكم بشريعة النبي داود عليه السلام، روى الكليني فقال في الكافي: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا قام قائم

(١) المجلسي. بحار الأنوار. ج ١٢. ص ٢٨٥.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. ج ١٢. ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

آل محمد حكم بحكم داود وسليمان ولا يسأل البينة^(١). وفي رواية أخرى تخفف هذا الاتجاه الكلي نحو اليهودية تقول: إن القائم سيحكم لكل فرقة بكتابها؛ لأهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأخيراً أهل القرآن بقرآنهم^(٢). وهذا اتجاه أممي يشبه ما ظهر لاحقاً في الهند مما يسمى بدين أكبر كما سبقت الإشارة إليه؛ كما تذهب روايات إلى أن القائم سيهدم مسجد رسول الله ﷺ وكذلك المسجد الحرام، ويردهما إلى أساسهما الصحيح في رأيهم. كما يخرج أبو بكر وعمر من قبرهما ويصلبهما ويحرقهما^(٣).

والدوافع السياسية واضحة فيما وضع في أفواه الأئمة من أقوال تخص ما سيفعله الإمام الغائب بعد ظهوره، فهو سيستأصل العرب وقريشاً من شأفتهم، روى النعماني في كتابه «الغيبة» عن الحارث بن المغيرة أن أبا عبد الله عليه السلام قال بهذا الخصوص: «ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح»^(٤). ولهذا فإن العرب في رأيهم لن يخرج منهم مع الإمام الغائب أحد ذلك. وأنه لن يبقى منهم إلا القليل^(٥). ولذا سيبلى بالناس الشك، ويقولون: إن الغائب ليس من آل محمد، فلو كان كذلك لرحم^(٦)، وهذا إرهاب وتهيئة النفوس لما يودون القيام به مستقبلاً في الحرمين، وغيرهما على يد أناس لا صلة لهم بالعرب، وكل هذا يؤخذ رد فعل ضد العرب.

(١) الكليني. الكافي. ج ١. ص ٣٩٧.

(٢) النعماني. الغيبة. ص ١٥٧.

(٣) المجلسي. البحار. ج ٥. ص ١٥٥.

(٤) النعماني. الغيبة. ص ١٣٧.

(٥) النعماني. الغيبة. ص ١٥٤.

وإذا كان مبدأ الإمامية القدماء هو فقط الانتظار لظهور الإمام الغائب لإقامة دولته، ويروون بذلك أحاديث عن الأئمة بلزوم الهدوء وعدم إعلان نواياهم، فإن المتأخرين من الإمامية لما توافرت لهم حرية القول ذهبوا إلى القول بوجوب التوطئة لظهور الإمام الغائب، وذلك بالعمل السياسي والثورات والتحضير لقيام الدولة^(٧).

وبعد الحكم البويهى أصاب سامراء نوع من الإهمال، وأضحت مدينة الحلة مركزاً شيعياً يدرس فيها طلاب العلم، وكان لها شأن في نكبة هولاكو ودخول التتار العراق كما قدمنا، فقد ساد في أوساط الإمامية أن ظهور الإمام الغائب سيكون في الحلة في جامع ما يسمى «آخر الأئمة»، وقد زار ابن بطوطة هذا المسجد، وذكر أن على بابه ستارة حرير، وكان من عاداتهم أن يخرج في كل ليلة رجل مسلح يأتون المشهد، وينادون بطلب ظهوره^(٨).

إن فكرة الإمام الغائب وجدت أيضاً عند اليهود خاصة في فترة السبي البابلي، حيث ذاق اليهود المهانة والتشريد على يد نبوخذ نصر سنة ٧٢١ قبل الميلاد على يد الآشوريين. ففي التلمود البابلي الذي كتبه أحبار اليهود في بابل يذكر أن سيظهر المسيا من نسل داود، وسيعيد دولة داود في فلسطين ويقيم بناء الهيكل، وأنه سينتقم من أعداء اليهود وسيكون اليهود هم سادة العالم؛ لما بيدهم من أموال^(٩).

وقد أوضح أحمد الكاتب كيف تطورت فكرة الشيعة في القرن الأول الهجري من مجرد أحقية الإمام علي في الخلافة بكونه أفضل القوم إلى أن

(٧) عبد الهادي الفضلي. في انتظار الإمام. ص ٥٧.

(٨) دونالدسون. الشيعة. ص ٢٤٧.

(٩) د. محمد البار. المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. ص ١٠٨ وما بعدها.

طورها متكلمو الإمامية إلى دعوة النص والعصمة في القرن الثاني الهجري، وبحث أحمد الكاتب كيف ولماذا ادعى الشيعة (الاثنا عشرية) في بداية القرن الثالث الهجري غيبة الإمام الثاني عشر، فمن كون الغيبة حديث خرافة وكيف تكلم الشيعة (الاثنا عشرية) بتأصيل فكرة الإمامة المبنية على النص والعصمة ثم على الغيبة، وأن الإمام الغائب سيظهر فيما بعد يملأ الأرض عدلاً، وخلاصة بحثه: أن هذه النظرية لم تكن إلا من صنع الشيعة الغلاة، ولكن الشيعة (الاثنا عشرية) لم يستطيعوا التخلص من ذيول هذه النظرية، ومما دخل عليهم من معتقدات الغلاة^(١).

حق التضحية بالآخر عند اليهود

١ - في القرن الرابع قبل الميلاد، بعد السبي البابلي، وبعد إعادة كتابة التوراة ٥٨٩ ق.م. ظهور التلمود، وهو تفسير أحبار اليهود، وهم ضعاف في العراق خاصة، فيه ظاهر حب الانتقام، وعقدة الغالب، ونظرية حق الغالب، إذن لا بد من إعادة (الفصح اليهودي) المستخرج من سفر الخروج.

وهم في العيد يمثلون إعادة وتضخيم ما وقع على اليهود من ظلم فرعون، وأنهم في العيد يأكلون خبزاً من غير خميرة، معجون بالدم النقي من نصراني. في بولندا عام ١٨٤٠ حادثة فيلكس هويزا ضحى بها اليهود من أجل فطيرة العيد، وارتبط عيد الفصح وعيد البوهيم، وعيد تطهير الموضح لإسالة دم الطفل مقطوع العلقه، ويجب أن يكون من دم شاب نقي ولنص: «يحل بقر الأممي (البوهيم) حتى في يوم السبت»، نص وشاع خطف الأطفال، وحوادث خطف الأطفال مسجلة في بريطانيا، وحلب، وبولندا منذ ١٨٠٠ م، سنة ١٨٤٨ م حادثة خطف شاب نصراني من بور سعيد.

(١) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي، ص ١٠١ وما بعدها.

الأسفار الستة تمكس صورة الانتقام والتضحية بالآخر، ففي سفر التكوين الوعد الأبوي يهوه يمد بإعطاء شعبه الأرض، يرر يهوه السبي والتضحية بالآخر «حتى أدخلكم الرب إلى الأرض التي وعدكم، وطرد من أمامكم سبع أمم... فإنكم تحرمونهم فلا تقطعوا لهم عهداً، ولا ترفقوا بهم، ولا تصاهروهم ولا ... اهدموا سواريتهم، واحرقوا تماثيلهم...» ١٨ - ١٦ سفر التكوين، «... لا تستبقوا منهم نسمة...»، «واذا يسير ملاكي أمامك الذي أنا أبيهم... أزعجهم...».

«... ابعث الزنابير أمامك، ستطرح الحوتيين...»، «لن أطردهم في سنة واحدة كي لا يتكاثر عليك وحوش البرية، بل تدريجياً، ريثما تثرن البلاد... من البحر الأحمر إلى الفرات» سفر الخروج، سفر يوشع، سفر دموي، يتحدث بشكل واضح مبرراً لليهود التضحية بدم الآخر، وهو يصف يهوه، وفيه تبرير أخلاقي وديني.

الاحتجاج السادس الآية ٢٠: «... رفيق الشعب ونفخ الحاخامات، و... دمروا المدينة، واقضوا بحد السيف على الناس والبقر و... وقتل يوشع ملكها... توجه إلى أريحا فأسلمها الرب وقتلوا كل نفس فيها...»، وهنا النص يعطي اليهود مبرراً لقتل الآخر وأخذ أرضه، والانتقام...

أي إن الخلاص عند اليهود لا يتم إلا بالتضحية بالآخر، وقد تأثرت المسيحية بهذه النصوص واستعملتها في الحروب الصليبية، والحروب الحديثة في الشرق الأوسط، أفكار الرئيس الأمريكي بوش في حربه للعراق، لا تفصل عن هذه المبررات الماسونية وشعاراتها مرتبطة بالجماجم والدم، إبادة الهنود الحمر سكان أمريكا من قبل المهاجرين الأوروبيين، أيبدو

باسم الرب وتحت مبررات دينية متأثرة باليهودية والتوراة، حروب أمريكا الجراثومية السرية تتم تحت هذه المبررات، استعمال المرتزقة كي يفعلوا ما يشاؤون هو تحت هذا المبرر.

ظهور المهدي وولاية الفقيه عند الشيعة

٢ - ولاية الفقيه: تعطي مبرراً للفقيه أن يقوم بأعمال فيها حث على القيام بأعمال المهدي.

- قتل الناصبي والتضحية فيه.

- جيش المهدي ما هو؟ ولأجل ماذا؟

تاريخ ما بعد الظهور، محمد باقر الصدر، سيناريو القتل والطوفان والقتل والتمهيد، ينص على كشط الأرض، حتى صارت عند بعض الشيعة أن المهدي سيخرج سنة ٢٠١٢ م .

قال الصدر في كتابه أعلاه: إنه يجوز للمهدي قتل الآخر حتى إن لم يكن معتدياً، أي إن المهدي يهدف لقتل المسلمين، إلا أنه مكلف من الله تعالى باستئصالهم أجمعين.

في بحار الأنوار... عن أعمال القائم مثل ذلك، وفي ذلك تبرير حتى قتل العرب الشيعة ربما الإيرانيون قتلوا السنة البلوش تحت هذا المبرر، حديث المفضل الوارد في بحار الأنوار يبرر مثل هذا القتل.

من علامات ظهور المهدي الهرج والمرج في الحرب، في الحج إبادة قريش، وقتل بني شيبه، ونقل الحجر الأسود إلى الكوفة، هدم المسجد

الحرام، قتل علماء السنة في الكعبة، أفعال الشيعة الصفويين في إيران تعكس هذه المبادئ.

تقديس اليهود لأنبيائهم وعلمائهم وادعاء العصمة

تذكر التوراة أن الرب وصف موسى بأنه إله لفرعون، وهارون أخاه بأنه نبي لموسى (الخروج ٧ / ١)، وتضفي التوراة على النبي دانيال، دخول روح القديسين فيه، وهي فكرة تقترب من فكرة الحلول التي قال بها الصوفية فيما بعد (الإصحاح ٣٢ / ٢٤ - ٢٧)، وتنسب التوراة إلى النبي إيليا طلب نزول المطر (الإصحاح ١٨ / ٤١ - ٤٥).

وتدعو بعض تعاليم اليهود إلى ضرورة التمسك بأقوال العلماء أكثر من التمسك بأقوال النبي موسى، ففي التلمود نص يقول: «... تمسك يا بني، بأقوال العلماء أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى» ونشير إلى أن التلمود هو شرح، وتفسير علمائهم للتوراة، بل إن التلمود يطلب من اليهود ألا يجادلوا عالمهم، فمن يفعل ذلك فكأنما جادل الرب سبحانه، والتلمود الذي كتبه حاخامات اليهود مليء بتقديس رجل الدين اليهودي (الربان)، فتصوّسه ترد بعدم جواز مخالفتهم، وزعموا أن الله يستشير علماء اليهود حينما يهم بحل بعض المشكلات، وزعموا أن الله يدرس التلمود في الليل، بل يرون أن الربان بعض الأحيان يعلمون أهل السماء، ويعد عندهم الربان هؤلاء معصومين من الخطأ.

تقديس التابوت عند اليهود

يشير التراث اليهودي وشرح التوراة إلى أن التوراة عندما جاء بها النبي موسى عليه السلام كانت على ألواح، ولأجل حفظها كان بنو إسرائيل

يضعونها في تابوت خشبي، يحملونه معهم أينما ساروا، وفي حروبهم مع الآخرين كانوا يتبركون بهذا التابوت، يستنزلون به النصر على أعدائهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى السكينة التي كانت تدخل على بني إسرائيل بسبب هذا التابوت.

تقديس الكرسي عند بعض الشيعة

في أثناء ثورة المختار بن عبيد الله الثقفي في الكوفة بدأ بمهاجمة بيوت من عرف بمشاركته بمقتل الحسين بن علي عليه السلام، وفي أثناء نشوة القوم بالانتصار، ظهرت عجوز للمختار مدعية أن لديها الكرسي الذي كان يجلس عليه الإمام علي عليه السلام في الكوفة، أو الذي كان يصعد عليه في خطبه، فجاء بالكرسي ووضع عليه قماشة وأخذوا يدورون به في قتالهم لجيش ابن زياد في الكوفة رافعين أصواتهم بطلب النصر، وتلا بعضهم الآية الكريمة الواردة في القرآن، والخاصة بتابوت بني إسرائيل، الذي كان فيه سكينه عليهم، ويذكر الطبري أن السبئية رفعوا أيديهم وكبروا للكرسي، وعندما نهرهم شيث بن ربعي، طالباً ألا يكفروا، طردوه وأخرجوه من صفوفهم، ولما شاهد إبراهيم ابن الأشتر النخعي هذا الوضع، قال: اللهم، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وقال: هذه صفة بني إسرائيل ^(١).

تقديس الشيعة لأئمتهم وعلمائهم

يرى الشيعة الإمامية، أن الإمام هو حجة الله على خلقه، وأن الأرض لا تخلو من حجة، وأن طاعته مفروضة من الله تعالى، والأئمة هم الهداة

(١) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٨٣.

وخزنة العلم، وهم خلفاء الله في أرضه، وهم الأبواب التي منها يؤتون، وهم نور الله وأركان الأرض، وأن أعمال العباد تعرض عليهم، كما كانت تعرض في رأيهم على الإمام علي عليه السلام، وأن الأئمة عندهم جميع الكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه، وأنهم يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، كما يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم، وهم يعلمون ما كان وما سيكون، وأن الله قد فوض إليهم أعمال العباد، ولكن يكره القول فيهم بالنبوة، إن الإمامة عهد من الله، وإنها تثبت في الأعقاب، وأن كل إمام ينص على من بعده^(١).

أورد علي بن إبراهيم القمي في تفسيره سبعة مواضع، ادعى فيها علو شأن الإمام علي عليه السلام، ومجارة تلك المنزلة قرب النبي صلى الله عليه وآله، خاصة في الإسراء والمعراج، حيث مثال علي عليه السلام مع الرسول صلى الله عليه وآله، وقد كان علي ضمن من صلى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنبياء^(٢)، ونسب القمي للرسول صلى الله عليه وآله أنه وجد اسم علي بن أبي طالب عليه السلام عند سدره المنتهى وفي الجنة، وفي...^(٣).

ولشدة تقديس الشيعة لأئمتهم أخرجوهم من آدميتهم التي خلقهم الله عليها كما هو شأن بني آدم الآخرين، ورغم إلحاح بعض الأئمة الذين بلغتهم تلك المبالغات في تقديسهم، حيث ورد عن الصادق: «قولوا بنا ما شئتم، ولكن لا تخرجونا من آدميتنا»، رواتهم ومؤلفوهم يصرون على وضع الأئمة فوق منزلة البشر، وأنهم خلقوا في عالم الذر قبل خمسة آلاف عام من خلق آدم، خلقوا من نور معلقين تحت العرش، وتكرر فكرة خلق الأئمة

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص ٩٠ - ١٢٠.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٣١١ - ٣١٢.

(٣) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٣١٤.

من نور، ينتقل في الأصلاب، ولا يستبعد أن يكون هذا الفكر مرتبطاً بثقافة الرواة الشيعة من الفرس، عن الديانة الفارسية القديمة الخاصة بالثانوية المكونة من إله الظلمة، وإله النور، وإذا قرأت في كتاب علل الشرائع، لابن بابويه القمي^(١)؛ تطالعك هذه الثقافة في كثير من العلل التي يبحث عنها المؤلف، وترفع روايات الشيعة منزلة الإمام علي إلى منزلة الرسل والأنبياء، بل أعلى من منزلة موسى؛ لأن موسى بان من جهله حينما التقى الخضر حيث علمه أموراً باطنية، فاستخدم الشيعة هذه العلة للرد على من أنكر على الإمام علي عليه السلام - قتله مخالفه الذين كانوا يصلون ويحجون ويذكرون، فتقول الرواية: إنه استحل قتلهم بعلم مثل قتل الخضر للغلام الذي قدر أنه سيشتقي والدیه^(٢).

وفي تحليل ابن بابويه - لوقوف سليمان على عصاه المدة الطويلة، وهو في الحقيقة ميت، علل بعضهم أنه إله، وقال آخرون: إنه لساحر، ونبي الله أيوب إنما ابتلاه الله بسلب نعمته منه ثم سلبه نعمة الصحة من بدنه رغم كونه شاكرًا لأنعم الله، لكن الشيطان سأل الخالق أن يسلطه على أيوب، فكان ذلك من فعل الشيطان، ويتقدير الله.

ويروي ابن بابويه العلة التي من شأنها سمي الإمام علي علياً قال: «... والله الأعلى وهذا علي»^(٣).

أما أولاد علي فالله سمي الأول: شبر = الحسن، والثاني شبير = الحسين، ولعل المراد تقريبهم من العجم، أما نور الطينة التي خلق منها علي

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص ٣٥، وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص ٨٢.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص ١٦٣.

ابن أبي طالب عليه السلام، فقد خسر منها الملائكة، حينما مرت عليهم في ملكوت الله،، وحب علي عليه السلام يعرض على الأولاد فإن أحببهم فهم منهم وإلا فإن أولئك الأولاد ليسوا منهم^(١).

وتعكس أحاديث عند ابن بابويه القمي أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قسيم الله على الجنة والنار، وعلي يدخل الجنة مثل النبي صلى الله عليه وآله، لأنه حامل لوائه^(٢)، وفاطمة زوجة علي كانت تحدثها الملائكة، مثلها مثل مريم بنت عمران وسارة امرأة إبراهيم^(٣).

وهذا التقديس عند الشيعة لم يقتصر على أئمتهم، بل جعلوه يعم على الشيعة أنفسهم، فالأصل أن طينة الشيعة التي خلقوا منها طينة طيبة لا تدفع صاحبها إلى إثم أو محرم.

وما يرتكبه الشيعة من آثام شرب الخمر، أو زنا، أو لواط، أو ارتكاب محرم، فإنه من تأثير طينة المخالفين لهم، وبالمقابل ما ترى من أعمال خير يقوم بها المخالفون، فإنهم يعملونها بسبب طينة الشيعة التي خلقوا منها، وفي يوم القيامة سيرد كل عمل إلى صاحبه، فلا يلقى الشيعة إلا الثواب الطيب، وقد أورد ابن بابويه القمي أحاديث كثيرة بهذا المعنى، وفيها تسهل - مع الأسف - للشيعة ارتكاب المعاصي، لأنها ليست من طينته، ولم يقصدها، وهي من تبريرات بني إسرائيل على ارتكاب المحرمات^(٤).

(١) المصدر السابق: ج١، ص ١٦٥ - ١٧٣.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص ١٩٦ وص ٢٠٥.

(٣) المصدر السابق: ج١، ص ٢١٧.

(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص ٢٠٠ - ٢٠٣.

ويروي الشيخ المفيد في كتابه (الاختصاص) أحاديث وأقوالاً ترفع الإمام علي عليه السلام، والأئمة إلى درجات قريبة من درجات النبوة، إلى حد القول: إن الله سبحانه وتعالى قد ناجى علياً في الطائف، وتكاد تكون المناجاة درجة قريبة من الوحي^(١)، وهذا ما سهل على بعض فرق غلاة الشيعة من الادعاء بأن النبوة أصلاً كانت موجهة إلى علي عليه السلام، وليس إلى محمد ﷺ ولكن جبريل صدها عن حيدرا.

ومقولات الغلاة هذه لم يستطع الشيعة الإمامية التخلص منها، رغم ما فيها من غلو فاضح، فهذا الشيخ المفيد يروي أن الإمام علي عليه السلام عرج إلى السماء بقصد أن يفرض منازعة بين ملكين تخاصما في شأن^(٢)، ويساير الشيخ المفيد علوم التوراة فمن كفرته التوراة من الملوك مثلاً يكفر هو الآخر. فقد أورد المفيد كفر الملك نبوخذ نصر^(٣)، مسaire للتوراة لأنه هدم أورشليم، وسبى اليهود وجاء بهم إلى بابل، وفي المقابل فإنه يقدس كل ما جاءت به التوراة، حتى لرجال بني إسرائيل غير معروفة أعمالهم.

وقد وصل الغلو والتقدس، عند بعض الشيعة للأئمة إلى درجة أنهم نسبوا إليهم معرفة الغيب، ومعرفة لغة الحيوان والطير، ومعرفة متى يموتون، بل نسبوا إلى بعضهم إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والشفاء من الأمراض العصبية، ومعرفة كل ما كان وما سيكون، وهذا من الغلو الذي لم يستطع الإمامية الخلاص منه، فقد أورد تفاصيل تلك المعجزات الشيخ

(١) المفيد: الاختصاص. ص ١٩٩، وما بعدها.

(٢) المفيد: الاختصاص. ص ٢١٢.

(٣) المفيد: الاختصاص. ص ٢٦٥.

المفيد بوصفها خصائص تقرد بها أئمة الشيعة، وأن الله فوض إليهم إدارة شؤون البلاد والعباد^(١).

وليس موسى وحده عند اليهود مقدسًا، بل هو وجميع الأنبياء مقدسون عند المسلمين، ولكن الشيعة يقدسون الإمام علي بنفس السبل التي قدس بها اليهود موسى عليه السلام، ومنها أن عليًا كما يروي الطوسي بعد خروجه من مسجد الكوفة، تبعه شخص مهيب أبيض اللحية، فكلمه وسار معه، ثم رجع علي عليه السلام، قال لأصحابه: إنه الخضر يتأصحنني^(٢).



(١) المفيد: الاختصاص. ص ٣٠٠ - ٣٢٥.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص ٥١.

التشابه الفكري بين اليهودية والتشيع

التقية عند اليهود

ترى فرقة اليهود المعروفين بالفريزيين التي عرفت باستخدام الدهاء، والحيلة في مسلكها، وهي التي نسب إليها التآمر، وقتل السيد المسيح، يرون إباحة إخفاء ما يضمرون عن مخالفيهم، واستخدام ذلك لأغراضهم وأهدافهم المستقبلية؛ ولهذا جاء الحكم عليهم بالإنجيل، بالتزمت الأحمق والتناقض بين أقوالهم وأفعالهم وتآمرهم، ونفاقهم^(١).

وتبيح تعاليم التلمود لليهودي إخفاء مقصده بالحديث مع المخالف، وأجاز لهم النفاق، أو أن يغش الكافر، كما يقول التلمود، وحتى حين السلام والتحية أباح لهم التلمود التورية، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٨)، كما أجاز التلمود لليهودي أن يحلف اليمين، الغموس كذباً مع باقي المخالفين.

فكرة التقية عند الشيعة

مفاد هذه الفكرة أن تظهر للناس خلاف ما تبطن من الاعتقاد؛ حماية للنفس أو ما دونها. وقد كان الشيعة من المعارضين السياسيين منذ أوائل الإسلام، وبسبب معارضتهم هذه تلقوا أشد النكبات، كما أوضحنا سابقاً،

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص ٢١٢.

فمن الطبيعي ظهور مبدأ التقية على هذا المعنى؛ حماية لهم وقد يكون هذا المبدأ هو سبب وجود الشيعة وخاصة الإمامية منهم إلى اليوم، في حين أن حزب المعارضة الثاني والقوي أيضاً قد اندثر وهم الخوارج. ولكن الشيعة قد توسعوا في تطبيق هذا المبدأ بشكل خرج عن مبررات وجوده التاريخية، وأصبحت التقية ديناً يُتعبد به عند المتأخرين.

لقد برر الشيعة سكوت أئمتهم على عدم الإنكار على مخالفيهم من الحكام والولاة بمبدأ التقية، وقالوا: إن علياً سكت ولم يعارض في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، تقية منه وخوف الفتنة، وكذا فعل الإمام الحسن ابنه مع معاوية سواء بسكوته عن المطالبة بالإمامة أو ما ورد عنه من تنازله لمعاوية، كل ذلك تقية منه وحماية لأصحابه، وهو أمر جائز ديانة^(١). على أن الإمام الحسين لم يأخذ بهذا المبدأ بل جاهر وخرج على السلطان وقتل ومن معه في كربلاء^(٢). وتقع كتب الشيعة الإمامية في حيرة وتناقضات حين مناقشة موضوع سكوت علي تقية من أبي بكر وعمر وعثمان مع أن الروايات توضح أن الإمام علياً كان شجاعاً لا يهاب أحداً في الحق، وحين عرض عليه أصحاب الشورى أن يبايعوه بشرط التزامه بسيرة الشيخين رفض، وهذا الرفض يدل على عدم أخذه بالتقية^(٣).

وتورد بعض المصادر الشيعية أسباباً أخرى لظهور مذهب التقية، فقد ذكر النوبختي أن بعض أصحاب الإمام جعفر بن محمد انفضوا عنه ومالوا إلى مقولة مذهب البترية الذي سبق أن عرضناه، وبعضهم أخذ بمقولة

(١) عبد النبي الجزائري. المبسوط. ص ١٢٥ - ١٧٤.

(٢) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. ج ١٢. ص ٢٥٦ - ٢٦٧.

(٣) المصدر السابق عن كتاب الشافعي للسيد المرتضى.

سليمان بن جرير الذي ذكر أنه لا يمكن أن يقع على الشيعة أو أئمتهم القول بالكذب، وذلك لوجود مذهب البداء والتقية، وقال: إنه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم من الحلال والحرام أجابوا فيها، فحفظ عنهم شيعتهم إجاباتهم عنها، ولكن لم يحفظ هؤلاء الأئمة هذه الإجابات؛ لتقادم العهد وكون المسائل لا ترد في يوم واحد بل سنين متباعدة، فوقع بأيدي أتباع الإمام إجابات متباينة لمسألة واحدة، فأنكروا على أئمتهم ذلك، لكن أئمتهم برروا ذلك بأنهم قد أجابوا تقية؛ لأن في ذلك بقاء الأئمة وأتباعهم^(١).

ويبدو أن هذه هي الأسباب المهمة التي أدت بالشيعة إلى التوسع في القول بالتقية، فعلى ذلك شواهد في كتب الشيعة الإمامية، فقد ذكر النجاشي في كتابه (الرجال) أن عمر (ابن رباح) كان من أصحاب الإمام أبي جعفر الصادق، ولكن انفض عنه بسبب أنه سأل الصادق عن مسألة، فأجابه فيها بجواب، ثم أعاد السؤال عليه في عام آخر فأجابه بجواب غير الأول، فقال له: إنك أجبتني عامك الماضي بكذا، فقال له الإمام: «إن جوابنا خرج على وجه التقية» فشك في إمامته، وانفض عنه^(٢).

إن رفض المجتمع الإسلامي لآراء الشيعة كان من الأسباب المهمة التي جعلتهم يأخذون بمبدأ التقية، فيجيبون السائل بخلاف ما يعتقدون ويغفون اعتقادهم؛ خشية أن يفتنوا ويدخلوا في خصومات مع الآخرين، ويبدو لهذا السبب أن أئمتهم وقادتهم يأمرن بكتمان اعتقادهم وعدم إذاعته، فقد نقل المجلسي عن كتاب (سنن) عن سليمان بن خالد قال:

(١) التوبختي. فرق الشيعة. ص ٥٥-٥٧.

(٢) النجاشي. رجال. ص ٢٢٧.

قال لي أبو عبد الله: يا سليمان، إنكم على دين من كتبه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله^(١).

وقد عقد المجلسي في كتابه البحار باباً طويلاً عن التقية والمداراة، فقد روي عن الإمام الصادق أن التقية تسعة أعشار الدين، ولا دين لمن لا تقية له. وأجازوا القول بالتقية إلا في شيئين: عدم حلية شرب النبيذ والمسح على الخفين. وهذا يمثل رد فعل ضد أصحاب أبي حنيفة في الكوفة مجاورهم الذين يقولون كما هو معلوم بحلية شرب النبيذ والمسح على الخفين^(٢).

ونقل المجلسي رواية عن الإمام علي قوله: إنا لنبتش في وجوه قوم وإن قلوبنا تلعنهم^(٣). كما أورد المجلسي روايات عن الإمام علي تجيز للشيعة سبه إذا دعاهم المخالفون إلى ذلك، وهذا يعكس حقيقة ما أوردنا في شيوع سب الإمام في العهد الأموي. بل أورد أيضاً روايات وأخباراً تقيد عدم تحرج الشيعة بالقول بأي شيء يرضي المخالف؛ وذلك كي يخلصوا من الرمي بالرفض، وتأمّر هذه الروايات أو أخبار الإجابة بالتورية، ويحتجون بذلك أن عمار بن ياسر قد سب النبي ﷺ حينما طلب منه المشركون ذلك، وأقره الرسول ﷺ على ذلك وما زال قلبه مطمئناً بالإيمان^(٤). ونقل المجلسي عن كتاب الهداية رواية عن الإمام الصادق أنه قال: خالطوا الناس بالبرانية، وخالفوهم بالجوانية مادامت الإمرة صبيانية^(٥).

(١) المجلسي، البحار، المجلد ١٦ ص ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٤. عن الكليني، الأصول، ج ٢، ص ٢١٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٢٦ - ٢٢٨ وانظر أيضاً، ص ٢٢٣.

(٥) المجلسي، البحار، المجلد ١٦، ص ٢٢١.

وينتهي العمل بالتقية عند الشيخ الصدوق من الإمامية بظهور الإمام الغائب، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله، وخالف رسوله والأئمة، وقد عقد لها فصلاً كاملاً^(١).

وتطبيقات التقية عند الشيعة الإمامية اتسع العمل بها إلى أن تشمل جميع نواحي الدين بعد أن كانت في البداية مقتصرة على ما له علاقة بالسياسة والحكم، فقد أفرد الكليني رواية تذكر أن الإمام الحسين بن علي خرج في جنازة أحد المنافقين برغم إنكار أحد مواليه عليه^(٢).

وتذهب رواية إلى أن الإمام الصادق قد وافق أبا حنيفة على تأويل رؤيا أحد أصحاب الصادق، فلما خرج أبو حنيفة أقر الصادق لمريده أنه قد قال لأبي حنيفة: إنه قد أصاب الخطأ لا الصواب^(٣).

إن في تراث كتب الشيعة خاصة القديمة ما يتفق كثيراً على ما يذهب إليه جمهور المسلمين وخاصة في أبواب الفقه، لكن دعوى التقية والتوسع في استخدامها حرمت الشيعة من موافقة جمهور المسلمين، وعززت مع الأسف من ابتعادهم وتفردهم، وهذه من أسوأ نتائج التوسع بأخذ التقية وتعزيز مبدأ الغلاة ولها خطورة كبيرة في المستقبل؛ ذلك أن من الممكن - كما حصل سابقاً - إذا اتفق الإمامية أو بعضهم مع جمهور السنة في شيء أن يحمل على التقية، فيذهب عملهم هباء.

وأورد الكليني أيضاً رواية تفيد أن الإمام الباقر كان يفتي في العهد الأموي بأن صيد البازي والصقر حلال، وذلك تقية^(٤).

(١) الشيخ الصدوق، الاعتقادات، التقية.

(٢) الكليني، الكافي الفروع، ج٣، ١٨٩.

(٣) الكليني، الروضة مطبوع في آخر الأصول، ج٨، ص ٢٩٢.

(٤) الكليني، الكافي الفروع، ج٦، ص ٢٠٨.

وفي المواريث وخاصة خلاف الشيعة الإمامية في نصيب البنت من الميراث الذي يختلف عن بقية المذاهب الإسلامية يورد الكليني روايات فتوى للصادق في نصيب البنت محمولة على التقية^(١). وفي مجارة الشيعي الإمامي لمخالفه في الصلاة ورد عن الصادق مديح للذي يصلي الفريضة، ثم يصلي مع المخالفين صلاة تقية، فإن له بذلك خمساً وعشرين درجة من الله^(٢).

إن هذا التوسع في تطبيق التقية دفع مخالف الشيعة إلى الطعن عليهم ورميهم بالنفاق والكذب، وأنه في التعامل معهم لا يمكن أن تقع على حقيقة، ولا يمكن أن تبني عليها قولاً أو عملاً^(٣). وهذه الحقيقة دفعت بعض المصلحين من الشيعة الإمامية إلى المناداة بإصلاح معتقد الشيعة الإمامية، ومنها التقية هذه، فقد ذكر الدكتور موسى الموسوي في كتابه (التصحيح) أنه لم يعد الآن من المبررات الأخذ بالتقية، وقد توافرت للجميع حرية الفكر والاعتقاد^(٤).

وهكذا استقر مفهوم التقية عند الإمامية على ما ذكره الشيخ المفيد بأن «التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا»^(٥) ومن هنا ندرك أن الفرق بين التقية هذه ومفهوم أهل السنة بعيد حقاً، حيث إن التقية عند السنة لا تجوز إلا مع الكفار، وخاصة في بداية ظهور الإسلام، حيث أجازها الرسول ﷺ لأصحابه، فهي على هذا رخصة للمضطر كما ذكر: «إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مِنْهُمْ قِشْرًا»^(٦).

(١) الكليني. الكافي الفروع. ج. ٧. ص. ٨٦ - ٨٨.

(٢) الشيخ الصدوق. من لا يحضره الفقيه باب صلاة الجماعة.

(٣) إحسان إلهي ظهير. الشيعة والسنة. ص. ١٥٢ وما بعدها.

(٤) د. موسى الموسوي. التصحيح.. ص. مبحث التقية. مغنية. الشيعة في الميزان. ص. ٥٢.

(٥) المفيد. أوائل المقالات. وشرح عقائد الصدوق. ص. ٢٦١.

(٦) انظر تقاسير الآية لدى الطبري وغيره من المفسرين.

ولكن الإمامية يستحلون استعمالها مع جميع مخالفيهم من المسلمين، بل يعدونها ركناً أساسياً في الاعتقاد، ويروون حديثاً عن الإمام جعفر أنه قال: إنها تسعة أعيان الدين ولا دين لمن لا تقية له^(١). وهي على هذا في اعتقادهم واجبة وليست رخصة خاصة في دار التقية. وقد خدمت فكرة التقية منهج الكذابين من الرواة، كما خدمت الخروج من التناقضات المنقولة عن الأئمة، ولكنها أوقعت علماءهم ومحققهم في حيرة من عدم وضوح الرأي فيما نقل إليهم.

فكرة الرجعة عند اليهود

يؤمن اليهود برجعة الأموات إلى الحياة قبل يوم القيامة، فقد ورد في التلمود قدرة بعض رجال دينهم على إرجاع الحياة لمن مات، جاء في سفر العدد أن شعب إسرائيل لما شكوا إلى موسى موت بعضهم، أمره الرب أن يصنع حية من نحاس، فكل من لدغته من الأموات عاد إلى الحياة، (انظر الإصحاح ٢١ / ٤ - ٨).

وكذا عند خروج المسيح المنتظر عند اليهود، ترجع الأموات إلى الحياة، (الإصحاح ٢٦ / ١٩)، وفي نبوءة حزقيال، أن أموات بني إسرائيل سترجع إلى الحياة بشكل مفصل، حيث تكسو العظام لحماً، واللحم جلداً، وتعاد الروح للجسد، (انظر حزقيال ٢٧ / ١ - ١٢).

وعندهم أن النبي إيليا طلب إلى الرب إعادة الحياة لابن المرأة التي يسكن بقربها، حينما طلبت منه ذلك (الإصحاح ٤ / ٢٢).

(١) الكافي. الأصول. ج ٢. ص ٢١٧.

أورد علي بن إبراهيم القمي، في معرض تفسيره عن الإمام أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (الأنعام: ١٥٠)، يعني أنهم لا يؤمنون بالرجعة أنها حق، ثم قال: نزلت هذه الآية هكذا: (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم في علي، قالوا أساطير الأولين)، كما أورد تفسير الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلْ وَعَدَ عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ (النحل: ٢٨)، نزلت في قوم قيل لهم ترجعون بعد الموت قبل القيامة، ولكن هؤلاء كانوا كاذبين - يعني بالرجعة -^(١)، كما أورد في مكان آخر في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥)، يعني الرجعة^(٢).

الرجعة عند الشيعة:

معناها رجوع بعض الصالحين وذوي الدرجات العليا من الشيعة إلى عالم الأحياء بنفس صورهم التي كانوا عليها، ورجوع بعض المفسدين والظالمين للشيعة؛ ليقتنص منهم جميع الظلمات التي اقترفوها في حقهم. ويكون ذلك عند قيام دولة آل البيت، ثم يصير الجميع إلى الموت. واحتج بعض الشيعة بالآية الكريمة: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي وَأَحْيَيْنَا أَنْتَ بِنَا وَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾. فهذا لسان حال المفسدين الذين حكم الله عليهم بالرجعة، فهم يتساءلون هل من خروج لهم ثالث كي يتوبوا ويصلحوا. هذا ما عليه أكثر علماء الإمامية. وذهب آخرون إلى أن معنى الرجعة الواردة في كتب الحديث هي رجعة دولة آل

(١) القمي: تفسير، ج ١، ص ٣٨٥.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ١٢٣.

البيت بظهور الإمام المنتظر على التفصيل الوارد سلفاً من غير رجعة لأحد من الأموات سواء من شيعة أو غيرهم^(١).

ولتأخري علماء الشيعة الإمامية تفصيل في الرجعة، حيث يذكرون أن أئمة آل البيت سيرجعون من عالم الأموات إلى الحياة، فيحكمون الأرض بدءاً بالإمام علي ثم يتوفى فيخلفه الحسن وهكذا إلى أن تنتهي بظهور الإمام الغائب. وعند رجوع كل إمام يرجع معه أعداؤه فينتقم منهم. فبرجوع الإمام علي سيرجع أبو بكر وعمر فينتقم منهما على سلبهما حقه في الخلافة، وكذلك يفعل الحسين بن علي مع يزيد بن معاوية^(٢).

ورأي الإمامية هذا في الرجعة مستعار من فرقة الكيسانية التي سبقت الإشارة إليها، فقد حكى النوبختي في كتابه (فرق الشيعة): «وقالت الكيسانية يرجع الناس في أجسامهم التي كانوا فيها، ويرجع محمد ﷺ وجميع النبيين فيؤمنون به، ويرجع علي بن أبي طالب فيقتل معاوية بن أبي سفيان و...»^(٣).

والواقع أن الإمامية قد ورثوا كثيراً من معتقدات الشيعة الغالية، ولم يتمكن علماؤهم من تنقيتها، ففي هذا الباب قلة من الإمامية نفت صحة

(١) عقائد الشيعة. محمد رضا المظفر. ص ٥٩. وساق أدلة أخرى على الرجعة، وإنها ليست مستحيلة ما حكاها الله عن عيسى عليه السلام بإحيائه الموتى، وكذلك ما ذكره الله في كتابه عن المتعجب من كيفية إحياء الله لتلك القرية: «قَالَ أَتَى بِئْسَ مَرْجُومًا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ يَأْتِيهِ عَارِثٌ مُمْسِكٌ» ص ٦٢. المصدر السابق.

واحتج آخرون أيضاً للدلالة على الرجعة بالآية الكريم: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ». ويفسرون العباد الصالحين بأنهم أئمة الشيعة وأعيانهم. والرجعة عندهم تكون بعد ظهور الإمام الغائب أو عندها.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. باب الرجعة.

(٣) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٦٢.

الرجعة، ولكن الغالبية لم يلتفتوا لهم^(١). ولم تكن فكرة الرجعة من بنات أفكار الكيسانية، فقد سبقهم إلى القول بها كثير من الجماعات الدينية المضطهدة؛ فاليهود بعد شتاتهم واضطهادهم على يد نبوخذ نصر ظهرت في أفكارهم فكرة الرجعة التي هي من حق أولئك اليهود الذين لم يتمتعوا بحياتهم فعاشوا تحت سلطان الجويم أو عاشوا مشردين، فمن حقهم أن يعودوا إلى الحياة مرة أخرى؛ لينالوا نصيبهم الذي فات من المتعة والنعيم^(٢). ولهذا لم يكن الأمر غريباً على عبد الله بن سبأ اليهودي المسلم في صدر الإسلام قوله برجعة محمد ﷺ بعد وفاته، وأن علياً سيكون معه بمنزلة هارون من موسى^(٣). ومما سهل القول بالرجعة عند كثير من فرق الشيعة الغالية التي نبتت أفكارها في الكوفة والعراق عموماً، ذلك الارتباط الفكري بين الرجعة وفكرة التناسخ التي كانت شائعة في هذه المنطقة توارثتها عن المجوسية الهندوكية، كما سنفصل ذلك في موضعه، ولكن مع تحوير بسيط، ففي التناسخ ترجع الأرواح فتحل في مخلوقات سعيدة أو متعبة، وفي الرجعة ترجع الأرواح إلى نفس أجسادها، فتسعد أو تعذب بحسب مآلها. وقد حكى النويختي عقيدة بعض الشيعة الغلاة من أصحاب عبد الله بن معاوية ومن فرقة العباسية الراوندية الذين يقولون بالتناسخ وتنقل الأرواح مدة من

(١) الشيعة والتصحيح: موسى الموسوي. ص ١٤٢.

(٢) أحمد شلبي. مقارنة الأديان: ١-١ اليهودية. ص ١٧٤، مكتبة النهضة. القاهرة. ١٩٦٦.

ومن طوائف اليهود الذين آمنوا بفكرة الرجعة الفريسيون. انظر كتاب علي واجي. بين الشيعة وأهل السنة ٥٦. القاهرة. ١٩٨٤م. ويرى الدكتور موسى الموسوي أن الرجعة شبيهة بفكرة التناسخ التي جاء بها فيثاغورس وتبناها أنصاره، وإن من قال بالرجعة من الشيعة ربما يكون قد تأثر بهذه الفلسفة. انظر كتابه الشيعة والتصحيح. ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٣) النويختي: فرق الشيعة. ص ٤٤.

الزمن وحلولها في المخلوقات السعيدة أو المتعبة، ثم قال: هذه هي جنتهم ونارهم، وهذه هي الرجعة عندهم لا رجوع بعد الموت^(١).

وممن قال بالتناسخ من أوائل الشيعة المغالية عبد الله بن الحارث، فقد حكى النوبختي أن أباه كان زنديقاً من أهل المدائن فأبرز عبد الله هذا لأصحابه القول بالغلو والتناسخ والأظلة والدور، وادعى أن هذه هي آراء جابر بن عبد الله الأنصاري (صحابي معروف) وجابر بن يزيد الجعفي^(٢). وقد نسب لجابر بن يزيد الجعفي هذا القول برجعة الإمام علي، وكان يفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أن الدابة هي علي بن أبي طالب^(٣).

هذا وقد سبق لنا حين عرض الديانة الفرعونية القديمة أن ذكرنا أن الفراعنة كانوا يعتقدون بالرجعة؛ ولذا فإنهم يهيئون في مقابرهم الملكية من الطعام والوسائل الحياتية ما يمكن الملك حين عودة الروح إليه أن يباشر نشاطه كسابق أيامه، وهذا يدل منذ القدم على معاناة الإنسان في مقاومة الفناء والتمسك بالبقاء ولو بعد حين.

والآن نتساءل: ما الذي دفع الشيعة للقول بالرجعة على المعنى السالف؟ والجواب: إنها الحاجة النفسية للمقهور الذي لا يستطيع أن يعمل شيئاً في عالم الواقع، فيرتد منه إلى عالم الخيال. فهؤلاء الذين ارتبطت مصالحتهم

(١) النوبختي: فرق الشيعة، ص ٦١ - ٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٦.

(٣) وجابر الجعفي، هذا قال عنه أبو حنيفة: ما رأيت أكذب منه. وقالت عنه كثير من مصادر الشيعة: إنه مذموم متهم. انظر رجال الكشي، ص ١٩١. وروى عنه الكليني في الأصول كثيراً من الأحاديث في نقص القرآن ولكن بعض متأخري الشيعة كمبد الحسين شرف الدين يوثقه. انظر كتابه المراجعات، ص ٧٥.

وواقعهم في البداية بخلافة الإمام علي، وعاشوا جميع الإخفاقات السياسية التي جرت على الإمام ومن بعده بشكل أقسى وأمر في ثورة ابنه الحسين ومن ناصرهم فيما بعد، لم يجدوا من عوض عن هذا الإخفاق السياسي، إلا القول برجعة هؤلاء الأئمة وأصحابهم، وأنهم سيحكمون سياسياً فتكون لهم الكلمة، وسيرجع كذلك جميع من ظلمهم وظلم الشيعة فيقتص منهم، فلن تذهب تلك الظالمات هدرًا، وسيسعد الشيعة حينئذ بالتشفي ممن عاداهم، وفي ذلك زاجر أيضاً لمن سيقدم على أي ظلامة ضدهم في المستقبل.

وقد تفتق خيال علماء الشيعة ورجالها عن صنوف من القصاص والعذاب الذي سينال خصومهم بدءاً بأبي بكر وعمر ومعاوية ويزيد و....

ففي كتاب (بحار الأنوار) للمجلسي تفاصيل وروايات كثيرة نقلها عن مجموعة من المصادر الشيعية القديمة منها أن الحسين بن علي سيرجع، فيملك الدنيا حتى تقع حاجباه على عينه من الكبر، وأن سبعين رجلاً من أصحابه سيرجعون معه، وأن أبا بكر وعمر سيصلبان على شجرة^(١). ويذكر نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية أن الحرمين المكي والمدني سيقضى عليهما عند ظهور الإمام ورجعته، ويتم إنشاء المسجد في الكوفة. وأن أهل السنة حينها سيتناولون براز الشيعة في الوجبات نكاية بهم^(٢).

وأورد الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد روايات كثيرة منها ما ذكره عن عبد الله بن المفيرة أنه إذا قام القائم من آل محمد قامت خمس مئة من قريش تضرب أعناقهم، ثم أقام خمس مئة أخرى تضرب أعناقهم، ثم يفعل ذلك ست مرات^(٣) والشيخ المفيد من قبيلة حارثة الجنوب.

(١) المجلسي. البحار. ج ١٢ ص ٢١٠.

(٢) نعمة الله الجزائري، الأنوار النعمانية. ج ١. ص ١٥٧ - ١٦٣

(٣) المفيد. الإرشاد. ص ٣٦٤.

وفي كتاب الغيبة للنعماني روايات تتم تماماً عن روح الانتقام وتعجيله لمن يستحقه في نظرهم في مدة الرجعة هذه قبل يوم الحساب، ففي رواية منسوبة إلى الإمام الصادق أنه قال:

«لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلا بقرشين فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس: هذا ليس من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم»^(١).

وجاء في تفسير الصافي رواية تقول: إنه إذا قام قائمنا ردت الحميراء (عائشة عليها السلام أم المؤمنين) حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد عليها السلام وآله فاطمة عليها السلام^(٢).

كما أورد النعماني أيضاً أن الإمام المنتظر إذا رجع فسيكسر مسجد الكوفة، ويسوي قبلته والشيعة يومئذ يعلمون الناس القرآن فيه.

وأورد رواية نسبها إلى علي يقول: «كأنني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما هو أنزل. قلت: يا أمير المؤمنين أو ليس هو هذا كما أنزل؟ فقال: لا، محي عنه من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم وما ترك أبو لهب إلا إزاره على رسول الله عليه السلام لأنه عمه»^(٣).

وتختلف المصادر الشيعية عن الزمن الذي يتم فيه الرجعة، فعند الشيخ المفيد أنها تتم عند ظهور الإمام الغائب^(٤). ومن قائل: إنها تتم

(١) النعماني: كتاب الغيبة، ص ٢٢٢.

(٢) تفسير الصافي، ج ٢، ص ١٠٨.

(٣) النعماني: كتاب الغيبة، ص ٢١٧ - ٢١٩.

(٤) المفيد، أوائل المقالات، ص ٩٥.

عند رجعة الحسين بن علي للانتقام من قاتليه^(١). وتتركز الأخبار الواردة بالرجعة على أنها ستتم في مكة والمدينة؛ لأن المنتقم منهم الأوائل خاصة في هذه البقعة، كما أسلفنا في الروايات السابقة، ولهذا هدف سياسي يرمز إلى تمني الشيعة ظهور دولتهم بدءاً بالحرمين الشريفين، حيث تركز رواياتهم على مقتل أعدائهم من قريش وبقية المسلمين، وهذا يفسر بوضوح مع الأسف الاضطرابات التي يقوم بها الحجاج الشيعة في أثناء الحج في بعض السنين وأهداف المخططين من قاداتهم، والمتتبع لتاريخ التشيع يجد أن الرغبة في حصول الاضطرابات في الحرمين الشريفين رغبة قديمة، مهدت لها إرهابات سياسية ذات معنى وهدف بعيد، ومن أوائل ما وصلنا من هذه الإرهابات ما ورد في نص الخطابين الذين ادعى الشيخ المفيد أو ادعى عليه أنها قد وردت إليه من الإمام الفائب، ومنها فقرة تقيد حصول هرج ومرج وقتل وفتنة بين الناس، والدارس الناقد لا يفهم من هذا إلا محاولة تهيئة الأذهان إلى حصول الفتنة بين المسلمين، وانتهاز الشيعة الفرصة في فرض الأمر الواقع للاستيلاء على أمور المسلمين بالقوة^(٢). والشواهد على تكرار أعمال الفتن في الحج من قبل الشيعة في كثير من السنين أمر لا يحتاج معه إلى دليل تاريخي من القديم إلى الحديث، ولهذا كانت فكرة الرجعة عندهم تحاط بسرية تامة، وقد نبه على ذلك قديماً شيخ المعتزلة أبو الحسن الخياط. كما ورد هذا التنبيه من قبل المجلسي في البحار، وأن أفكارها من التقية^(٣).

(١) المجلسي. البحار. ج ١٢. ص ٢١٠ وما بعدها.

(٢) النعماني. كتاب النبية. ص ٢٢٢.

(٣) تفسير الصافي. ج ٢. ص ١٠٨.

هذا، وقد أنكر بعض متأخري الإمامية حقيقة الرجعة، فلا رجعة سوى عند ظهور الإمام الغائب^(١). في حين اعتبر البعض القول بالرجعة ليس من ضرورات المذهب ولا من معتقدات الإمامية^(٢).

وممن أنكر الرجعة من علماء شيعة إيران العالم شريعتي صانقلاجي (١٩٣٠م)، وكان رأيه هذا سبباً في الهجوم عليه من العلماء الآخرين، كما نقل عن الشيخ عبد الكريم الحائري في إحدى دراساته في قم أن الرجعة ليست ضرورة في دين الإمامية^(٣).

القرآن:

إن أول ظهور لفكرة نقصان القرآن والزيادة فيه ظهرت عند الغلاة من الشيعة، وتسربت آراؤهم وأحاديثهم المنسوبة للأئمة عن هذا الموضوع لكتب الشيعة من المتأخرين، ولم يستطع متقدمو الشيعة الإمامية على العموم التخلص من هذه الأخبار المنسوبة في هذا الباب إلى أثمتهم، بل أثبتوها في أمهات كتبهم، شأنها شأن كثير من الأخبار التي تقرد بها الشيعة عن غيرهم من المذاهب الإسلامية. وقد اعتقد بعض الإمامية بفكرة حصول النقص في القرآن دون الزيادة فيه. وذهب بعضهم الآخر إلى حصول النقص والزيادة معاً، وقلة من الإمامية ذهب إلى عدم حصول نقص وزيادة، وإنما القرآن هو الموجود بين الدفتين الذي لا خلاف فيه بين جميع المسلمين كما هو رأي

(١) الخنيزي، الدعوة الإسلامية، ج ٢، ص ٩٤.

(٢) هاشم الحسيني، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ص ٢٢٧. محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص ١١٢.

(٣) آيان ريشار، الإسلام الشيعي، ص ٧٢. ترجمة حافظ الجمالي، بيروت ١٩٩٦م.

السيد المرتضى. ولشناعة القول بنقص القرآن أو الزيادة فيه، فقد كان مادة للإنكار على الشيعة طيلة العصور جرّت عليهم الويلات الكثيرة من خصومهم كما سنفصل ذلك.

عن علي بن الحكم بن هشام بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وآله سبعة عشر ألف آية»^(١). وفي رواية مطولة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: «.... قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»^(٢).

ويذكر علي بن إبراهيم القمي^(٣) في تفسيره، وهو من أقدم التفسير عند الشيعة أن: «القرآن منه ناسخ ومنسوخ منه... ومنه على خلاف ما أنزل الله ومنه رد على المخالفين».

فكرة البداء عند اليهود

ينسب اليهود لربهم الحزن والندم على ما سبق أن قرره، ففي سفر الخروج، يقول موسى للرب: «ارجع عن غضبك واندم على الشر بشعبك و... فتدم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه»، (الإصحاح ٣٢/ ١٢ - ١٤).

كما ينسب صموئيل الندم إلى الرب على تعيينه شاؤول ملكاً، (انظر الإصحاح ١٥/ ١٠).

(١) الكليني. الكافي. ج٢. ص ٦٣٤ والمعروف أن القرآن ٦٦٦٣ آية.

(٢) الكليني. الكافي. ج١. ص ٢٤٠.

(٣) معاصر للإمام الحسن العسكري الإمام الحادي عشر توفي سنة ٢٠٧هـ.

وينسب اليهود النسيان إلى الله كما جاء في سفر التكوين: أن الرب تأسف من أن يمحو الإنسان من على الأرض من أجل شروره، (الإصحاح ٦ / ٥ - ٨).

وتنص التوراة في عدة مواضع أن بعض أنبياء بني إسرائيل قد ذكروا الله بمعهد وميثاقه لبني إسرائيل، كي لا ينساهم، (سفر الخروج، الإصحاح ٢ / ٢٣).

كما ينسب اليهود في التوراة الجهل إلى الله؛ لأن الرب ليلة الخروج من مصر طلب من بني إسرائيل أن يضعوا علامة الدم على بيوتهم، لأنه سوف يضرب بيوت المصريين، ويهلكهم، فقد نسبوا لربهم عدم القدرة على التمييز، (انظر الإصحاح ١٢ / ١٣).

البداء عند الشيعة

أورد الكليني في كتابه الكافي، في الأصول ستة عشر حديثاً، يحتج بها بفكرة البداء، وقد جاءت بمعانٍ مختلفة، منها أن (الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء)، والبداء لا يكون فيما نقل إلا بعلم الله المكنون، أما العلم الذي علمه ملائكته وأنبيائه، (وربما للأئمة)، فليس محلاً للبداء^(١).

إن الراوي أبا الجارود (...) يمتدح أهل الكتاب قائلاً: (لقد آتى الله أهل الكتاب خيراً كثيراً)، في معرض امتداح القرآن لهم، وأنه: ﴿يُزَوِّنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ (القصص: ٥٤)^(٢).

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص ٨٤، بيروت ٢٠٠٥ م.

(٢) الكليني، الكافي: الأصول، ص ١١١.

وفي تفسير القمي أورد حديثاً عن الإمام الرضا: (ما بعث الله نبياً إلا بتحريم الخمر، وأن يقر له بالبداء، أن يفعل الله ما يشاء)^(١).

ويرى بعض المستشرقين أن فكرة البداء قالت بها بعض الفرق اليهودية^(٢)، وينسب القول بالبداء أول الأمر إلى ما ذكرته طائفة من أصحاب جعفر بن محمد الصادق، حيث رجعوا عن القول بإمامته؛ لأنه حسب قولهم قد كذب عليهم، والإمام لا يكذب ولا يقول ما لا يكون، وذلك حينما سأله عن الإمام بعده فقال: ابني إسماعيل، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه نسبوا إلى جعفر القول: إن الله ﷻ قد بدا له في إمامة إسماعيل، وإن الإمام بعده هو ابنه موسى، فأنكرت هذه الطائفة القول بالبداء، وقالوا: هذا باطل على الله، ومالوا إلى مقالة طائفة البترية ومقولة سليمان بن جرير، الذي قال: إن أئمة الشيعة وضعوا لأصحابهم مقاتلين لا يمكن لأحد مهما كان أن يرمي الإمام بالكذب، وهما البداء والتقية. فأما البداء فإن أئمتهم حسب قول سليمان قد وضعوا أنفسهم موضع الأنبياء في العلم بما كان وما سيكون، وقالوا: إنه سيكون كذا وكذا، فإن حصل ذلك احتجوا به على موقعهم، وإن لم يحصل قالوا بدا لله في ذلك أمر آخر^(٣)، ويقرب من هذا المعنى ما رواه الطوسي في كتاب (الغيبة) في رواية مسندة إلى الإمام علي قوله: بعد السبعين رضاء. فقال الإمام جعفر: إن الله غيرها بعد غضبه على أهل الأرض بسبب قتل الحسين^(٤).

وينسب الكليني للإمام جعفر الصادق أنه قال: «ما عظم الله بمثل البداء» وفي رواية أخرى أنه قال أيضاً: «إن الله لم يبعث نبياً قط إلا صاحب

(١) علي بن إبراهيم القمي: تفسير القمي، ج ١، ص ٢٠١.

(٢) د. صابر طعيمة. الشيعة معتقد ومذهب، ص ١٨٩. بيروت، ١٩٨٨ م.

(٣) النوبختي. فرق الشيعة، ص ٥٥-٥٧.

(٤) الطوسي. الغيبة، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

مبيرة صافية، فما بعث الله نبياً قط حتى يقول له بالبداء» وعنه أيضاً: «ما تنبأ نبي قط حتى يقر الله بخمس منها البداء والمشيئة والسجود والعبودية والطاعة...»^(١).

والبداء في هذا المعنى عند الأقدمين من الشيعة جائز على الله فيما علم أنه يكون حتى لا يكون وجوزوا البداء على الله حتى فيما اطلع عليه عباده، ومن باب أولى جوازه على الله فيما لم يطلع عليه عباده.

وقد أنكر مخالفو الشيعة هذه المقالة، وقالوا بوجوب تنزيه الله عن البداء؛ لأن القول فيه يفضي إلى القول بجهل الخالق تعالى عن ذلك؛ لأنه لو كان يعلم ما سيحدث ما تغيرت مشيئته^(٢) ولهذا فقد مال بعض المتأخرين من علماء الشيعة إلى تأويل معنى البداء، بما يقرب من معنى النسخ عند فقهاء المسلمين، وأن أمر البداء يفهم بما يقرب من تأخير الله في أجل الإنسان ومد عمره، ومن هؤلاء الشيخ الطوسي^(٣). واحتج هذا الفريق أن الروايات التي جاءت بالبداء بالمعنى السابق إنما هي أخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً^(٤). ومن هذا الرأي الشيخ الطبرسي في تفسيره، والسيد المرتضى في كتابه الانتصار حيث ينفي القول عن الله بالبداء^(٥).

ومن تأويلات متأخري الشيعة الإمامية القول: إن معنى البداء هو حدوث الاختيار لله تعالى، فله أن يختار بين الإيجاد والعدم، وبعد

(١) الكليني. الكافي. ج١. ص ١٤٨.

(٢) فخر الدين الرازي. كتاب المحصل. ص.

(٣) الطوسي. الغيبة. ص ٢٦٤. المجلسي. البحار. مجلد ٢. ص ١٤٠.

(٤) المجلسي. البحار. مجلد ٢. ص ١٤٠.

(٥) الميرزا أبو الحسن الشمراني في مقدمته التي كتبها على أصول الكافي. ج١. ص. وانظر:

كتاب الانتصار للسيد المرتضى ص ١٨٠.

الإيجاد له أن يختار بين الإبقاء والعدم أيضاً، أوردوا لذلك رواية عن هشام بن سالم (الجواليقي) عن أبي عبد الله الصادق في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَكُولَةٌ﴾، فقال: (كانوا يقولون قد فرغ من الأمر)^(١).

وقد اختصر الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين" رأي الشيعة في البداء على ما ذكرنا^(٢). وهي تكشف تطور رأي الشيعة وخاصة الإمامية في البداء من المعنى الذي لا يجوز على الله تعالى إلى معنى مقبول يقرب عن مفهوم النسخ، ويضرب لذلك محمد رضا المظفر قصة رؤيا إبراهيم أنه يذبح ابنه إسماعيل^(٣). لكن منتقدي الشيعة لا يوردون إلا المعنى الأول للبداء، ويتركون تطور الأفكار المعدلة له فيما بعد أو التي تعدله عن طريق تأويل المعنى كما ذكرنا^(٤).

وهكذا يبدو لنا أن أساس قول الشيعة في البداء هو عن حاجة سياسية قصد بها تثبيت إمامة موسى بن جعفر، ونفي الإمامة لأخيه الأكبر إسماعيل الذي مات في حياة أبيه، واضطراهم لهذه المقولة هي القاعدة عندهم في الإمامة: أنها تكون في الولد الأكبر للإمام، ففكرة البداء التي تفيد أنه وإن كان إسماعيل هو الإمام حسب القاعدة التي هي يعلم الله تعالى، لكن الله بدا له أمر فقير الإمامة من إسماعيل لموسى، وفي ذلك دفاع ضد فرقة الإسماعيلية التي استمرت في الاعتقاد بإمامة إسماعيل وابنه محمد بعده على ما أوردنا ذلك مفصلاً. لكن الشيعة الإمامية قد لا يحتاجون إلى هذه الفكرة، ويكفي

(١) إبراهيم الموسوي الزنجاني. عقائد الشيعة. الاثنا عشرية. ج ١ ص ٢٥.

(٢) الأشعري. مقالات الإسلاميين. ج ١. ص ٣٩.

(٣) محمد إبراهيم المظفر. عقائد الشيعة. ص ٢١ - ٢٢.

(٤) إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة. ص ٦٢. الرياض.

القول: إن الإمام جعفر قد سمى ابنه موسى إماماً بعده خلافاً للقاعدة، ثم إن هذه الفكرة من شناعة القول بها حري بالشيعة الإمامية أن يتخلوا عنها بوصفها قد فقدت مبررات وجودها اليوم، وإن استقامة عقيدتهم مع مجموع الأمة الإسلامية خير من التفرد بهذه المقولة التي لا نفع لها الآن إلا شق المسلمين وإعطاء مبرر للتشنيع والفرقة^(١).

تشبيه الخالق عند اليهود

ذهب بعض اليهود إلى تشبيه الخالق بالإنسان، ونقلوا عن التوراة «أن الله قد خلق الإنسان على صورته»، وذكروا للخالق حواس قريبة من حواس الإنسان، فقالوا: إن الخالق قد بكى من حادث الطوفان، وما أصاب الأرض من دمار، فاشتكى عيناه من الرمذ حتى عادته الملائكة.

وشبه اليهود الخالق بالخلق حينما يتعبون من العمل، فعندهم أن الله قد استراح يوم السبت بعد تعب من خلق العالم بستة أيام^(٢)، وفي سفر الخروج من التوراة ورد أن الخالق سار أمام شعبه في البرية على شكل عمود في النهار، وعمود نار في الليل؛ ليهديهم الطريق^(٣).

تشبيه الخالق عند الشيعة

انتقلت فكرة تشبيه الخالق بخلقه من اليهودية إلى كثير من فرق الشيعة ورجالهم، وذكر العلماء أن القائلين بفكرة الحلول، أي حلول الله في بعض مخلوقاته، هو نوع من التشبيه والتجسيم، ففرق الغلاة من الشيعة،

(١) د. موسى الموسوي. الشيعة والتصحيح. ص ١٤٧-١٥٠ مطبوع ١٩٨٨ م.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٨٥، ص ٢١٩.

(٣) الإصحاح ١٣ / ٢٣-٢٠.

ومن ضمنهم المغيرية والتبianaية، والمنصورية والخطابية، جميعهم قالوا بالحلول، فادعوا أن الله قد حل بأئمتهم، وأثبت بعض هؤلاء لله سبحانه عن ذلك الجوارح من يد ورجل، واشتهر من المشبهة المؤثرين على الفكر الشيعي، هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، وأسماء هذين الشخصين تتردد حتى في مصادر الشيعة الإمامية، حيث أكثر من وصف الإمام علي عليه السلام، إلى درجة إضفاء بعض الصفات الإلهية عليه، ونقل عن هشام بن الحكم، قوله: إن لله جسماً له طول وعرض وله حد ونهاية، ونقل عن هشام أن معبوده سبعة أشبار بأشبار نفسه، أما الجواليقي فنقل عنه أنه يرى معبوده على صدره الإنسان أعلاه مجوف، وأسفله مصمت، وهو نور ساطع لا لحم ولا دم^(١).

فرقة المجسمة: ومن قال بفكرة تجسيم الخالق فرق عدة من الشيعة، منهم المنسوبون إلى هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي الملقب بشيطان الطاق، ويونس بن عبد الرحمن القمي، فقد نسب للأول قوله في الخالق تعالى عن ذلك: إنه جسم له طول وعرض وحدود، وأنه نور ساطع له لون وطعم ورائحة، وإن الخالق قد كان له مكان، ثم خلق المكان بحركته ومكانه هو العرش. ونسب له القول: إن بين الله وبين الأجسام تشابهاً، فلولاً ذلك لما خضعت إليه. وأنه يعلم ما تحت الثرى عن طريق الإشعاع. وإن علم الله وصفاته لا هي قديمة ولا هي محدثة؛ لكونها صفات، وإن الصفات لا توصف. ونسب إليه القول: إن الأنبياء يعصون الله، فينبئهم على ذلك^(٢) بخلاف الأئمة فهم

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٢٨.

(٢) وقد ترك هذا الرأي على قدمه أثراً لدى كثير من الشيعة، حيث تردد لدى بعضهم بصور شتى.

معصومون. وينسب هشام بن الحكم إلى فرقة الإمامية (الاثني عشرية) مع أنهم قد خطؤوه فيما ذهب إليه.

وهشام بن الحكم من موالى كندة من الفرس، وكان ينزل في بني شيبان في الكوفة، حيث ولد بها، لكنه بعد ذلك نشأ في واسط ثم سكن بغداد، وتعدده مصادر الشيعة الإمامية من أصحاب الإمام الصادق والكاظم، وتمتدحه هذه المصادر؛ لأنه أول من فتن الكلام في الإمامة^(١) كونها بالنص والوصية، وتذكر هذه المصادر أن له كتاباً في الإمامة. وهذه المصادر صادقة فيما ذكرته عن هشام بن الحكم، فيعد من المؤسسين لمذهب التشيع، فتفتيق الكلام في الإمامة يعني أنه أضاف شيئاً جديداً على هذا الموضوع المهم في أساس التشيع كما ذكرنا، وانتصاره لهذه دفعه إلى استخدام جميع ما عنده من علوم الفرس القديمة وعلوم اليهودية، فأدخلها على التشيع الذي لم يزل طرئاً في نشأته، فأضاف لموضوع الإمامة أنه بالنص لعلي، وأن النبي قد أوحى له بهذا، وهذا لم يقله أحد في بداية القرن الأول الهجري في حق علي، وإنما قيل بتفضيله فقط. وهكذا كلما تقدم الزمن جاء من يضيف على هذا التراث، فيدخل فيه ما ليس به في الأصل.

تؤكد المصادر التاريخية على انحراف آراء هشام بن الحكم، وأنه كان يستقيها من آراء الفرس واليهودية؛ لنشابه مقالاته بآرائهم، فقد ولد هشام في الكوفة وتربى على يد أبي شاعر من الزنادقة. وحينما استكمل أفكاره وانتقل إلى بغداد انضوى تحت سقف البرامكة، فقد كان المقيم على مجلس يحيى بن خالد البرمكي، وقد أوضحنا في بحثنا هذا مدى الأثر السياسي ومن ثم الفكري للبرامكة على الخلافة والمجتمع، ومما لا شك فيه أن هشاماً

(١) الطوسي. الفهرست. ص ٢٠٣.

كان من أعمدة البرامكة ونفوذهم، ولكن لما ضرب الرشيد البرامكة استتر هشام، ثم توارى في الكوفة حيث توفي فيها.

لا يمكن إغفال الأثر الذي تركه هشام بن الحكم على التشيع المغالي وتحلق الرجال من الموالي الفرس حول أفكاره والانتصار لها في مجالس البرامكة، ثم انتقال هذه الأفكار عن طريق رواية التشيع من هؤلاء الغلاة، وتلقف الكليني وغيره لتدوين هذه الأفكار الغالية على شكل أحاديث منسوبة لأئمة آل البيت وهم منها براء. فقد كان هشام بن الحكم ينسب بعض آرائه إلى الإمام أبي الحسن موسى الكاظم، ولذا شهد عليه الإمام علي الرضا ابن موسى بأنه هو الذي صنع بأبي الحسن ما صنع أترى الله أن يفر له ما ركب منا^(١) يشير بذلك إلى سجن الرشيد للإمام موسى الكاظم لتردد هشام عليه، وكذب هشام على الإمام فيما يرويه. وعلماء الشيعة ينقسمون بين مادح لهشام وبين قادح له على غلوه.

أما الثاني وهو هشام بن سالم الجواليقي، فهو على مذهب الإمامية من الشيعة أيضاً، لكنه قال بالتشبيه، حيث زعم أن الله تعالى عن ذلك على صورة الإنسان، ولكنه ليس بلحم ولا دم، بل هو نور، كما قال هشام بن الحكم. وأن للخالق حواس كحواس الإنسان، وله يد وعين وأذن.

وممن تابع على هذه المقالة من الإمامية أيضاً أبو مالك الحضرمي وعلي بن ميثم (التمار)^(٢)، أما يونس بن عبد الرحمن القمي فتنسب إليه القول بالتشبيه أيضاً، حيث زعم أن الله تعالى يحمله حملة العرش الثمانية، وهو أقوى منهم، وأن الكرسي تحمله أرجله، وهو أقوى منها، واستدل

(١) الكشي. رجال. ص ٢٢٧.

(٢) البغدادى: الفرق بين الفرق. ص ٤٧-٥٢.

بالآية ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ غَنِيَّةٌ﴾^(١) وقد دافع المجلسي عن هؤلاء، ونسب القدر الوارد فيهم إلى كتب السنة^(٢) برغم استفاضة قدهم في كتب الشيعة نفسها، وأفكار تجسيم الخالق (تعالى الله عن ذلك) كانت من عقائد اليهود ونصوص التلمود، تشير إلى كثير من هذه الأفكار، التي تشبه الخالق بالبشر. فقد ورد في تعاليم التلمود: أن الله ينام بالليل، ويعمل بالنهار، ويدرس التوراة، ثم يلعب مع الحوت وهو ملك الأسماك. وعندما شرد خالقهم أبناءه، وخرب الهيكل أخذ يبيكي ويزأر، ويقول: تبأ لي على تفريق أبنائي، وتسقط منه في اليوم دمتان في البحر.

وفي التوراة تذكر أن الرب ظهر للنبي يعقوب في صورة إنسان، فصارع يعقوب حتى طلوع الفجر، وأخذ منه العهد والبركة له ولأبنائه بعده. وفي سفر التكوين: أن الله تعب عند خلق العالم فاستراح في اليوم السابع، والأنبياء لم يقوموا بأي عبادات سوى تقديم اللحم المشوي للرب، حيث كان يحبه كثيراً كما فعل إبراهيم ذلك، وحصل على رضا الرب.

٤ - التعلق بالمعجزات عند اليهود

تمتلى النصوص الواردة في التوراة والتلمود وشروح وتفسير الربان اليهود بالقصص والحكايات والأحداث المعجزة، التي تدل فيما يرون على إعجاز وصحة من نسبوها لهم^(٣)، حيث تتحدث عن معجزات النبي إلياهو، الذي تأتي إليه الغربان بطعامه صباح مساء، وأنه هو الذي بارك لامرأة دقيقتها القليل، فظلت تخبز منه طيلة مدة المجاعة.

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق. ص ٥٢-٥٣.

(٢) انظر المجلسي. البحار. ابن بابويه. كتاب التوحيد. ص ٩٧.

(٣) (انظر الملوك الأول ١٧ / ١).

وهو الذي أرجع نفس الولد إلى جوفه قبل أن يموت، ذكر بعض شراحهم أن هذا الولد هو المسيح الذي سيأتي، ونسبوا إلى نبيهم إياهو هذا معجزات تشمل حتى أطفالهم، فهو بابا نويل الذي يقدم لكل طفل ما يتمناه من هدايا في العيد.

ومن ضمن الصلاة اليهودية الشكر للرب على المعجزات التي سخرها لهم ولأجدادهم، من قبل: «... ومعجزاتك التي هي معنا كل يوم وعجائبك وخيراتك...»، «... نشكرك أيضاً على المعجزات والخلاص والأعمال العظيمة وعلى الفرج والخوارق...».

جاء في سفر يوشع: أن الرب أوقف الشمس والقمر، عن الحركة عندما طلب منه يوشع، وذلك كي ينتقم شعب إسرائيل من أعدائه، (يوشع ١٠ / ١٢ - ١٤).

واعتبر هذا الوحي عند اليهود كالنبي يوحى إليه، وتجري على يديه المعجزات، كما وردت بذلك نصوص التوراة المتعلقة بيوشع.

معجزات الأئمة عند الشيعة وتعلقهم بها

جميع فرق الشيعة تلتقي عند فكرة كون الإمامة إلى علي بن أبي طالب بعد رسول الله ﷺ، وأن الإمام علياً أحق بها من غيره، وأن علياً قد أوصى بها إلى ابنه الحسن ومن بعده الحسين. وفرق الشيعة تختلف فيما بينها بعد ذلك من هو الإمام؛ فالزيدية ترى إمامة زيد بن علي بن الحسين، في حين يرى الإمامية أن الإمام بعد علي بن الحسين هو ابنه محمد الباقر. وبعد وفاة جعفر بن محمد اختلفت الشيعة إلى فرق، فأبي من أبناء الصادق هو الإمام؛ لفرقة الشمطية ترى أن الإمام هو محمد بن جعفر، وفرقة الفطحية ترى الإمام ابنه عبد الله، والموسوية أو المفضلية والإمامية (الاثنا عشرية) ترى الإمام موسى بن جعفر هو الإمام بعد أبيه، بينما فرقة الإسماعيلية ترى إسماعيل بن جعفر هو الإمام. والإمامية (الاثنا عشرية) يرون الإمامة في ولد الحسين بن علي، ينص الأب فيها على إمامة ابنه بعده، ولا تجتمع الإمامة عندهم في أخوين بعد الحسن والحسين، فالأئمة الاثنا عشر عندهم على الترتيب الآتي:

- ١- الإمام علي بن أبي طالب.
- ٢- الحسن بن علي.
- ٣- الحسين بن علي.
- ٤- علي بن الحسين.
- ٥- محمد بن علي (الباقر).
- ٦- جعفر بن محمد (الصادق).
- ٧- موسى بن جعفر (الكاظم).

٨- علي بن موسى (الرضا).

٩- محمد بن علي (الجواد).

١٠- علي بن محمد (الهادي).

١١- الحسن بن علي (العسكري).

١٢- الإمام الغائب (محمد بن الحسن بن علي العسكري).

فالإمامة عندهم نور يقذف في الأرحام، وهو بعد ذلك وراثته لعلوم الأنبياء السابقين، التي أورثها النبي محمد ﷺ لعلي بعده، ثم للأئمة بعد علي واحد بعد الآخر. وتذكر رواية قديمة موضوعة على لسان الإمام جعفر الصادق: أن الرسول محمدًا ﷺ قد أفضت إليه صحف إبراهيم وموسى، فأتمن الرسول ﷺ عليها عليًا وأتمن علي الحسن... إلى أن أفضت إليه^(١).

وقد ورثت كتب الشيعة الإمامية (الاثني عشرية) ما قالتها الشيعة الغلاة في أنتمها، ولم يستطيعوا تنقية إلا القليل من المقولات الفاحشة كالادعاء بالأنوهمية، وما أشبهها.

فالأئمة عند الشيعة (الاثني عشرية) يعلمون جميع علم الملائكة والأنبياء، وأنهم إذا شأؤوا أن يعلموا علموا، وأنهم يعلمون متى يموتون، وأنهم يعلمون علم ما كان وما سيكون، وأن الله ﷻ لم يعلم نبيه محمدًا ﷺ علمًا إلا أمره أن يعلمه إلى علي بن أبي طالب^(٢). وأن الجن يأتون إلى الأئمة فيسألونهم عن معالم دينهم^(٣)، وأن الأئمة يعلمون اللغات الآدمية ولغات الحيوان، حيث روي أن الإمام الصادق رد على محدثه باللغة النبطية

(١) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار. ص ٢٥٥. المجلي. البحار. المجلد ١. ص ١١٤.

(٢) الكليني. أصول الكافي. ج ٦. ص ٢٢ - ٤٢.

(٣) الكليني. أصول الكافي. ج ٦. ص ٢٨٦.

والفارسية، وأنه حدث خمسة عشر رجلاً بكلام واحد، وكل منهم سمعه بلغته، الحبشي بالحبشية، والفارسي بالفارسية، والصقلبي بالصقلبية^(١). وتقع الروايات في كتبهم القديمة في حيرة من التوفيق بين رواية أن الإمام يعلم متى يموت، فكيف يقبل إذن من وضع له السم من الأئمة حيث ترد روايات كثيرة بأن أكثر من إمام من الأئمة (الاثني عشر) كان قد مات مسموماً. وللخروج من هذا المأزق يؤول بعضهم أن الله يلقي على قلب الإمام النسيان في وقت أكله السم^(٢). وتخريج آخر يذكر أن عبد الله بن طاوس سأل الإمام الرضا... أن يحيى بن خالد سم أباك موسى بن جعفر؟ قال: نعم، سمه في ثلاثين رطبة. قلت: فما كان يعلم أنها مسمومة؟ قال: غاب عنه المحدث. قلت: ومن المحدث؟ قال: ملك أعظم من جبريل.. كان مع رسول الله ﷺ فهو مع الأئمة^(٣) وعلى هذا، فالأئمة عندهم معصومون كالأنبياء؛ لأنهم الواسطة بين الله وخلقهم^(٤). وتسبب خوارق روايات في مولد الحسن والحسين كذلك المنسوبة لنبي الله عيسى عليه السلام^(٥).

وتذهب روايات إلى أكثر من علم الأئمة بموعد موتهم إلى موعد موت الآخرين، منها ما رواه ميسر حينما دخل على الإمام أبي جعفر وهو في جماعة، حيث ذكروا صلة الرحم، فقال أبو جعفر: يا ميسر، إن الله قد حضر أجلك غير مرة ولا مرتين، كل ذلك يؤخره الله بصلتك وقرابتك^(٦).

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٢٦ - ١٣٣.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٢٦ - ٢٥٢.

(٣) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار. ص ٦٠٤.

(٤) إبراهيم الموسوي الزنجاني. عقائد الإمامية. ج ١. ص ٤. وانظر أيضاً جولدزيهر العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٠٧ - ٢١٠.

(٥) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ٦٧ - ١٤٠.

(٦) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار. ص ٢٤٤.

وتنسب روايات أن الإمام الفائب في يوم مولده تكلم في المهدي وسلم على أمه^(١). بل من الأئمة من نسب إليه تكليم سيدنا الخضر^(٢). وتنسب للإمام الصادق معجزات كتلك التي ذكرت للأنبياء أو أكبر منها، فمن هذه الروايات أن الإمام الصادق أخرج لهم من تحت رجله سبائك ذهب^(٣). وأخرى تذكر أن الصادق أخذ عبد الله بن سنان خارج المدينة، فأراه نهراً من ماء ونهراً من لبن وثالثاً من خمر، كما أراه الحور العين، وقال له: هذا ما أعد لشيعتنا^(٤). بل إن الصادق ذكروا أنه يعلم كل أعمالهم حيث تعرض عليه كل يوم خميس^(٥). ورواية تشبه الصادق بالنبي موسى عليه السلام حيث أتبع الصادق الماء لأصحابه وهم في فلاة^(٦). وإن من علامات الإمام المنسوبة للصادق أنه لو قال للجبل: سر لسار. قال الراوي: فتظرت فإذا الجبل يسير. فتظر الصادق إلى الجبل، وقال: إني لم أعنك^(٧). ورواية أخرى أنه رد روح امرأة بعد أن ماتت، وفي هذا تشبيه بعيسى عليه السلام^(٨). بل إنه يأمر ملك الموت بتأجيل موت امرأة من نساء شيعة^(٩)، ومنها أن الصادق أخذ أربعة من الطير فذبحن وخلطن، ثم دعا بالحمامة فتأتيه وهكذا ببقية الطير^(١٠) وفي هذا تشبيه بسيدنا إبراهيم عليه السلام.

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص ب - ج.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثاني. ص ١٥٧.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٢٨.

(٤) المرجع نفسه. ص ١٢٩.

(٥) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٢٩.

(٦) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٠.

(٧) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٢.

(٨) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٣.

(٩) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٧.

(١٠) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٥.

وتتعدى الحال إلى معجزات وكرامات منسوبة لفاطمة مقتبسة من تلك المنسوبة للسيدة مريم، ففي ميلادها ظهر نور في السماء، وينسب لها رواية أنها قالت: «أنا من ذلك النور أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن»^(١) ولما طلب منها الرسول ﷺ طعاماً قدمت له جفنة مملوءة خبزاً ولحماً، ولما سألها من أين لك هذا؟ قالت: هو من عند الله^(٢). وهذه استعارة لما ورد في القرآن الكريم من أمر يحيى ومريم وأشياء كثيرة من هذا القبيل^(٣).

وهذه الأوصاف تجعل الأئمة في أذهان هؤلاء القوم من الشيعة فوق مستوى البشر، فإذن لا بد أنهم مخلوقون خلقاً آخر يختلف عن سائر الناس، وهكذا تفتق ذهن الرواة والغلاة إلى وسيلة لتبرير ذلك، حيث ينقل المجلسي عن كتاب (فضائل الشيعة) للشيخ الصدوق ابن بابويه القمي مسنداً الرواية عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذا جاء رجل فسال عن القوم المعنيين بالآية: «أَسْتَكَبَّرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْآلَيْنِ» فأجابه الرسول ﷺ: إن الذين هم أعلى من الملائكة، أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، كنا في سرادق العرش نسبح قبل أن يخلق آدم بألفي عام^(٤).. وعلى ذلك فالأئمة لم يخلقوا كخلق آدم الذي عصى ربه حينما أكل من الشجرة المحرمة بالجنة، بل إن الأئمة خلقوا من نور ظل معلقاً تحت عرش الرحمن قبل آدم بألفي عام. وهكذا يصل الفكر الغالي هذا إلى تبرير وتأكيده مبدأ عصمة الأئمة عند الشيعة^(٥). وإن ذرية آدم هم أولئك العصاة المخالفون

(١) المجلسي، البحار، المجلد ١٠، ص ٢ - ٥.

(٢) المجلسي، البحار، المجلد ١٠، ص ١٠.

(٣) المجلسي، البحار، المجلد ١١٠، ص ١٠ - ٥٦.

(٤) المجلسي، البحار، المجلد ٥، ص ٣٩.

(٥) المجلسي، البحار، المجلد ٥، ص ٢٠ - ٤٠.

للشيعة، فتنسب رواية عن الصادق أنه ذكر أن آدم أنكر ولاية الرسول محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما عرضت عليه، ولذلك رمته الجنة بأوراقها، فلما تاب وأقر بحق الخمسة عفا الله عنه، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَنَجْزِيَّ أَدَمُ مِنْ رَبِّيهِ، كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ﴾^(١). وهذه الروايات وأشباهها كثيرة في كتب الشيعة القديمة ما دفع الكثير من علمائهم وفقهائهم إلى القول: إن الأئمة أفضل من الأنبياء. بعضهم يخفف ذلك ويستثني محمداً ﷺ. وذكر المجلسي أن أكثر الإمامية على هذا القول^(٢) وفي رواية أخرى قد اشتطت أكثر من ذلك، حينما أظهرت الإمام علياً أكثر توكلاً على الله من الرسول ﷺ. تضع الرواية الخبر عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما جاع يوماً أتى متعلقاً بأستار الكعبة داعياً: رب محمد، لا تجع محمداً أكثر مما أجمعت، فهبط جبريل معه جوزة... فلما فتحها وجد فيها مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدت محمداً بعلي ونصرته به ما أنصف الله من نفسه، من اتهم الله في قضائه واستبطأه في رزقه^(٣). ولنا أن نتساءل: ما الأسباب التي دفعت الشيعة إلى هذا القول الشطط في أئمتها؟

إن الدوافع السياسية مع الجهل وتأثرهم بالمعتقدات الأخرى هي أهم الأسباب.



(١) المجلسي. البحار. المجلد ٥. ص ٥١.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ٦ ص ٦ غير مرقم الصفحات وهذه تقع تقريباً ما قبل الصفحة الأخيرة بستين صفحة. وهذا يوضح مقالة الخميني في تفضيل الأئمة على الأنبياء التي استكرها العالم الإسلامي.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثاني. ص ١٥٦ - ١٥٧.

الفصل السادس

ممارسات وعادات

الصلاة عند اليهود

كانت صلاة اليهود القدماء عبارة عن تقدمات من ثمار أو ذبائح، وهذه القرايين كانت تقدم على أيدي الكهنة (انظر التكوين ١٨ / ٢٣ و ٢٠ / ١٧)، وغيرها كثير.

وبعد ذلك ظهرت بينهم الصلاة كعبادة ودعاء من الرب، ولم تكن في البداية إجبارية بل اختيارية، انظر المشنا (البركات ٢٢).

ثم ظهرت بينهم الصلاة المحددة بالكيفية بالترانيم والمزامير، وهناك صلاة مخصوصة في مناسبات وأعياد مختلفة، وكانت الصلاة في البداية مرتين، ثم صارت ثلاث مرات في اليوم، واستقرت على ذلك (انظر أخبار الأيام الأولى ٢٣ / ٣٠)، وقبلتهم في الصلاة إلى أورشليم.

وعند بعض اليهود الصلاة تتم بواسطة الملائكة أو بعض منهم يدعونهم كشفعاء.

ولليهود صلاة كثيرة متنوعة، يهمنها منها هنا صلاة الدعاء للمسيبين، وهم فرقة من اليهود (انظر أشعيا ١١ / ١٣، إرميا ٥١ / ٢٧)، ونسبى هذه الصلاة ب: (قبوحى جلوت)، وهناك صلاة بخلافها وهي صلاة (هملشيم) الصلاة ضد الصدفين (المزامير ٨١ / ٥١)، ومما ذكر عن صلاة يهود يثرب، أنهم كانوا يصلون العشي عند اشتباك النجوم، ولهذا ورد نهى

الرسول ﷺ، في المدينة أن يؤخروا المغرب، حتى اشتباك النجوم؛ كيلا يتشبهوا بصلاة اليهود.

الصلاة عند الشيعة

لا تختلف صفة الصلاة عمومًا عند الشيعة عن بقية المذاهب الإسلامية، إلا في بعض التفاصيل والفروع.

وهذه التفاصيل والفرعيات نجدها غالبًا فيما يسمى بمستحبات الصلاة التي عقد لها صاحب اللمعة الدمشقية الفصل الرابع من كتابه، وهذه المستحبات هي: (ترتيل، التكبير، ورفع اليدين... والتوجه بست تكبيرات ... ثم يذكر المؤلف الأدعية التي تقال في الصلاة، وكثير منها أدعية ضد مخالفهم^(١))، واستخدموها بدوافع سياسية، ونسبوها إلى أئمة آل البيت.

وأدخل الشيعة في أدعية الصلاة، الدعاء ليس للنبي وآله، وإنما يسمون أئمتهم الاثني عشر بأسمائهم، كما يضيفون التبرء من أعدائهم، وأجازوا الصلاة خلف المخالف لهم في العقيدة تقية^(٢)، كما للشيعة الإفطار تقية مجارة للولادة^(٣).

وصلاة الميت عند ابن بابويه خمس تكبيرات، والسبب أنها خمس؛ لأن الصلاة المكتوبة خمسة أوقات، كما أورد أن النبي كان يكبر على بعض الموتى بخمس، والبعض بأربع^(٤)، (على المنافقين أربعًا)، وهذا من أجل التفرد؛ لأن المسلمين يكبرون على الميت أربعًا.

(١) زين الدين الجبعي العاملي: الروضة البهية، شرح اللمع الدمشقية، ج١، ص ٨٢.

(٢) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ١٢٨.

(٣) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٢٥٢.

(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص ٣٥٢ - ٣٥٣.

ويذكر ابن بابويه القمي (ت ٢٨١هـ) في كتابه من لا يحضره الفقيه، أن بعض علماء اليهود جاؤوا للنبي ﷺ، وسألوه عن علة الاغتسال من الجنابة دون البول والغائط؟ وما ذلك في رأيي إلا تقريب لمشروعية الأخذ عند اليهود، وأنهم أصحاب علم شرعي^(١).

ونقل ابن بابويه عن النبي ﷺ، قوله: إن فاطمة ليست كأحد النساء إنها (لا ترى دمًا في حيض ولا نفاس كالحورية)^(٢).

وروى ابن بابويه عن الإمام الصادق قوله: «إنما كره النظر إلى عورة المسلم، فأما النظر إلى عورة من ليس بمسلم، مثل النظر إلى عورة الحمار»^(٣).

وينقل ابن بابويه علومه الفقهية عن طريق يهودي، سأل الرسول ﷺ عن علة وجوب الصلوات الخمس، فيأتي الرد بأن تلك مواقيت كان فيها آدم قد تاب من معصيته هو وزوجته^(٤).

وقد أدخل غلاة الشيعة في الصلاة كثيرًا من الأدعية المخالفة لقواعد الشيعة وأدائها، ما دفع بعض المصلحين الشيعة إلى الإنكار عليهم، إشاعتها بين العامة أو تدريسها أو تحفيظها لهم في الصلاة، أو كجزء مكمل للصلاة أو الأدعية، ومن هؤلاء المصلحين: أبو الفضل اليرفعي القمي الذي كتب كتابه (الخرافات الوافرة في زيارة القبور)، وكذلك حيدر علي القمي الذي كتب في الزيارات وأدعية المزارات.

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٣١ مؤسسة الأعلمي - لبنان، ٢٠٠٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٣.

(٤) المصدر السابق: ص ٨٥.

وفي كتاب علل الشرائع لابن بابويه القمي تفاصيل كثيرة، وعلل مبتدعة، أضافها رجال الشيعة على الصلاة، في حين أن صفة الصلاة في الإسلام لا تحتمل الكثير من الخلاف حولها؛ لأنها منقولة عملياً عن النبي ﷺ^(١).

لقد وقع الشيعة وعلمائهم في المسائل الفقهية، والزيادة على الفرائض المكتوبة مثل ما وقع به سائر الملل من التزيد والابتداع لشتى الأسباب والعلل، وفي الصلاة خاصة نجد الكثير من ذلك، عند الكثير من فرق الصوفية.

وأشير هنا إلى تأخير الشيعة صلاة المغرب، عن بقية توقيت المسلمين عامة، فهم يصلونها في وقت مقاربة لاشتباك النجوم، وفي ذلك تشبه باليهود، أدخل هو من آثار ما تركه يهود يثرب، من عادة تأخر صلاة المغرب حتى اشتباك النجوم، وقد كان رسول الله ﷺ قد نهى عن ذلك^(٢).

المواسم والأعياد اليهودية والزيارات

يقدر اليهود يوم السبت يوم راحة، على تفاسير مختلفة عندهم، فبعضهم يرجعه إلى أنه يوم الخليفة، وآخرون كونه يوم خروج موسى وقومه من مصر، وآخرون يعللونه على أنه يوم راحة بعد تعب العمل لستة أيام، ولا يجوز فيه العمل ولا إيقاد النار، ولا الكتابة ولا الزواج، ولا تحل فيه الحرب الهجومية؛ ولذا ادعوا أن حروبهم كلها دفاعية، وحتى جيشهم للدفاع فقط.

وفي الأعياد اليهودية، توقد الشموع خاصة ما كان منها بهيجاً، وفي يوم الغفران، أو الكفارة يكفر فيه اليهودي، ويندم على ما اقترفه من آثام طيلة

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص ٥ - ٦٨، حيث أطل بتفاصيل وعلل غريبة، يحار القارئ من أين جاءت تلك العلل، والتفاصيل، وكيف تجمعت، وما مصادر الأخذ بها؟

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص ١٤٦٣.

السنة الماضية، ويذكر الدكتور حسن ظاظا، أنه قد شاع بين بعض اليهود في هذا اليوم، يجوز التحلل من المهود والعقود وإنكار الديون...^(١)، وربما هذا ما أشار إليه القرآن الكريم عندهم في قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتَيْنِ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران: ٧٥)، لأن منطقهم يقول: إنه في آخر هذا اليوم، وبعد التحلل سيغفر الله لك!

زيارة قبور أولياء الشيعة ومواسمها

تحاطب زيارة قبور الأولياء عند الشيعة مثل زيارة قبر الإمام علي عليه السلام أو ولده الحسين عليه السلام، بالكثير من القداسة والمبالغة، لدرجة أدخلوا فيها الكثير من المبتدعات، كسؤال صاحب القبر أن يشفع له، أو يعطيه كذا، أو يشفيه من مرض، ولكن الأنكى من كل ذلك تركيزهم في الزيارة على لعن من يسمونهم بالنواصب، بدءاً بالخلفاء الراشدين وبنى أمية، ثم شمل جميع أعدائهم.

ذكر ابن بابويه في كتابه من لا يحضره الفقيه، وهو يعد من المعتدلين الإمامية، يذكر جملة من الأدعية مثلاً عند زيارة قبر علي والحسين عليهما السلام، وينسب تلك الأدعية للأئمة، فمن دعاء طويل أورده للتلاوة على قبر علي عليه السلام: «... ولعن الله من خالفك، ولعن الله من افتري عليك، ولعن الله من غصبك، ولعن الله من بلغه ذلك، ورضي به و...»^(٢).

وفي زيارة قبر الحسين عليه السلام، ذكر حديثاً طويلاً ورد فيه: «... بكم تقب الأرض ... بكم تنزل السماء مطرها ... بكم يكشف الله الكرب ... بكم ينزل الغيث ... لعنت أمة خذلتكم ...»^(٣).

(١) المصدر السابق: ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٤١٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٤١١.

أما المصادر التي كتبت في العصر الصفوي حيث اطمأن كاتبوها، وأمنوا العقوبة، فتذكر اللعن صريحاً بأسماء الخلفاء، أو أسماء مخالفيهم، أو بالصفات والنعوت، التي تواضعوا عليها في كتاباتهم وأحاديثهم، مثل: صنمي قريش الجبت والطاغوت^(١).

ويستمع أفراد الشيعة برجال دينهم لمعرفة أفضل يوم للسفر، أو عقد الزواج، وفي كتب الفقه تعاليم في أيام الشهر التي يأتي بها الرجل أهله، فكانما لهم تعلق بالنجوم وبؤستها، فأول الشهر ووسطه وآخره، أو برج العقرب، مثلاً كلها لا تصلح للزواج، حيث لا يأمن الرجل أن يأتي له بولد، مجذوم أو ذي صفة ذميمة^(٢)، ويتشاءم الشيعة من يوم الأربعاء، فقد جمع ابن بابويه القمي ما حصل من مأس منذ خلق آدم إلى العصور المتأخرة كلها، حصلت يوم الأربعاء^(٣).

عزاء الحسين

من أقدم الإشارات إلى الحزن الجماعي ما ورد في ملحمة كلكاش (في حدود ٢٢٠٠ قبل الميلاد)، حيث خاطب كلكاش محبوبته الإلهة عشتار حينما عرضت الزواج عليه، قال: «من أجل تموز حبيب صباك قد قضيت بالبقاء سنة بعد سنة». وتموز إله الربيع عند البابليين الذي صوروه برأع شاب مات في زهرة شبابه، فنزلت الإلهة عشتروت إلى جهنم؛ لتأخذه وتعيده إلى الحياة.

(١) المجلس: بحار الأنوار، المجلد، ص.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص ٢٢٧ - ٢٢٢.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص ٢٢٢.

ثم توجه هذا البكاء الجماعي عند الطرفين في بابل عند مناسبة موت الإله مردوخ، وقد انتقلت هذه العادة إلى اليهود (حينما كشف الرب لبني إسرائيل ما اطلع عليه حزقيال حينما وجد نسوة على باب الرب يبكين تموز). كما كان الصابئة في العراق يبكون أيضاً على نبيهم تاوز الذي قتله ربه وطحن عظامه وذراها في الريح، ولدى طائفة الخرمية في العراق وفارس القديم عادة البكاء على نبيهم شروين المولود من أب زنجي وأم فارسية.

ويذكر أن أبا مسلم الخراساني في العصر العباسي أعلن الحداد سبعة أيام على روح يحيى بن زيد، وعلى الرغم من أن الرسول ﷺ قد نهى عن النياحة على الميت وشق الجيوب، فإن هذه العادة وبشكل جماعي ظهرت في العراق وفارس عند الشيعة بمناسبة مقتل الإمام الحسين، واتخذت طابعاً منظماً في العصر البويهي في العراق وفارس، حيث ساد التشيع كثيراً في الأقطار الإسلامية. وفي عهد الصفويين اتخذ عزاء الحسين والبكاء عليه شكلاً مسرحياً، حيث يجري تمثيل مقتل الحسين بشكل مفعج ومؤثر^(١).

وقد سبب وجود الشيعة حول قبر الحسين في كربلاء نوعاً من التنظيم السياسي للشيعة، ما دفع الخليفة العباسي المتوكل إلى طرد من حول القبر وحرثه مرتين، حيث أخفى موضعه ولكن رجع الشيعة - خاصة في العصر البويهي - إلى التجمع حول القبر وزيارته، وتكونت حوله قصص ومعجزات لا تزال تدور عند الشيعة. وقد دونتها كتبهم منذ القديم، فتذكر الروايات أن الإمام الصادق بعث إلى أحد أصحابه المرضى شراً فيه طين قبور آبائه^(٢). وتحدث المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) في ثلاث صفحات من القطع الكبير

(١) د. كامل مصطفى الشبيبي. الفكر الشيعي والنزعات الصوفية. ص ٤٤ - ٥٠.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٤. ص ٣٠٤.

حول تحريم أكل الطين إلا طينة قبر الحسين، فإنها كما يذكر شفاء^(١). ونقل المجلسي رواية في كتاب التهذيب عن الإمام الصادق في تفسير قوله تعالى: ﴿شَطِطِي آلَآءِ الْآئِنِ﴾: هو الفرات، والبقعة المباركة المذكورة في القرآن هي كربلاء^(٢). وينقل المجلسي رواية عن الإمام أبي جعفر الصادق أنه قال: «خلق الله أرض كربلاء قبل أن يخلق أرض الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، وقدسها وبارك عليها»^(٣). ولا شك أن في ذلك تطاولاً ومبالغة قصد بها دفع الشيعة إلى زيارة كربلاء، وقد قال شاعرهم:

وفي حديث كربلاء والكعبة لكربلاء بان علو الرتبة

ففي هذه الزيارة فوائد جمة للشيعة، منها الفوائد المالية والاجتماعية والسياسية، كما لا يخفى ذلك. ومثل هذه الروايات تكونت حول قبور أولياء الشيعة وأئمتهم، وليس فقط حول قبر الحسين وزيارته. منها ما نقله المجلسي من كتاب الأمالي للشيخ الصدوق عن الإمام الرضا قوله في حياته، وكان تنبأ في قوله: إنه سيموت ويدفن بفارس (مشهد) فقال: «... فمن زارني في غربتي كتب الله له مئة ألف شهيد، ومئة ألف صديق ومئة ألف حاج ومعتمر، ومئة ألف مجاهد، وحشر في زمرة»^(٤). كما أورد المجلسي روايات كثيرة بأن الدعاء حول قبر الرضا مستجاب، وذكر أن ركن الدولة البويهري أوصى الشيخ الصدوق أن يدعوه عند قبر الرضا، ففعل. وشخص طلب عند قبر الرضا أن يرزقه الله بولد ذكر فاستجاب الله دعاءه^(٥). وقد

(١) المصدر السابق. ص ٣٢٢-٣٢٥.

(٢) المصدر السابق. ص ٣٣٥.

(٣) المصدر السابق. المجلد ١٤. ص ٤٩.

(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١٢. ص ٨٤. موسى الموسوي. الشيعة والتصحيح. ص ٩٣.

(٥) المصدر السابق. ص ٩٥.

اعتاد الشيعة حينما يزورون قبور أئمتهم ومنهم الحسين، أن يتلوا صيغاً معينة يتلونونها في هذه المناسبة، وفي بعض هذه الصيغ شدة وتجريح للخلفاء الراشدين، وتديد بظالمى الأئمة من أمويين وعباسيين، واعتراف بفضل الأئمة، وأنهم وحدهم أصحاب الحق في الولاية والإمامة دون غيرهم، ويوصفون بصفات فوق البشر. ولكون زيارة كربلاء تتم عادة في موعد محدد بين محرم وصفر، وتكون الاجتماعات في قماتها في اليوم العاشرة من محرم يوم مقتل الحسين فإن علماء الشيعة ومخططي حركتهم يستفيدون كثيراً من مجيء هذه الوفود الشيعية من شتى أقطار الأرض، فيقومون بتعليمهم وحثهم على أخذ تعاليمهم.

ومن مراسيم الحداد والعزاء على مقتل الحسين ما يجري لدى الشيعة في كربلاء وفي غيرها من البلاد كالهند والباكستان وإيران ولبنان اللطم على الخدود وشق الجيوب والعويل والبكاء أو التباكي ولباس السواد، والأشد من ذلك يجري أيضاً ما يسمى بضرب القامات (السيوف) على الجباه وضرب الأكتاف بالسلاسل. وهي عادات أدخلها الصفويون على عزاء الشيعة؛ رغبة في توحيدهم ضد الخلافة العثمانية السنية؛ لأنها كانت في نزاع دائم معهم، فكان البلاط الصفوي يعلن رسمياً الحداد في العشرة الأيام الأولى من محرم، وكان الشاه عباس الصفوي الذي حكم إيران ما يقرب من خمسين عاماً يلبس بنفسه السواد في عاشوراء، ويلطخ جبينه بالوحد، ويتقدم مواكب العزاء. ويرى الدكتور موسى الموسوي: أن عادة القامات والضرب على الأكتاف بالسلاسل عادة وفدت على الشيعة من شيعة الهند الذين شجعهم الإنجليز على ذلك، وجلبوا لهم السلاسل والقامات لهذا الغرض، وذكر أيضاً أنه لعهد قريب كانت السفارة البريطانية

في طهران وبغداد تمولان مواكب العزاء الحسينية بهذه المعدات؛ لأغراض استعمارية منها تأصيل الخلاف بين السنة والشيعة، وإظهار الإنكليز في استعمارهم لهذه البلاد بأنهم إنما يحكمون أناساً متوحشين يحتاجون إلى من يدخل المدينة عليهم^(١).

وقد نادى كثير من علماء الشيعة في العصر الحديث إلى وجوب التوقف عن هذه البدعة، نخص منهم في سوريا السيد محسن الأمين العاملي وقبله السيد أبو الحسن الموسوي في العراق وإيران وحفيده الآن السيد الدكتور موسى الموسوي^(٢).



(١) د. موسى الموسوي. الشيعة والتصحيح. ص ٩٩.

(٢) المصدر السابق. ص ١٠٠.

الفصل الثاني

الزواج

الزواج عند اليهود

الأصل عند اليهود أنه لا يصح الزواج إلا بين إسرائيلي وإسرائيلية، فإذا كان أحدهما غير إسرائيلي بطل العقد، بل اشترط أحدهم اتحاد مذهب الزوجين، فإذا اخترقت هذه القاعدة أصبحت المعاشرة بين الزوجين غير مشروعة، والأولاد غير شرعيين، ويخرج عن هذه القاعدة اجتهادات، نصت على صحة الزواج إذا دخل أحد الطرفين في الديانة اليهودية وكان غير يهودي، والقواعد السابقة نصت عليها مشاريع عدة للقوانين عند الإسرائيليين، في أزمان مختلفة^(١)، والحقيقة أن اليهودية بوصفها ديانة عنصرية، بدليل أن اليهودي وإن كفر بدينه، فإن ذلك لا يخرج من شرعية زواجه وأولاده بخلاف ما هو مقرر في الإسلام، وعند اليهود، زواج (اليوم) وهو وجوب زواج الإسرائيلي زوجة أخيه الميت، فإن لم يكن لأخيه الميت منها ولد، فإن الولد البكر من زواج الأخ زوجة أخيه الميت ينسب للميت، وفي هذا تشابه مع بعض زواج الفرس الساسانيين القدماء، حيث كان عندهم زواج الاستعارة، والأبناء يكونون للزوج المعير^(٢).

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص ١٩٢.

(٢) انظر كتابنا الزواج المؤقت، ص، بيروت ٢٠٠٠م.

وفرقه القنانين من اليهود فرقة غالية، عمد كاهنها فتحاس إلى قتل اليهودي الذي تزوج بأجنبية غير يهودية، كما جاء في المشنا (القضاة) أن القنانين كانوا يقتلون كل من تزوج بأرامية^(١).

الزواج المؤقت عند اليهود

في كتابنا الزواج المؤقت قديماً وحديثاً^(٢)، أوضحنا أن اليهود قديماً في العراق بعد السبي البابلي، وكتابتهم في العراق، للتلמוד البابلي يبدو أنهم مارسوا الزواج المؤقت ليلة، أو ليلتين، على حد تعبير أحد حاخاماتهم، جاء في التلمود البابلي ما نص ترجمته من الإنكليزية من قبل: (الرأبان جيدال (GIDDAL)، قال باسم الرابي (RAB): الضيف يجب ألا يأكل البيض ولا ينام على كساء مضيفه، حينما جاء الرابي (RAB)، إلى دار دشير كان يعلن: من تود أن تكون لي ليوم واحد، وحينما الرابي نعمان (RAB NAHMAN) يأتي إلى شكذب كان يعلن: «من ترغب أن تكون لي ليوم واحد...»^(٣)، وقد تناول شراح التلمود اليهود هذا النص بكثير من التأويل تعرضنا له في كتابنا المذكور.

المتعة عند الشيعة الإمامية

زواج المتعة عند الشيعة الإمامية لا يحتاج إلى إثبات، فأكثر المصادر الفقهية تتعرض لحليته وتورد عليه الأسانيد الشرعية، وتذكر أن التحريم

(١) حسن ظاها: المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٢) دار الحرف العربي، بليمان ٢٠٠٦ م.

(٣) أنظر قسم بياصوت من النسخة المترجمة للإنكليزية للتلמוד البابلي، والمطبوع في مطبعة سانسيمو بلندن ص ٢٣٥.

للمتعة من عمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد قمت بتحقيق مخطوطة الشيخ محمد بن محمد بن نعمان المفيد (٤١٣هـ)، المسماة (خلاصة الإيجاز في المتعة)، أوجز فيها المفيد حجج الشيعة، ورد فيها على قول السنة بتحريمها، وقد نشرتها ضمن كتابي المذكور (الزواج المؤقت)، كما أفردت تفصيلاً لمن كتب عن المتعة قديماً من الشيعة، وأفردتها في بحث أو كتاب، ما يدل على أهمية هذا الموضوع عندهم، وكتب فقه الشيعة تفرد عادة باباً خاصاً للمتعة يطول أو يقصر، فمثلاً: ورد في كتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي، ذكر حلية المتعة، والأحاديث الواردة في هذا الباب، ثم ذكر صفات المرأة المتمتع بها، فكان السائل يسأل الإمام الصادق عن التمتع بالجارية الصغيرة؟ (عن محمد بن مسلم سألته عن الجارية يتمتع بها الرجل؟ قال: نعم، إلا أن تكون صبية تخدع، قلت: أصلحك الله، وكم الحد الذي بالفته لم تخدع؟ قال: ابنة عشر سنين)^(١).

الربا والطعام والشراب عند اليهود

الربا بين يهودي ويهودي آخر محرم عندهم وجائز مع غير اليهودي، والنظرة العنصرية واضحة مع هذا المنحنى، على الرغم من كونعاملات المالية شأن إنساني.

ويحرم عند اليهود أكل لحم الأرنب؛ لأنه ذا أنياب وأظفار، كما يحرم عند اليهود أكل الأسماك الملساء التي لا أصداف ولا زعانف لها كسمك (الجري) في العراق.

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٥٨٥.

تحريم أكل الأرنب والسمك الجري عند الشيعة

جاء في كتاب من لا يحضره الفقيه، لابن بابويه القمي، حديث عن جعفر الصادق قوله: (لا تأكل الجري ولا الطحال).

وسأل سائل أبا جعفر عن أكل الكنعد من السمك، فقال: لا بأس. فاعترضه السائل أن ليس له قشر (كالجري)؟ فرد الإمام أن ذلك من سوء خلقها تحك بكل شيء^(١)، ونقل عن الصادق أنه لا تأكل من الشاة الفرت والطحال والدم والنخاع.

وجاء في كتاب علل الشرائع، لابن بابويه القمي، رواية وضعها راوية عن بلال «أن رسول الله ﷺ، حرم الجري والضب والحمير الأهلية، ألا فاتقوا الله، ولا تأكلوا من السمك إلا ما كان له قشر، ومع القشر فلوس...»^(٢)، ورواية أخرى ذكر فيها أن رسول الله ﷺ، حضر ليتغدى مع قوم، فأخذ خبزاً فلما علم أن مرقهم سمك جري تركهم، وقام لم يأكله...

وقد أورد ابن بابويه القمي، أحاديث عدة أورد فيها تحريم أكل الأرنب، وجاء في تعليق ذلك: «ومسخت الأرنب لأنها كانت امرأة تخون زوجها، ولا تغتسل من حيض ولا جنابة...»^(٣).

بعض أحكام الربا عند الشيعة

ورد في كتاب الروضة البهية، شرح اللمعة الدمشقية للشهيد زين الدين الجبعي العاملي في باب الربا: «ولا ربا في المعدود، ولا بين الوالد وولده،

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٥٤١، وما بعدها، وانظر المفيد: الاختصاص، ص ١٢٧.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ٢، ص ١٧١.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ٢، ص ١٩٨.

ولا بين الزوج وزوجته، ولا بين المسلم والحربي، إذا أخذ المسلم الفضل»، ويتخلص من الربا أيضاً «بأن يبيعه بالمماثل ويهبه الزائد» في عقد واحد^(١).

وينقل ابن بابويه القمي، في كتابه علل الشرائع، حديثاً عن داود بن فرقد، أنه سأل الإمام الصادق، عن مال الناصبي فقال: «توه ما قدرت عليه»، وهذا يعني فيما يبدو ضيع على الناصب ماله^(٢)، ويشكو أحد الرجال لإمامه من استقامة العامة على الخلق القويم، بينما شيعتهم فيهم من يشرب الخمر، ويزني، ويلوط، ويفعل المنكرات، ولكنه يقر بالولاية، فيفسر له إمامه أن ما شاهده من خير في العامة إنما يعود إلى طينة الشيعة الطيبة التي خلقوا منها، وما شاهده من انحراف بعض الشيعة وعمل الموبقات إنما هو من عمل طينة العامة التي خلقوا منها؛ لأن الله قد مزج بين الطينتين في خلقه^(٣)، وفي آخر الحديث أوصى الإمام السائل أن ذلك من الأسرار، فلا يذيعه إلا المؤمن مستبصر!!



(١) الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية: زين الدين الجبجي العاملي. ج١، ص٢١٩، دار الكتاب العربي بمصر.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص٢٢٦.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص٢٢٢ - ٢٢٥.

الفصل الثامن

التحريف والتأويل

تعطيل بعض الأحكام زمن التشرد

ظهر بين طائفة اليهودجانية اليهودية والمنسوبة إلى أبي عيسى (عويديا)، من يهود أصفهان في القرن الأول الهجري، زمن خلافة عبد الملك ابن مروان، فادعى النبوة، من بعده ادعى تلميذه يودجان هو الآخر الادعاء النبوة، وجمع اليهود على كيان قومي، وعند موته، ادعى أتباعه أنه هو المسيح المنتظر وأنه سيرجع.

إن أهم تعاليم هذه الطائفة القول بعدم وجوب إقامة الشعائر اليهودية يوم السبت أو في غيره، وأن تعطل الشريعة ما دام اليهود متشردين لا قوة تحميمهم، وأغرقت هذه التفرقة بالتفسير الباطني لنصوص التوراة، وجأؤوا بشروح وتأويلات باطنية المعاني مما تخدم فكرهم الديني وأغراضهم البعيدة، وفكرة تعطيل الشريعة ظهرت في طوائف كثيرة من اليهود، منهم طائفة (الشادجانية)^(١).

وسنة ٢٧٦ هـ، ظهر في الكوفة يهودي يظهر الإسلام، اسمه ميمون ابن ديسان، المشهور بالقдах، وأصله رجل دين يهودي، أظهر تفسيرات باطنية لبعض نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، تخدم فكر الشيعة بدعواهم الخاصة بحق آل بيت علي عليه السلام، بالولاية والخلافة، وكان هذا الرجل مولى لجعفر بن محمد الصادق^(٢).

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص ٢٤٦.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٨٢.

تعطيل بعد الأحكام زمن الغيبة عند الشيعة

ذكرنا فيما سبق أن الشيعة تعرضوا في تاريخهم الطويل إلى التشرد والضياع، كما حصل لليهود ما عدا أحقاب تاريخية استثنائية، إذا ما قيس بتاريخهم الطويل، ويعبر الشيعة عن تلك المدة من الضياع بالغيبة، وهي المدة التي غاب عنهم فيها الإمام الثاني عشر، وغياب الإمام يستتبعه عندهم بعض الأحكام الشرعية على تفاصيل واختلاف فيما بين فقهاءهم، ولكن عمومًا قيل: إن تنفيذ الأحكام الشرعية تتعطل منها إقامة الحدود وصلاة الجماعة في المساجد، والجهاد في سبيل الله، خاصة جهاد الطلب وغير ذلك من الأحكام التي عادة ما ينهض بها الإمام.

إن ظهور فكرة ولاية الفقيه أريد بها سد تلك الثغرة من عدم إقامة تلك الأحكام، خاصة حينما توافر للشيعة إقامة دولة، كما هي الحال في إيران اليوم.

لقد ورث المجتمع الشيعي عمومًا عدم الاهتمام بإقامة صلاة الجماعة، حتى في المساجد، وذلك للسبب الوارد أعلاه، فترى حتى في إيران الناس يدخلون فرادى، فيصلون في المساجد ويخرجون، عدا بعض الفقهاء يرى وجوب إقامة الجمعة.

لقد شجع الإنكليز شيعة الهند وإيران أيام الاحتلال البريطاني على فكرة تعطيل الجهاد في سبيل الله، برغم أنه جهاد دفع الاحتلال والغزو الأجنبي.

تحريف اليهود للتوراة

إن تحريف اليهود لكتبهم خاصة التوراة مثبت لا خلاف فيه، فقد ذكرت هذه الحقيقة في القرآن الكريم: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦)، وفي آية أخرى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ (المائدة: ٤١)، وتدل نصوص التوراة نفسها على أن كاتبها غير نبي الله موسى، بل إن النص ينسب بالقول له، ومرة أخرى ينسب القول إلى الرب، وهذا يدل على أنها كتبت بعد عصر موسى بمدة طويلة، برغم ادعاء بعضهم أن موسى هو الذي كتبها، ومن ناحية ثانية أن هناك نصين مختلفين للتوراة: نص التوراة العبرية، ونص التوراة السامرية، وبينهما اختلاف كبير في كثير من المواقع، وقد درس ليكرت تلك الفروق وبين مواضعها واختلاف النص فيما بينها، في التسمية أو الأعداد، أو مجيء نص مجمل وآخر مفصل.

ويرى المستشرق الألماني نولدكه أن التوراة جمعت في عصور مختلفة من كتبة عدة، فقد بدأ جمعها بما يقرب من قرن من الزمان بعد موت موسى، وهذا يفسر احتواء التوراة على جذور ديانة الإسرائيليين الوثنية في عبادتهم للإله يهوه، وهو صنم عند المحققين^(١)، وقد ذكرنا سابقاً نسبة كتابة التوراة إلى عزرا الكاتب، وذلك بعد السبي البابلي المشهور.

تحريف بعض الشيعة لنص القرآن

إن أكثر المتقدمين من الشيعة يرون أن القرآن جرى عليه بعض التحريف زيادة أو نقصاً، وخالفهم قلة في ذلك، حيث يرون أن القرآن هو ما بين الدفتين، وأكثر الشيعة الإمامية المتأخرين على هذا الرأي، وقد

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص، وانظر ص ، من هذا البحث.

حققنا ذلك بالتفصيل في كتابنا جذور التشيع، وعموماً فإن أكثر ما يدور عليه النقصان عندهم هو سقوط النص بولاية علي عليه السلام، فقد أورد الكليني في كتابه الكافي رواية تنص أن الآية الآتية نزلت هكذا: (سأل سائل بعداب واقع، للكافرين (بولاية علي) ليس له دافع) ^(١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي ذكر في معرض تفسيره للآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَدْرِكُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَوْمُنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (النور: ٦٢)، قال: «هذه الآية في سورة النور وأخبار (غزوة أحد) في سورة آل عمران، فهذا دليل على أن التأليف على خلاف ما أنزل الله» ^(٢).

وفي معرض تفسيره للآية: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران: ١٢٣)، قال القمي: قال أبو عبد الله الصادق: ما كانوا أذلة وفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنما نزل: لقد نصركم بيدرو أنتم ضعفاء، وعند تفسيره للآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ (النساء: ٦٤) ^(٣). قال: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك يا علي، واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله تواباً رحيماً» هكذا نزلت ^(٤).

وذكر القمي في تفسيره آية محرفة أخرى، وهي: (لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة). وقال: قال الإمام الصادق: هكذا نزلت، وهم أبو ذر وأبو خيثمة وعمر بن وهب، الذين تخلفوا ثم لحقوا برسول الله صلى الله عليه وآله ^(٥).

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص ٧٠٠.

(٢) القمي: تفسير، ج ١، ص ١٢٥.

(٣) القمي: تفسير، ج ١، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٤) القمي: تفسير، ج ١، ص ١٥٠.

(٥) القمي: تفسير، ج ١، ص ٢٩٧.

كما ذكر القمي أن الآية الآتية نزلت هكذا: (وإذا قيل لهم ما أنزل ربكم في علي قالوا أساطير الأولين)^(١). إن تفسير القمي مليء بالزيادة والتحريف، خاصة ما تعلق بدم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أو ما تعلق بالزيادة في ولاية الإمام علي بن أبي طالب^(٢).

وليس القرآن وحده قد ناله التحريف، ولكن أموراً كثيرة عمد رجال الشيعة وعلمائهم، بأن ينفرد الشيعة عن بقية المسلمين، في أحكام الإسلام، وقد سيطرت هذه الفكرة على الشيعة إلى درجة قول علمائهم المنقول: (خالفوهم فإن الحق ما خالفهم)، ومقتضى الخلاف طبعاً يدفع إلى التحريف والتأويل، فقد لحق التحريف بأبسط الأشياء، حتى في القبلة في الصلاة، حيث قد أمروا بالانحراف في القبلة إلى اليسار على دعوى إصابة القبلة بالحجر الأسود^(٣).

والشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان ٤١٣ هـ) من الذين يرون وقوع التحريف بالقرآن، وفي أثناء كتيبه إشارات على ذلك، منها ما جاء في كتابه (الاختصاص) أن الآية التاسعة من سورة الجمعة نزلت هكذا: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله)^(٤).

نقل إلينا أن فريقاً من الشيعة يدعون بوجود سورة أسموها (سورة النورين)، يزعمون أنها من القرآن، ولكن المخالفين حذفوها منه، وقد تولى الدكتور إبراهيم عوض^(٥)، نشر هذه السورة ودراسة صياغتها اللغوية خاصة،

(١) القمي: تفسير، ج١، ص ٢٨٥.

(٢) القمي: تفسير، ج٢، ص ٢٦٠.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص ١٠ - ١١.

(٤) المفيد: الاختصاص. ص ١٢٩، بيروت ١٩٨٢ م.

(٥) د. إبراهيم عوض: سورة النورين (التي يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم)، دار زهراء الشرق، القاهرة.

أثبت فيها استحالة أن تكون من القرآن الكريم؛ لخروجها عن سياقه، ومعناه اللغوي خاصة، ونورد أدناه نص السورة المزعومة؛ ليطلع عليها القارئ:

نص السورة المزعومة

بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذركم عذاب يوم عظيم * نوران بعضهما من بعض وأنا السميع عليم * إن الذين يوفون ورسوله في آيات لهم جنات النعيم * والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقدفون في الجحيم * ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حميم * إن الله الذي نور السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين * أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم * قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إن أخذني شديد أليم * إن الله قد أهلك عادًا وثمودًا بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون * وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين * ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون * إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون * إن الجحيم مأواهم وأن الله عليم حكيم * يا أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعلمون * قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون * مثل الذين يوفون بعهدي أني جزيتهم جنات النعيم * إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم * وإن عليًا من المتقين * وأنا لنوفيهم حقه يوم الدين * ما نحن عن ظلمه بغافلين * وكرمناه على أهلك أجمعين * فإنه وذريته لصابرون * وإن عدوهم إمام المجرمين * قل للذين كفروا بعد ما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون * يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمنًا ومن يتوئبه من بعد يظهره * فأعرض عنهم إنهم معرضون * إنا لهم محضرون * في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون * إن لهم جهنم مقامًا عنه لا يعدلون * فسبح باسم ربك وكن من الساجدين * ولقد

أرسلنا موسى وهارون بما استُخلفَ فيفوا هارون فصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنناهم إلى يوم يبعثون * فاصبر فسوف يبصرون * ولقد آتينا لك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين * وجعلنا لك منهم وصياً لعلهم يرجعون * ومن يتول عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلا تسأل عن الناكثين * يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهداً فخذوه وكن من الشاكرين * إن علينا قانتاً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوى الذين ظلموا وهم بعبادي يعلمون * سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون * إنا بشرناك بذكريته الصالحين * وأنهم لأمرنا لا يخلفون * فعليهم مني صلوات ورحمة أحياء وأمواتا يوم يبعثون * وعلى الذين يبيعون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين * وعلى الذين سلخوا مسلكتهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون * والحمد لله رب العالمين.

إن أول ظهور لفكرة نقصان القرآن والزيادة فيه ظهرت عند الغلاة من الشيعة، وتسربت آراؤهم وأحاديثهم المنسوبة للأئمة عن هذا الموضوع لكتب الشيعة من المتأخرين، ولم يستطع متقدمو الشيعة الإمامية على العموم التخلص من هذه الأخبار المنسوبة في هذا الباب إلى أئمتهم، بل أثبتوها في أمهات كتبهم، شأنها شأن كثير من الأخبار التي تفرد بها الشيعة عن غيرهم من المذاهب الإسلامية. وقد اعتقد بعض الإمامية بفكرة حصول النقص في القرآن دون الزيادة فيه. وبعضهم الآخر ذهب إلى حصول النقص والزيادة معاً، وقلة من الإمامية ذهب إلى عدم حصول نقص وزيادة، وإنما القرآن هو الموجود بين الدفتين، الذي لا خلاف فيه بين جميع المسلمين كما هو رأي السيد المرتضى. ولشناعة القول بنقص القرآن أو الزيادة فيه فقد كان مادة للإنكار على الشيعة طيلة العصور جرّت عليهم الولايات الكثيرة من خصومهم كما سنفصل ذلك.

عن علي بن الحكم بن هشام بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد عليه السلام وآله سبعة عشر ألف آية»^(١). وفي رواية مطولة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: «.... قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»^(٢).

ويذكر علي بن إبراهيم القمي^(٣) في تفسيره، وهو من أقدم التفاسير عند الشيعة أن: «القرآن منه ناسخ ومنسوخ منه... ومنه على خلاف ما أنزل الله، ومنه رد على من أنكر المتعة والرجعة... ومنه مخاطبة الله عليه السلام لأمر المؤمنين والأئمة...»^(٤). ثم أورد روايات تنسب إلى الإمام أبي عبد الله عليه السلام بأن الآيات الآتية هي القراءة الصحيحة للقرآن، وتفصل كيف أنها على خلاف ما أنزل الله منها: «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

«الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعل لنا من المتقين إماماً».

«له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله».

«لكن الله يشهد بما أنزل إليك (في علي) أنزله بعلمه والملائكة يشهدون».

(١) الكليني، الكليني، ج ٢، ص ٦٢٤ والمعروف أن القرآن ٦٢٣٦ آية.

(٢) الكليني، الكليني، ج ١، ص ٢٤٠.

(٣) معاصر للإمام الحسن العسكري الإمام الحادي عشر توفي سنة ٣٠٧ هـ.

(٤) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج ١، ص ١٧-٢٠. (بيروت ١٩٩١ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات).

وهذا من قبيل ما هو محرف من القرآن كما يقول القمي. ومثله:

«يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك (في علي) وإن لم تفعل فما بلغت رسالته»^(١).

وفي تفسير العياشي، وهو محمد بن مسعود بن عياش السلمي من طبقة الكليني أورد رواية عن ميسر عن أبي جعفر قال: «لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي على ذي حجة»^(٢).

وتتردد روايات كثيرة منسوبة للأئمة بوقوع التحريف في القرآن عن جملة من رجال الشيعة ومفسريهم الأقدمين منهم محمد بن محمد الصفار القمي المتوفى سنة ٢٩٠هـ، وفرات بن إبراهيم الكوفي، وسليم بن قيس العامري، وسعد بن عبد الله القمي، ومحمد بن مسعود العياشي^(٣) وغيرهم كثير من رجال القرن الثاني والثالث، حتى ليخيل للباحث أن هذه هي عقيدة الشيعة الإمامية في القرآن دون خلاف بينهم في تلك المدة.

ولكن بعد الانفتاح الاجتماعي الذي حصل للشيعة في القرن الثالث وما بعده وسيادة مذهب التشيع في الأمصار الإسلامية على يد البويهيين والفاطميين تعرضت عقائد الشيعة للانتشار والبحث بين المسلمين، ظهرت بين بعض علماء الشيعة الإمامية آراء مختلفة أو معدلة أو بعضها متناقض في مسألة نقص القرآن أو الزيادة فيه أو وقوع التحريف فيه، فهذا الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (المتوفى ٤١٣هـ) قد نسب القول في كتابه المسائل السروية:

(١) المصدر السابق، ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) العياشي، تفسير، ج ١، ص ١٢.

(٣) آغا بزرك، الذريعة، ج ٤، ص ٤٨٨ - ٥٠٠.

«...إن الذي بين الدفتين من القرآن جميعه كلام الله وتنزيله، وليس فيه شيء آخر من كلام البشر... غير أن الخبر قد صح عن أئمتنا عليهم السلام أنهم قد أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وألا نتعداه إلى زيادة فيه أو النقص منه إلى أن يقوم القائم عليه السلام، وإنما نهونا عن قراءة ما وردت به الأخبار من أحرف تزيد على الثابت في المصحف؛ لأنها لم تأت على التواتر، ولأنه متى ما قرأ الإنسان بما يخالف ما بين الدفتين غرر بنفسه من أهل الخلاف، وأغرى به الجبارين وعرض نفسه للهلاك، فمنعونا...»^(١).

وقال المفيد في كتاب آخر: «... اتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، واتفقوا على إطلاق البداء في وصف الله تعالى، واتفقوا على أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تحريف القرآن، وعدلوا فيه على موجب التنزيل وسنة النبي عليه السلام»، وقال في موضع آخر «... إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان»^(٢).

ويلاحظ الباحث أن الذين قالوا بحصول التحريف والنقصان من قدماء أوائل الشيعة الإمامية الغالب فيها تدور على آيات متعلقة بالولاية أو متعلقة بحذف أسماء أشخاص، وذلك بإسقاط اسم علي أو الأئمة في رأيهم^(٣). ولكن المتأخرين من الإمامية والذين ذهبوا مذهب هؤلاء وسعوا الخرق، وأوردوا آيات ادعوا سقوطها أو سور بكاملها. وهذه آفة قد عمت

(١) المفيد. المسائل السروية كما حكاها عنه المجلسي في كتابه "مرآة العقول".

(٢) المفيد. أوائل المقالات. ص ١٢ وص ٥٤.

(٣) القمي. تفسير القمي. ج ١. ص ٢٠ - ٥٠.

جميع الفرق، حيث تبدأ الدعوى بسيطة وصغيرة، ربما يكون أصلها مجرد تأويل أو تفسير أو تكون انحرافاً من مفروض، ثم بعد ذلك يتزايد فيها أهل الأهواء، فتتسع جيلاً بعد جيل، وهذا ما حصل تماماً في موضوع دعوى الأوائل، نقلوا رواياتهم في التحريف ولم يعلقوا عليها بالقبول أو الرفض، كما فعل الكليني، وعد سكوته عند بعضهم موافقة منه، وهكذا شأن الشيعة الإمامية لم يستطيعوا تنقية عقائدهم من آراء الغلاة ليس فقط في مسألة التحريف، وإنما هذا الأثر واضح كل الوضوح كما رأينا عند دراسة معتقدات الشيعة. وحينما جاء المتأخرون من بعض علماء الإمامية كانت مهمتهم عسيرة جداً في نفي حصول التحريف كما نرى.

ومن القائلين بالتحريف أيضاً أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي صاحب كتاب الاحتجاج بحصول التحريف في القرآن، وأن القرآن الكامل هو ما كتبه الإمام علي في زمن النبي وتوارثه أبناؤه بعده، وفي هذه النسخة صريح كلام الله تعالى بأسماء من افترفوا الآثام، وارتكبوا الكبائر، وصدوا عن سبيل الله، لكن كتاب القرآن من الصحابة زمن عمر وعثمان غيروها وجعلوها كنايات. ولا يرى الطبرسي مسوغاً لذكر أسماء المبدلين ولا ذكر الزيادة في آيات القرآن؛ لأن في ذلك تقوية لحجج أهل الباطل، فيقول:

«وليس يسوغ من عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب؛ لما في ذلك تقوية حجج أهل التعطيل والكفر... ولأن الصبر على ولاة الأمر مفروض فحسبك الجواب عن هذا الموضع ما سمعت، فإن شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه»^(١).

(١) الطبرسي. الاحتجاج. ج١. ص ٢٧١.

ويقول في موضع آخر من كتاب الاحتجاج: «ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرف وبدل ما يجري في هذا المجال لطلال، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء»^(١).

ومن القائلين بحصول التحريف في القرآن من متأخري الشيعة الإمامية العلامة المجلسي، ونعمة الله الجزائري والحر العاملي والعلامة الفتوني والسيد البحراني وملا محسن الكاشاني وغيرهم.

فقد ذكر محمد باقر المجلسي (توفي سنة ١١١١ هـ) أن عثمان بن عفان رضي الله عنه حذف من هذا القرآن ثلاثة أشياء: مناقب أمير المؤمنين علي وأهل البيت وذم قريش والخلفاء الثلاثة مثل آية: «يا ليتني لم أتخذ أبا بكر خيلاً». وهو يرى أن أخبار التحريف جاءت متواترة ولا سبيل إلى إنكارها، وأنه إذا أسقطنا أخبار التحريف، فإن ذلك يؤدي أيضاً إلى نفس الحجة إلى إسقاط أخبار الإمامة، فلا سبيل إلى ذلك^(٢).

أما نعمة الله الجزائري فقد قال في كتابه: (الأنوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الإنسانية): «إن تسليم تواترها (القراءات) عن الوحي الإلهي وكون الكل قد نزل به الروح الأمين، يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحتها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً، مع أن أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها... والخاص أنه قد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمير المؤمنين بوصية من النبي، فبقي بعد موته ستة أشهر مستقلاً بجمعه، فلما جمعه كما أنزل أتى به إلى المتخلفين بعد رسول الله ﷺ فقال

(١) الطبرسي. الاحتجاج. ج ١. ص ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٢) المجلسي. مرآة العقول. ج ١٢. ص ٥٢٥. طهران. ١٤٠٠. مطبعة الحيدري.

لهم: هذا كتاب الله كما أنزل، فقال عمر بن الخطاب: لا حاجة لنا إليك ولا إلى قراءتك عندنا قرآن جمعه وكتبه عثمان، فقال: لن تروه بعد هذا اليوم، ولا يراه أحد حتى يظهر ولد المهدي، وفي هذا القرآن زيادات كثيرة وهو خال من التحريف... ولما جلس أمير المؤمنين على سرير الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا؛ لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه....»

وقال الجزائري: «إن الأصحاب قد أطبقوا على صحة الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحتها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً والتصديق بها»^(١).

وأما البحراني هاشم (المتوفى سنة ١١٠٨ هـ) فقد قال في مقدمة تفسيره المسمى بالبرهان: «... اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغييرات، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات»^(٢). وحكم على الشيخ الصدوق بأنه قد توهم في رأيه من كون القرآن هو ما بين الدفتين. ويذهب محمد بن مرتضى المشهور بملا محسن الكاشاني (توفي سنة ١٠٩١ هـ) إلى أخطر من ذلك تأسيساً على ما يراه وغيره من تواتر الأخبار المتعلقة بتحريف القرآن، إذ قال: «.... لم يبقَ لنا اعتماد على شيء من القرآن، إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرفاً ومغيراً، ويكون على خلاف ما أنزل الله» فلم يبقَ لنا في القرآن حجة أصلاً، فتنتفي فائدته، ويخطر في البال في دفع هذا الإشكال والعلم

(١) نعمة الله الجزائري. الأنوار النعمانية. ج٢. ص ٣٥٧-٣٥٩ - (طباعة تبريز بإيران).

(٢) البحراني، البرهان. ج١. ص ٣٦. وما بعدها. وقد ذكر واحداً وعشرين حديثاً في هذا الباب جمعها من كتب الإمامية.

عند الله أن يقال: إن صحت هذه الأخبار فلعل التغيير إنما وقع فيما لا يخل بالمقصود^(١)، وفائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به إلى غير ذلك.. وردّ على الذين قالوا بعدم حصول التحريف أو الزيادة والنقص من الشيعة الإمامية فقال: «... كما أن الدواعي كانت متوافرة على نقل القرآن وحراسته من المؤمنين كانت كذلك متوافرة على تغييره من المنافقين المبدلين للوصية...» «... وأما كونه مجموعاً في عهد النبي ﷺ ما هو عليه الآن، فلم يثبت وكيف كان مجموعاً وإنما كان ينزل منجماً»^(٢).

وذهب أيضاً مذهب القائلين بالتحريف أبو الحسن العاملي بن محمد طاهر الفتوني (المتوفى سنة ١١٢٨ هـ) وهو تلميذ محسن الكاشاني ونعمة الله الجزائري اللذين نقلنا مذهبهما سابقاً.

ساق هذا الشيخ رأي القائلين بالتحريف ممن سبق ذكرهم هنا، وحرر رأي النافين للتحريف من الإمامية كالشيخ الصدوق والسيد المرتضى والطوسي صاحب تفسير البيان ورد عليهم، وانتقد رأي القائلين بالتحريف على التفصيل الذي سنورده لاحقاً^(٣).

ومن أشمل المؤلفات وأوسعها في موضوع نقص القرآن والزيادة فيه أو تحريفه عند الشيعة الإمامية ما كتبه حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (١٢٥٤ هـ - ١٣٢٠ هـ) المولود بطبرستان والمتوفى في الكوفة. كتب كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) فجمع فيه ما ذكره سابقوه

(١) الكاشاني: تفسير الصلوة، ج ١، ص ٣٢-٣٤.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥-٣٧.

(٣) انظر: مقدمة تفسير البرهان للبحراني حيث طبع كتاب العاملي هذا معه والمسمى (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) ص ٣٦، طهران، ١٣٧٤ هـ. مطبعة الأفتاب.

في هذه المقالة، فجمع أكثر من ألف حديث غطت معظم سور القرآن منسوبة للأئمة، تتضمن إما نقصاً أو زيادة أو مجرد تحريف في حروف القرآن. وفيه أيضاً رد على القائلين بعدم حصول الزيادة أو النقص أو التحريف، واعتبر رأيه هو المتواتر، وأن هؤلاء لا يعتمد برأيهم؛ لكونه لا سند لهم من حديث كما هو مذهبه.

وقد أحدث هذا الكتاب ردود فعل شديدة، فأنكر عليه بعض علماء الشيعة الإمامية في حينه، ومنهم الشيخ محمود الطهراني في رسالته المسماة (كشف الارتياح عن تحريف الكتاب) كما فعل ذلك كثير من علماء الإمامية^(١) ومنهم من اعتذر له كأغابزرك الطهراني صاحب الذريعة، وذلك برسالة صغيرة أسماها (النقد اللطيف) اعتذر فيها للنوري أنه لم يشتمل كتابه السالف على إثبات التحريف، بل على خلاف ذلك اشتمل على عدم التحريف^(٢).

وناصر النوري فيما ذهب إليه أيضاً جملة من علماء الإمامية منهم من ذكرهم صاحب الذريعة وهم ملا باقر بن إسماعيل الكاجوري في كتابه (هداية المرتاب في تحريف الكتاب). وملا محمد بن سليمان السليمانى والشيخ هادي النجفي في كتابه (محجة العلماء) والخراساني في كتابه (الكفاية)^(٣).

(١) منهم الشريف الشهرستاني في كتابه (نزهة المصنف) انظر: الذريعة. ج ٢٤. ص ١٠٥.

(٢) آغابزرك. الذريعة. ج ٢٤. ص ٢٧٨. ج ٤. ص ٢٤٣.

(٣) آغابزرك. الذريعة. ج ٢٥. ص ١٩١. ج ١٨. ص ٢٧. ج ١٦. ص ٢٣٢. ج ٢٠. ص ١٤٤. ج ٢٤.

ص ١٠٥.

ومن الذين اعتذروا أيضاً أبو محمد الخاقاني حيث وصف النوري بأنه مجتهد، وقد أخطأ في مقولته هذه، وأن للمجتهد حسنة على مجرد اجتهاده. ومنهم كذلك السيد محمد الطباطبائي في تعليقه كتاب (الأنوار النعمانية) للجزائري حيث قال في النوري: «لم يكن غرضه اعتقاد التحريف. وكيف كان ما أجاد تأليفه ولا وافق الصواب في جمعه. وليته لم يؤلفه، وإن ألفه لم ينشره، وقد صار ضرره أكثر من نفعه، بل لا نفع يتصور في نشره، فإنه جهز السلاح للعدو، وهياه وأداه إلى خصماء الإسلام»^(١).

ومن قدماء النافين لحصول زيادة في القرآن أو النقص منه أو التحريف فيه من علماء الشيعة الإمامية الشيخ الصدوق المشهور بابن بابويه القمي والشريف المرتضى والشيخ الطوسي في كتاب التبيان، والطبرسي صاحب مجمع البيان لعلوم القرآن. ومن المتأخرين السيد كاشف الغطاء وأبو قاسم الخوئي ومحمد جواد البلاغي ومحمد تقي الحكيم ومحمد رضا المظفر وغيرهم.

فقد ذكر الشيخ الصدوق وهو محمد بن بابويه القمي (المتوفى سنة ٣٨١هـ) في كتابه (الاعتقادات): «... اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما بأيدي الناس وليس بأكثر من ذلك ومبلغ سوره عند الناس مئة وأربع عشرة سورة، وعندنا أن (الضحى) و(ألم نشرح) سورة واحدة، و(الإيلاف) و(ألم تر كيف) سورة واحدة. ومن نسب إلينا أننا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب»^(٢).

(١) محمد مال الله. الشيعة وتحريف القرآن. ص ١١٥. عمان الأردن. ١٩٨٥. حيث ينقل عن الخاقاني في كتابه (مع الخطوط العريضة). ص ٣٢.

(٢) الطبرسي. مجمع البيان. ج ١. ص ١٥.

أما الشريف علم الهدى المرتضى (توفي ٤٣٦هـ) فقد نقل الطبرسي رأيه في مقدمة تفسيره المعروف بمجمع البيان، فقال عنه: «... القرآن معجزة النبوة ومآخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد». وقال في موضع آخر أيضاً: «إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن... وكان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه، وإن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي ابن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ ختمات عدة، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثور، وإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقولاً أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلا عن المعلوم المقطوع على صحته» وذكر المرتضى: «أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتمد بخلافهم»^(١).

وقال الشيخ الطوسي، وهو محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ)، وهو تلميذ الشيخ المفيد والسيد المرتضى في التبيان في تفسير القرآن: «... وأما الكلام في زيادته ونقصانه، فمما لا يليق به أيضاً؛ لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً في مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الروايات... ورواياتنا متناصرة في الحث على قراءته والتمسك بما فيه، ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه في واقعة عمل عليه، وما خالفه تجنب، ولم يلتفت إليه. وقد

(١) الطبرسي. مجمع البيان. ج١. ص١٥.

روي عن النبي ﷺ رواية لا يدفعها أحد أنه قال: «إني مخلف فيكم الثقليين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعشيرتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض...».

وأضاف الطوسي: «وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر؛ لأنه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا يقدر على التمسك به، كما أن أهل البيت ومن يجب اتباعهم حاصل في كل وقت، وإذا كان الموجود بيننا مجعاً على صحته، فينبغي أن نتشاغل في تفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه...»^(١).

أما أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى سنة ٥٤٨هـ) فقد قال في تفسيره مجمع البيان: «... ومن ذلك الكلام نقص في القرآن وزيادته فإنه لا يليق بالتفسير، فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه، واستوفى فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات... أن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية. إن العلم بتفسير القرآن وأبعاده في صحة نقله كالعلم بحملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني. ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه»^(٢).

(١) الطوسي. التبيان. ج١. ص ٢. ومن شدة اعتدال الطوسي في تفسيره هذا أن بعض الشيعة الإمامية قالوا: إن الطوسي وضعه مسaire لمعوم أهل السنة. وقد التمس أمر الطوسي على السبكي وحاجي خليفة في كشف الظنون وعدوه شافعيًا.

(٢) الطبرسي. مجمع البيان. ج١. ص ١٥. بيروت.

وقال محمد حسين آل كاشف الغطاء: «إن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم، ومن ذهب منهم أو غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص أو تحريف، فهو مخطئ بنص الكتاب العظيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، فإما أن تؤول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار»^(١).

وقال محمد رضا المظفر: «نعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم، فيه تبيان كل شيء وهو معجزته الخالدة.. لا يعتريه التبدل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو القرآن نفسه المنزل على النبي، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبّه، وكلهم على غير هدي، فإنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»^(٢).

ونقل عن أبي القاسم الخوئي رأيين متضاربين: أحدهما يقول فيه: إن المشهور في المذهب عدم حصول التحريف في القرآن^(٣). والثاني يرى فيه القطع بحصول التحريف؛ وذلك لكثرة الروايات التي تقطع بحصوله^(٤). ويرى محسن الأمين العاملي والخنيزي أن روايات التحريف تعد شاذة، وحاول الخنيزي نفي ما ورد عن الأئمة من هذه الروايات.

(١) كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها.

(٢) محمد رضا المظفر، عقائد الشيعة، ص ٣٦. منشورات الحيدرية بالنجف، ١٩٥٤.

(٣) الخوئي، البيان، ص ٢٢٦.

(٤) الخوئي، البيان، ص ٢٢٢.

ويمثل ما اعتذر بعض الإمامية لعلمائهم الأقدمين أو المتأخرين القول بنقص القرآن أو تحريفه، وحاولوا تأويل مقالاتهم كما سبق، فإن بعض شيوخ الإمامية أيضاً حاولوا تأويل مقولة النافين لحصول النقص أو الزيادة أو التحريف في القرآن بالقول على أن هذا الرأي صدر منهم على سبيل التقية، والمحافظة على المذهب ورجاله من أن يبطش بهم المخالفون الحكام. كما احتج البعض أن النافين ليس لهم دليل، بل بالعكس هم يخالفون الروايات المتواترة بنقص القرآن أو زيادته أو تحريفه دون دليل مقبول، وإن رأيهم لا يستند لقول أحد من الأئمة المعصومين، كما هي القاعدة. نقل الشيخ النوري في كتابه السالف (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) أن السيد نعمة الله الجزائري قال: «إن الأخبار الدالة على ذلك تزيد على ألفي حديث، وادعى استفاضتها جماعة كال مفيد والمحقق الداماد والعلامة المجلسي وغيرهم» ونقل أيضاً عنه: «أن الأصحاب قد أطبقوا على صحة الأخبار المستفيضة، بل المتواترة الدالة بصريحتها على وقوع التحريف في القرآن»^(١).

وذكر محسن الكاشاني في (تفسير الصافي): «المستفاد من مجموع هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل...»^(٢).

ونقل النوري عن المجلسي قوله: «...وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأساً، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة، فكيف يثبتونها بالخبر»^(٣).

(١) النوري. فصل الخطاب. ص ٢٢٧. طباعة إيران سنة ١٢٩٨ هـ.

(٢) محسن الكاشاني. الصافي.

(٣) النوري. فصل الخطاب. ص ٢٢٦. وما بعدها.

وقد ذكر السيد نعمة الله الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية) اتفاق الشيعة على فكرة تحريف القرآن واعتراف أن المرتضى والصدوق والطبرسي والطوسي خالفوا هذا الرأي، ولكنه علل ذلك: «.... والظاهر أن هذا القول إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة، منها سد باب الطعن... كيف وهؤلاء الأعلام رَوَوْا في مؤلفاتهم أخباراً كثيرة، تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن...»^(١).

وأما رأي الشيخ الطوسي الناجي للتحريف كما ورد في تفسيره السالف الذكر، فقد ذكر في رد هذا الرأي وإضعافه أن الطوسي ألف تفسيره هذا مماشاة ومدارة للمخالفين، حيث نقل رأي قتادة والضحاك والسدي وابن جريج، ثم قال: «.... ومما يؤكد وضع هذا الكتاب (التبيان) على التقية، ما ذكره السيد الجليل علي بن طائوس في كتابه (سعد السعود)»^(٢).

وذكر الكاشاني راداً على من يقول: إن الكليني في كتابه الكافي والشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتابه (الاحتجاج) إنما كانا ينقلان الأحاديث المروية في هذا الباب، دون ذكر رأيهم في مضمونها، حيث لا يجوز أن نعدّهم من القائلين بحصول النقص في القرآن أو تحريفه، يقول رداً على ذلك: «... أما اعتقاد مشايخنا رحمهم الله في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن؛ لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه (الكافي) ولم يتعرض لقدح فيها مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه يثق بما رواه فيه، وكذلك استأذنه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره مملوء منه وله غلو فيه. وكذلك

(١) نعمة الله الجزائري. الأنوار النعمانية. ج ١. ص ١٥٠ وما بعدها، ج ٢. ص ٣٥٦ وما بعدها.

(٢) التوري. المصدر السابق. ص ٢٢٦ وما بعدها.

الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي قدس سره أيضاً نسج على منوالهما في كتابه (الاحتجاج)^(١).

ونقل الشيخ النوري عن الشيخ أسد الله الكاظمي في كتابه (كشف القناع) أن رأي الشيخ الصدوق في هذا الباب مضطرب، ولا يحصل من فتواه غالباً علم ولا ظن.. ثم قال: «هذا الخبر مأخوذ من الكافي وفيه تغييرات عجيبة تورث سوء الظن بالصدوق، وأنه فعل ذلك لتوافق مذهب أهل العدل»^(٢).

طعن اليهود بأنبيائهم

وبخلاف تقديرهم لأنبيائهم ورجال دينهم، وإضفاء العصمة عليهم، تجرأ اليهود في رمي بعض أنبيائهم بأخس الصفات، التي لا تليق بالإنسان العادي، فكيف بالنبي المرسل؟

جاء في التوراة أن ابنتي النبي لوط، قامتتا بسقيه خمراً، واضطجعتا مع أبييهما دون وعيه، لأجل أن يكثر نسل بني إسرائيل. (انظر سفر التكوين ٣٠ - ٣٦).

ورمت التوراة هارون بصنع عجل من ذهب بني إسرائيل، من أجل أن يعبدوه بعد غياب موسى عنهم (الإصحاح ٣٢ / ١ - ٤).

كما ترمي التوراة النبي داود بالزنى بامرأة أحد جنوده، فيأمر داود بإرسال الجندي إلى ساحة الحرب، فيقتل، فيضرم المرأة إلى نسائه فيما بعد ما حملت منه. (الإصحاح ١١ / ٢ - ٦، وكذلك ١٤ - ١٦).

(١) الكاشاني. الصافي. ص ١٤.

(٢) النوري. فصل الخطاب. الدليل الحادي عشر في إثبات التحريف في القرآن.

وتصور التوراة النبي سليمان بأنه زير نساء إلى درجة أن العشاء قد أمكن قلبه عن الخالق. (الإصحاح ١١ / ١ - ٤).

والنصوص كثيرة في القدح بالأنبياء وبالرَبَّانِيَّين، ووصفهم بكثرة شرب الخمر والسكر، والعريضة، لدرجة أن يضلوا في أحكام قضائهم بين الناس. (الإصحاح ٢٣ / ١١).

طعن الشيعة بأزواج الرسول محمد ﷺ وأصحابه والأنبياء

أورد علي بن إبراهيم القمي، في معرض تفسيره لآية الإفك: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِآيَاتِكَ عَصِيَٰ وَنَكَرُوا﴾ (النور: ١١)، قال: إن العامة (السنة) قالوا: نزلت في عائشة رضي الله عنها، وأما الخاصة (الشيعة)، فإنهم رووا أنها نزلت في مارية القبطية، وما رمتها به (عائشة)، وعلقت جهة التحقيق في الحاشية: (الظاهر أن هناك نقصاً)^(١)، والنقص فيما يبدو هو رمي عائشة رضي الله عنها بهذا الإفك، وأما البراءة من الإفك الواردة في الآية، فهي براءة لمارية القبطية، حيث رمتها عائشة، وأنها ولدت إبراهيم من رجل حبشي، فجاءت البراءة لها في الآية، وليست البراءة لعائشة. كما أن في ذلك طعنًا على رسول الله ﷺ، فإذا كان الاتهام متوجهًا لذلك الحبشي الذي اكتشف علي بن أبي طالب أنه عني أو مقطوع الذكر، فكيف يعلم علي رضي الله عنه شيئًا يجهله رسول الله ﷺ^(٢).

وفي موضع آخر من تفسير القمي، ورد الطعن واللعن على زوجة الرسول ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها جميعًا، كما أورد اتهامًا

(١) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٧٥.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٢٩٢.

لأبي بكر وعمر، وبعض الصحابة عليهم السلام بأنهم قد عزموا أن يضعوا السم للرسول ﷺ، ولكن جبريل أعلمه بذلك ^(١).

ثم أورد القمي في تفسيره للآية: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ﴾ (القم: ١٣)، والآيات بعدها اتهامات للخلفاء الراشدين والصحابة، مما يترفع القلم عن ذكره، قام محقق الكتاب بحذف بعضه، فوضع بدلها نقاطاً أو عبر عن أسماء الخلفاء بفلان وفلان، وهو المشهور والمتكرر في كتبهم على ما يعلمه الدارسون ^(٢).

وهذا قد كتب في آخر القرن الثالث الهجري، ومنه وعن أمثاله نقل صاحب بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي في نهاية القرن الحادي عشر الهجري، ونعمة الله الجزائري، وغيرهم من الشيعة الغلاة.

وعند تفسير القمي للآية: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (الدثر: ١١)، الوحيد ولد الزنا، وهو زفر، ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَمْدُودًا﴾ (الدثر: ١٢) أجلاً إلى مدة، ﴿وَبَيَّنَ شُھُودًا﴾ (الدثر: ١٣) أصحابه الذين شهدوا أن رسول الله ﷺ لا يورث، ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ (الدثر: ١٤) ملكه الذي ملكه، ﴿إِنَّهُ كَانَ لِابْنِنَا عَيْنِدًا﴾ (الدثر: ١٦) ولاية أمير المؤمنين جاحداً ^(٣)، وأترك للقارئ معرفة الاسم المعني هنا بزفر، فهو واضح من سياق الكلام.

وأورد ابن بابويه القمي في كتابه علل الشرائع نقلاً وروايات في حق أنبياء الله، يعلل فيها العقوبة التي حلت بهم، فتبى الله يعقوب عاقبه ربه

(١) القمي: تفسير، ج٢، ص ٣٦١.

(٢) القمي: تفسير، ج٢، ص ٣٦٧.

(٣) القمي: تفسير، ج٢، ص ٣٨٦.

بضياح ابنه المحبوب له يوسف؛ لأنه لم يطعم فقيراً حل ببابه، طالباً سد رمقه من الجوع، وكذلك نبي الله يوسف، عوقب بالسجن؛ لأنه اختاره لنفسه لم يسأل العافية^(١).

ولعل ذلك من تأثير نقولهم من المصادر اليهودية التوراتية عن أنبياء بني إسرائيل.

ومثل ذلك ما نقله ابن بابويه في سبب رمي نبي الله يوسف بالسرقة تأويلاً للآية: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ (يوسف: ٧٧)^(٢)، كما رموا نبي الله يوسف بالتقية، حينما قال للغير: ﴿إِن كُنْتُمْ لَسَرِقُونَ﴾ (يوسف: ٧٠)، اتهمهم بالسرقة، وتقول الرواية وما هم بسارقين^(٣).

كما روي أن يوسف عاقبه الله بقطع نسله، واستمرار نسل أخيه بنيامين؛ لأنه لم ينزل عن كرسي عرشه، حينما قدم أبوه وإخوته إليه، وإنما جعلهم أو تركهم يخرون له سجداً، وكان عليه أن يستقبل أباه ويخر له ساجداً، بعد عذاب الأب الطويل من فقد ابنه^(٤)، ونبي الله موسى لما أمدّه الله بالمعجزات الكثيرة وأغرق فرعون وجنوده ظن موسى أنه يعلم كل شيء، فسلط الله عليه عبداً يدعى الخضر، علمه من علم الله ما لم يكن يعلم، ليدرك شدة جهالته واحتياجه إلى ربه^(٥).

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص ٦٥، وما بعدها.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص ٦٧.

(٣) المصدر السابق: ج١، ص ٦٩.

(٤) المصدر السابق: ج١، ص ٧٢.

(٥) المصدر السابق: ج١، ص ٧٩٢.

وقد طعن كثير من علماء الشيعة بالصحابة والتابعين، والمصادر القديمة تنص على أن المسلمين، بعد وفاة الرسول ﷺ، ارتدوا إلا ثلاثة، أو إلا أربعة^(١).

وقد توارد الطعن في مصادر الشيعة على السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وزوج رسول الله ﷺ، وبهتوها كما بهت اليهود مريم العذراء أم المسيح عليه السلام، وهم على علم بهذا البهتان مخالفين كلام الله، الذي أنزل ببراءتها مما نسب إليها، ويقرب الشيخ الطوسي الإمام علي رضي الله عنه من صورة المسيح، ناسباً القول للرسول ﷺ: «يا علي، إن فيك شبهاً من عيسى ابن مريم، أحبته النصارى حتى أنزلوه منزلة ليس بها، وأبغضه اليهود حتى بهتوا أمه»^(٢).

فكرة الحلول في اليهودية

تؤمن اليهودية بأن الله الواحد قد حل في شعب إسرائيل وباركه، فخصه دون غيره من الشعوب بتلك القداسة والبركة، كما أن الخالق أيضاً حل في أرض إسرائيل، فجعلها مباركة ومقدسة، ويتبع ذلك أن الله كان قد حل في نبيه موسى عليه السلام، فانتقلت تلك القداسة والبركة في نسل موسى والأنبياء بعده.

وقام علماء اليهود بتفسير نصوص التوراة الواردة في حق موسى والرسل الآخرين، وفي حق شعب إسرائيل وأرضهم بما يقتضي بهذه الفكرة، وقامت الفرق اليهودية بتوسيع هذا المفهوم والدفاع عنه بشتى الحجج الفلسفية^(٣).

(١) الشيخ المفيد: الاختصاص، ص ٧٩، ٩، ١٠.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص ٢٦١.

(٣) عبد الوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية، مجلد ٢، ص ٢١، وما بعدها.

ولم تسلم الفرق الإسلامية - وخاصة الصوفية - من تأثرها بفكرة الحلول تلك، وادعت أن الله قد حل بمحمد ﷺ، فتحققت له العصمة، وأصبح ذلك الحلول عبارة عن نور محمدي، ينتقل في الأصلاب، ومن هنا جوز بعضهم الحلول في شيخهم الصوفي عن طريق العبادة والصوم والتجرد ... إلى أن يصل لمرتبة الحلول في الذات الإلهية.

التأويل الباطني عند اليهود

يرى بعض الباحثين أن اليهود أوفرًا منهم، قد تأثروا بالفلسفة اليونانية، وذلك في القرن الأول الميلادي على يد المفكر اليهودي (فيلون)، عمد الفيثاغوريون اليونان إلى شرح قصص الميثولوجيا، وعبادات الأسرار بشكل باطني غنوصي^(١)، وبرع يهود الإسكندرية في الشرق بتأويل التوراة، وذلك بشكل رمزي، ففي شرحهم لسفر التكوين: أن الله خلق العقل في عالم المثال، ومنه خلق الإنسان على شكل آدم، وأعطاه الإحساس (أي حواء)، وانقاد إلى اللذة المرموزة بالحية، التي وسوست لحواء فولدت قابيل رمز الكبرياء، وانتقى منها الخير رمزًا لهابيل.

وأما آباء إبراهيم فرمزهم الكواكب، كما أولوا إبراهيم بأنه التنوير، وسارة حق الفضيلة، ويرى بعض الدارسين أن السبب الدافع لهذا المنهج هو الهروب من المعنى الظاهر للنص؛ لكونه خرافيًا وغير معقول، أو خاطئًا من الأساس وهي وسيلة لتصديق ما بيدهم من توراة.

فالنبي إدريس رمز له بالندم، ونوح والطوفان رمز للتطهير النفسي، والجنة رمز لشجرة الحياة، أما الوعود الواردة فهي مجرد رمز لخيرات

(١) الغزالي: فضائح الباطنية، ص ١١، يوسف كرم: الفلسفة اليونانية، ص ٢٤٨.

روحية^(١)، وقد انتقلت هذه الأفكار إلى بقية المدارس الفكرية في الشرق خاصة في أنطاكية وحران، والرها ونصيبين والحضر والحيرة.

وانتقل التفسير الباطني من اليهودية أول الأمر إلى مذاهب غالية كالخرمية والقرامطة، ثم عم انتشاره في الشيعة الإسماعيلية وغيرهم من فرق الشيعة.

صور بعض أنبياء بني إسرائيل منطبعة بالعرش

ورد في سفر (حزقيال / ١ - ٢٦)، أن صورة النبي يعقوب رفعت إلى عرش الرحمن، وفي صلاة اليهود المعروفة باسم (الهاجادة) يوردون أن صورة الإنسان الموجود في الجزء العلوي من العرش السماوي هي صورة النبي يعقوب التي رفعت إلى العرش.

٣ - أثر اليهودية على الكيسانية من الشيعة

انتقلت أفكار السبئية إلى الكيسانية، عن طريق حركة المختار بن عبيد الله الثقفي بالكوفة، وعبد الله بن حرب، وبيان من سمعان، بل يبدو أن هناك صلة مباشرة بين يهود الكوفة، والمغيرة بن سعيد، وهؤلاء جميعاً أخذوا من اليهودية أفكاراً باطنية، وقد أخذت الكيسانية التفسير الباطني من ابن سبأ في قضية الرجعة، حيث ادعوا برجوع إمامهم وأنه لم يميت.

أما عبد الله بن حرب فينسب له التأويل الباطني المتعلق بالأسباط، ولم يستح بيان بن سمعان، فادعى أنه هو المعني بقوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٣٨)، وينسب إلى أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية بن علي بن

(١) المصدر السابق.

أبي طالب، أن أباه أفضى إليه بأسرار العلوم وتقدير التنزيل، على التأويل وتصوير الظاهر على الباطن^(١)، وعلى هذا النهج سار المغيرة بن سعيد وأبو الخطاب.

فكرة الحلول عند الشيعة

ذكر محمد بن إبراهيم النعماني (أبوزينب) من علماء القرن الثالث الهجري، في كتابه الغيبة، أموراً يتضح فيها الاستعارة من التوراة وقصصها، وأنه يستفيد مما ورد في التوراة، لإقامة الدليل على ما يدعيه، فقد عقد باباً أسماه: (باب ما روي في الأئمة الاثني عشر إماماً، وذكر ما يدل عليه من القرآن والتوراة)، ويذكر النعماني باب الإمامة وصية من الله لجبريل، أخبر بها النبي ﷺ، ليسلمها لعلي بن أبي طالب، وكل إمام يسلمها لمن بعده من الأئمة الاثني عشر^(٢).

وفي موضع آخر يذكر النعماني أن الإمام الغائب فيه سنة من الأنبياء، فهو شبه ييوسف وأنه ابن أمة سوداء^(٣)، وفي موضع آخر وصف النعماني الإمام: «إن الله بعث الإمام علماً لخلق، وجعله حجة على أهل طاعته، ألبيسه تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار، يمد بسبب من السماء لا ينقطع عنه».

ويتحدث النعماني عن نقول من الأحاديث، يذكر فيها أن الإمام الغائب إذا خرج: (يكون جبريل أمامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره...) ^(٤).

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٥١.

(٢) محمد بن إبراهيم النعماني: كتاب الغيبة، ص٢١، وما بعدها، ص٣٩، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٣م.

(٣) المصدر السابق: ص١٠٨.

(٤) المصدر السابق: ص١٥٤.

عبدالله بن ميمون القداح

كان يهودياً من ولد الشلمع من مدينة السلمية بالشام، فأظهر الإسلام، وسكن بالكوفة، وكان من أحبار اليهود، على علم بالنجوم والفلسفة، وكانت دعوته في البداية إلى آل بيت رسول الله ﷺ، وذلك عن طريق التفسير الباطني للنصوص^(١).

وقد عرفت تأويلات ابن القداح الباطنية عند العلماء المسلمين بالديسانية، ونسبت له فرقة بهذا الاسم، تركزت مبادئها الباطنية على هدم الإسلام، والتخفي تحت ستار التأويل الباطني، والانتصار لآل البيت ﷺ^(٢).

فرقة الكبالا (القبالا) اليهودية وعلاقتها بالتشيع

الكبالا فرقة يهودية، والكلمة عبرية تعني: (التلقي عن طريق التقاليد)، أي التلقي بالقبول، وكان منهجها الفكري هو التأويل الباطني الغنوصي، مع مزيج من التعاليم الروحية والفلسفية، ويعتقد الكبالا أن الله كائن مطلق، شاعر بوجوده، ينفث نفسه في عالم الأرواح والملائكة، وأن روح الإنسان تنتقل من جسم إلى جسم، ومردّها إلى الله^(٣).

وقد انتقلت تعاليم هذه الفرقة إلى المسلمين بواسطة فرقة العيسوية، المنسوبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، وقيل: إن اسمه الحقيقي: (عوفيد الوهيم)، وكان زمن الخليفة المنصور، وكان على شاكلته

(١) محمد بن مالك الحمادي: كشف الأسرار الباطنية والقرامطة، ص ١٩٧.

(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية. ٣١٨.

(٣) التشار: الفكر الإسلامي، ج ١، ص ١٨٧.

كثير من اليهود في العراق خاصة، وعند بعض الباحثين أن هذه الفرقة هي سبب نشأة الشيعة الإسماعيلية التي اشتهرت فيما بعد بالتأويل الباطني^(١).

وفي الفرق اليهودية الباطنية أيضاً فرقة المقاربة التي انتشرت أيضاً في ذلك الوقت، وأهم مقولاتها أن للتوراة معنى ظاهراً وباطناً، وهذا المقال تبنته كثير من فرق الشيعة، بل وزحف من الغلاة إلى بعض الشيعة الإمامية، ويمكن الرجوع إلى تفسير القمي، المشهور عند الاثني عشرية، ففيه الشواهد الكثيرة على التفسير الباطني للآيات، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١١)﴾ (الرحمن: ١٩)، أي علي وفاطمة يتزوجان، ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُثُوءُ وَالْمَرْجَاتُ (٢٢)﴾ (الرحمن: ٢٢) أي يولد منهما الحسن والحسين.

التأويل الباطني عند الشيعة

تأثرت بعض فرق الشيعة وبعض روايتهم بمنهج التأويل الباطني اليهودي السالف، والقارئ لكتب التفسير والحديث القديمة يجد بين طياتها إشارات للتأويل الرمزي، منها:

الجنابة: مبادرة المستجيب بإفشاء السر.

الفسل: تجديد العهد.

الزنا: إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد.

الصيام: الإمساك عن كشف السر.

الكعبة: النبي محمد ﷺ.

(١) برنارد لويس: أصول الإسماعيلية، ص ١٥٢، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٢١٦.

الباب: علي بن أبي طالب.

الطوفان: العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة.

نار إبراهيم: غضب الملك نمرود.

ذبح إسحاق: أخذ العهد منه.

عصا موسى: حجته ضد فرعون.

يأجوج ومأجوج: أهل الظاهر.

الجنة والنار: أسماء رجال^(١).

صور أئمة الشيعة منطبعة ومعلقة بالعرش

في كثير من مصادر الشيعة، يرد أن الله خلق آدم من طينة حمأ مسنون، أما خلق محمد الرسول ﷺ، والأئمة فإنه من طينة مختلفة خلقها الله قبل خلق آدم، وجعلها معلقة تحت العرش، ووضع في ظهر محمد ﷺ نورًا، وهذا النور انتقل منه إلى علي والحسن والحسين عن طريق فاطمة، هكذا إلى بقية الأئمة^(٢).



(١) الفزالي: فضائح الباطنية، ص ٦٠، وما بعدها.

(٢) أجناس جولدزيهر: العقيدة والشرعية في الإسلام، ص ٢٠٥.

الفصل التاسع

النقمة على المخالفين

١ - ستحل عقوبة الخالق بالمخالفين عند اليهود

تكرر التعاليم اليهودية انتقام الرب من العصاة والمخالفين، وذلك خاصة في (يوم الرب) (أخبرت هياميم = يوم الآخرة) (انظر حزقيال ١٢ / ٢١). وفي (الإصحاح ٤٩: التكوين).

«... يبرز كوكب من يعقوب، ويقدم صولجان من إسرائيل، فيحطم طرقي مؤاب...» أو «... فيهلك كل نبي الوغى». أو: «يزلزل سائر بني شيت». وجاء في التلمود في باب «السندرين»: «... إن أبانا إلياهو غضوب...» وفي الصلاة التاسعة عشرة التي أضافها صموئيل جاء في بعضها: «... لا تكن رجاء للوشاة بحيث يهلك كل البغاة تَوًّا، ويستأصل كل أعدائك ومبغضيك عاجلاً فتقتلع وتحطم وتدمر ملك الفساد...». ويتكرر الدعاء بالخلاص مما هم فيه من اضطهاد وضيق.

فيكرر وعد الرب في التعاليم اليهودية أنه سينتقم لهم من أعدائهم وجلاديهم ومن آذاهم وقتلهم، وأن عقوبة الرب ستحل بأعدائهم. وبسبب انكسار اليهود واضطهادهم قديماً وما تعرضوا له من مأس ظهر بينهم صلاة ابتدعها رجال دينهم، تسمى صلاة الحزن، تتلى بصوت حزين وعبارات فيها تضرع وانكسار للرب: أن ينقذهم مما هم فيه من ضيق وعنت^(١).

(١) انظر تفاصيل هذه التلاوة الحزينة ونصوصها عند حسن ظاها: المصدر السابق، ص ١٥٧ - ١٦١.

رأي اليهود مخالفاتهم

يرى اليهود عمومًا حسب نصوص التوراة: والتلمود أن مخالفاتهم من الأمم الأخرى إنما هم كفار وثنيون. وقد نص التلمود صراحة على كفر المسيح نفسه. وتبيح التوراة لليهود دماء مخالفاتهم وأموالهم: «... وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب نصيبًا، فلا تستبق منهم نسمة ما» (الإصحاح ٢٠-١٠-١٧).

إن اليهود في مصادرهم يستعملون كلمة (غويم) أو (غوي) للمخالفين من الأمم الأخرى، الذين يستحلونهم، إن تعاليم التلمود أشد وطأة على مخالفين اليهود ليس فقط في استباحة دمائهم وأموالهم، بل عدم جواز مساعدتهم وإنقاذ من يتعرض للهلاك منهم. وقد أباحت التوراة الذهب والفضة والمتاع الذي أخذه اليهود من المصريين في أثناء الخروج خلصة من مصر (الإصحاح: ٢-٢١-٢٢).

وأمرت التوراة اليهود ألا يقطعوا عهدًا، ولا يصاهروا، ولا يشفقوا على مخالفاتهم (التثنية، الإصحاح ٧/٢).

والأمم الأخرى عند اليهود أمم نجسة، قامت طوال الوقت بتنجيس الأرض (الأوبين الإصحاح ١٨/٢٤-٢٨). وبسبب هذه النجاسة يحرم على اليهود طعام المخالفين وأنيتهم. وفي تعاليم التلمود غلو وتشديد على وجوب تجنب أن ينجس المخالف طعام اليهودي أو شرا به أو ملاسه بالملامسة أو عن طريق استعمال تلك الآنية أو الأثاث... وما الأمم الأخرى في نظرهم إلا حيوانات مسخرة لخدمة اليهود.

اضطهاد اليهود

تعكس نصوص التوراة في كثير من المواضع غضب الرب على بني إسرائيل، لما قاموا به من عبادة العجل قديمًا ثم ما قاموا به من مظالم استحقوا عليها

العقوبة من الخالق. وقد تركز الشعور بالذنب والخطيئة عندهم، وبالفوا في تصويرها والعزف عليها واستغلالها لأغراضهم السياسية، وادعاء المبالغة في موضوع المحرقة هو آخر إبداعات الصهيونية؛ ولذا فإن الحزن صفة ملازمة لليهودي أينما حل، حزن على ما فات من تاريخ، وحزن على المجهول من المستقبل^(١). وقد استغل اليهود فكرة معاداة السامية للنيل من خصومهم في العصر الحديث، وأصبحت سبة يخاف منها الساسة الغربيون، فقد أخذت أبعاداً سياسية لخدمة أغراض الصهيونية العالمية^(٢).

اضطهاد الشيعة

بسبب حركات الشيعة السياسية الفاشلة في العصر الأموي والعباسي ظلوا مضطهدين سياسياً، وبقيت عقائدهم سرية، لما فيها من مخالفة لمجموع ما عليه المسلمون. وتعمس هذه الحقيقة ما ورد في تفسير علي بن إبراهيم القمي رواية عن المنهال بن عمرو وعلي بن الحسن بن علي: أنهما سألا الإمام الصادق: كيف أصبحت؟ فرد عليهما: «أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، وأصبح خير البرية بعد محمد يلعن على المنابر و...»^(٣).

ولشدة مراقبة السلطة السياسية لأئمة الشيعة لحقهم الكثير من المضايقات والأذى، وقد بثوا هذه الشكوى لمن حولهم، فنقلت إلينا الروايات الكثيرة الدالة على تبرم الأئمة مما حولهم، إلى درجة أنهم أعدوا ذلك الأذى

(١) محمد يونس هاشم: الدين والسياسة والنبوة. ص ٢١٥.

(٢) عبد الوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية. المجلد الأول ص ١٢٧ وما بعدها.

(٣) القمي: تفسير. ج ٢، ص ١١١.

جزءاً من الابتلاء، فكان لسان حال بعضهم قوله: «لو كان المؤمن على رأس جبل لقيض الله عز وجل من يؤذيه ليأجره على ذلك»^(١).

ولصفات الشيعة السالفة فقد أورثوا في طبيعتهم الحدة، وهو الأمر الذي لاحظته راوي ابن بابويه القمي في علل الشرائع، حيث ذكر ذلك للإمام الصادق، فعلى له ذلك بأن الشيعة أدخلوا النار، فأصابهم منها وهج، فالحدة من ذلك الوهج، أما مخالفوهم فلم يدخلوا النار، فمن ثم لهم سمت ولهم وقار^(٢).

هذا ولكون أكثر الشيعة ليسوا عرباً، وقد كانوا ينبزون بأنهم علوج أو نبط، فإننا نجد رد الفعل في الحديث الذي يرويه ابن بابويه القمي في علل الشرائع رافعاً شأنهم: «المؤمن علوي، لأنه علا في المعرفة، وهو هاشمي لأنه هشم الضلالة، وهو قرشي لأنه أقر بالشيء المأخوذ عنا، وهو عجمي لأنه استعجم عليه الشر، وهو نبطي لأنه استنبط العلم، وهو أنصاري لأنه نصر آل البيت، وهو مجاهد لأنه جاهد بالتيقّة»^(٣).

وتمكس المصادر الشيعية القديمة أن عموم الشيعة كانوا مع اضطهادهم الفكري السالف كانوا فقراء في المجتمع بالنسبة لمخالفهم. ففي كتاب علل الشرائع يعلى ابن بابويه القمي لماذا كان المهر في الزواج عند أبناء جلدته خمس مئة درهم، بينما المخالفون مهورهم أربعة آلاف درهم^(٤).

وحقيقة الفقر في المجتمعات تصاحب الجهل والمرض غالباً. وينقل محمد باقر المجلسي في كتابه بحار الأنوار أحاديث تفيد عمومًا: أن المرض من صفات المؤمن^(٥).

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص٦٠.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص١٠٧.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص١٧٧-١٧٨.

(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص٢١٣.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار: المجلد ص .

وما ذلك في الحقيقة إلا انتكاس للحالة الاجتماعية للشيعة في المجتمع الإسلامي: اضطهاد فكري، و فقر، ومرض. كما يذكر ابن بابويه القمي العلة التي من شأنها أن الرجل هو الذي يدفع المهر للمرأة في الزواج، قائلاً: لأنه يشتريها^(١).

والشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان الحارثي) مع أنه عربي الأصل من حارثة اليمى، ولكنه يمالئ بني بويه حكام العراق، فيذكر صفات المؤمن في حديث منسوب للإمام، ورد بعضه: أن المؤمن أعجمي لأنه أعجم عن الدلام، والمؤمن فارسي لأنه يفرس في الإيمان^(٢).

رأي الشيعة في مخالفيهم

للشيعة مخالفون كثر، ولكن أهم المخالفين الذين يريدون في كتبهم هم (النواصب)، وهم الذين نصبوا الحيلة لتقوية الإمامة على علي بن أبي طالب، ثم من جاء بعدهم ممن لا يقر لهم بعقيدتهم، خاصة ما تعلق منها بولاية علي والأئمة الاثني عشر. وتوصل بعض الأحاديث مرتبة الناصب في بغضه أشد من الذمي غير المسلم، ففي حديث أورده الكليني عن الصادق: أن الشيعي إذا سلم على الذمي فليمسح يده بالحائط، أما إذا سلم على الناصبي فليغسلها^(٣). ويروون عن أئمتهم أن أول شهادة زور وقعت في الإسلام هي شهادتهم: أن صاحبهم مستخلف من رسول الله، وينقلون أن أصحاب علي مثل عمار بن ياسر وسلمان الفارسي استضعفوا فلم يسمع لهم، وينقلون أن سلمان قال: «استضعفوني، كما استضعف بنو إسرائيل هارون»^(٤).

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع. ج ٢. ص ٢١٥.

(٢) المفيد: الاختصاص. ص ١٤٣.

(٣) الكليني: الكافي، الأصول، ص ٦٥٨.

(٤) الكليني: الكافي، الأصول، ص ٦٨٧.

وتمعكس بعض الأحاديث رأي المخالفين في الشيعة أنهم: «أشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا»^(١).

ويستخدم علماء الشيعة تأويل أي القرآن ضد من يكرهون، ففي معرض تفسير الآية: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ قال علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: (يعني) الأول (أبا بكر رضي الله عنه). (يا ليتني اتخذت مع الرسول علياً ولياً. يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً) يعني الثاني (عمر رضي الله عنه). وكان الشيطان يعني الثاني (عمر رضي الله عنه) للإنسان خذولاً^(٢).

وفي كتاب علل الشرائع لابن بابويه القمي ينقل روايات: أن النواصب أنجس من الكلاب ومن اليهود والنصارى حسب نقله^(٣). ونقل حديثين عن الأكراد، ونهى عن مخالطتهم، لأن أصلهم من الجن^(٤).

وينقل ابن بابويه عدة أحاديث عن الصادق أنه يفتي أتباعه الذين لا يجدون من يفتيهم في أمور دينهم في بلد ما إلا قصتين من العامة (السنة)، فيقول لهم: أت مفتي العامة واسأله عن المسألة، ثم خالفه فيها، فإن الحق ما خالفه^(٥).

ويصل الحقد على الناصب إلى إباحة قتله، ولكن بطريقة لا تثبت على قاتله. روى ابن بابويه حديثاً: «عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق) ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم، لكني اتق عليك، فإن

(١) الكليني: الكافي، الأصول، ص ٧٠٨.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٨٩.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ١، ص ٢٤٠.

(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٥) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ٢، ص ٢٤٨-٢٤٩.

قدرت أن تقلب عليه حائطاً، أو تفرقه في ماء، لكيلا يشهد به عليك فافعل. قلت: فما ترى في ماله؟ قال: توه ما قدرت عليه»^(١).

ومنذ القرن الثالث الهجري وعلاقة الشيعة بالترك غير حسنة، ربما لأن الترك لم يتقبلوا التشيع كتقبل الفرس والإيرانيين عموماً.

ففي كتاب الأمالي للشيخ الطوسي حديث منسوب إلى النبي ﷺ يقول: «تاركوا الترك ما تركوكم، فإن أول من يسلب أمتي ملكها وما خولها الله لبنو قنطورين كركره وهم الترك»^(٢). وكراهية الشيعة للترك ربما جاءت من سيطرة الجيش العباسي التركي في سامراء، هذا من جهه، ومن جهة أخرى كراهية الفرس منذ القدم للعنصر التركي، والحروب التاريخية بين الطرفين معروفة، ولم ينتشر التشيع بين الترك إلا متأخراً وبين عناصر أكثرها غير تركية.

وينسب الطوسي قولاً إلى الإمام علي رضي الله عنه مفاده: أن النواصب أشر من الكلب^(٣). ومصادر الشيعة خاصة القديمة مليئة بالهجوم والرد على من خالفهم حتى من أئمتهم.

ومن أوائل ردود فعل الشيعة ضد أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب نجد لها بعض الآثار في مصادر الشيعة القديمة بلا شك، تسجل الخلاف بين الفريقين. فريق اعتزل السياسة واقتدى بأبيه، الذي تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان كما هو معروف. وفريق استمر مقتدياً بأبيه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي ثار على يزيد بن معاوية واستشهد في كربلاء. فقد نقل المجلسي رواية عن الإمام الصادق: كنت

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ٢، ص ٢٢٦.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي الأمالي، بيروت ١٩٨١م.

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٩.

أنظر في كتاب فاطمة فليس فيه ملك إلا وفيه مكتوب اسمه واسم أبيه، فما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً^(١).

وهذه مصادرة في الحال والمستقبل من أن يكون لأولاد الحسن بن علي أي حق في الإمامة والسلطان، وتذهب رواية أخرى إلى حد تصوير أولاد الحسن بأنهم أعداء لأولاد الحسين بن علي. ففي رواية وضعت على لسان الصادق قال: «ليس منا إلا وله عدو من أهل بيته، فقيل: بنو الحسن لا يعرفون لمن الحق، قال: بلى، ولكنهم يمنهم الحسد»^(٢) ولتخلي أولاد الحسن عن مقالة الشيعة المتعلقة بالإمامة، وخاصة تلك التي تحت على الوقوف ضد بني أمية، أو ربما وصل ببعض أولاد الحسن موالة الأمويين ومهادنتهم نجد إنكار هذا المسلك في روايات قديمة، منها ما روي عن ابن يعفور، قال: سمعت أبا عبد الله (الصادق) يقول: «لو توفى الحسن بن الحسن بالزنا والربا وشرب الخمر لكان خيراً مما توفى عليه»^(٣).

وحيث إن الشيعة افترقت بعد وفاة الإمام الحسين منها من قالت: إن الإمام بعده هو ابنه زيد، وله تتسب فرقة الزيدية كما أسلفنا، ومنهم من قال بإمامة ابنه علي، وهذا ما عليه الإمامية «الاثني عشرية»، ويتمثل رد فعلهم ضد الزيدية بما روي على لسان أحد الرواة أنه قد قيل لأبي عبد الله الصادق: إن ظفر زيد وأصحابه فليس أحد أسوأ حالاً عندهم منا^(٤). وهذه المقالة تبدو حال تحفز الإمام زيد بن علي على الثورة ضد الأمويين كما أوضحنا سالفاً.

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٦.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٦.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٦ - ١٨٨.

(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ٢٠٩.

والجارودية فرقة من الزيدية تنسب إلى أبي الجارود، كما أسلفنا في تفصيل ذلك عند بحث فرقة الزيدية، هؤلاء ورد ضدهم وصمة عار بارتكاب الفاحشة من قبل أحد المنتسبين للجارودية، حيث تذهب الرواية إلى أن هارون بن رثاب له أخ جارودي سأل عنه أبو عبد الله الصادق، فقال هارون: إنه مرض لكن لا يقر بولايتكم زاعماً أنه يتورع، فرد أبو عبد الله: أين ورعه ليلة نهر بلخ؟ فلما رجع هارون لأخيه وأخبره... فقال: والله لم يعلم بها أحد غيري وكان مع رفيق له معه جارية قرب نهر بلخ، واحتاجوا ناراً فذهب صاحب الجارية يلتمس النار وأخو هارون ارتكب الفاحشة بالجارية^(١).

وبعد وفاة الإمام جعفر الصادق اختلف الشيعة فيمن هو الإمام بعده فذهب بعضهم إلى أن ابنه محمد هو الإمام وهذه الفرقة تسمى الشمطية، وقال آخرون: بل ابنه عبد الله هو الإمام هؤلاء هم فرقة الفطحية، وقالت فرقة ثالثة: بل ابنه إسماعيل هو الإمام وتوقفوا في الإمامة عنده، وتنسب فرقة الإسماعيلية له، وكذلك فرقة المباركية، في حين كما هو معلوم أن الإمامية "الاثني عشرية" على الاعتقاد بإمامة ابنه موسى، فسموا بالموسوية أو المفضلية، ومنهم القطعية الذين قطعوا بإمامة موسى وأنه مات مؤكداً، ومنهم أيضاً الواقفة الذين قالوا بعدم وفاة الإمام موسى مؤكداً. وقد ذكرنا طرفاً من هذه المقالات في بابها، المهم هنا تسجيل رد الفعل السياسي لهذه الفرقة ضد الإسماعيلية؛ لأنه أقدس الجميع^(٢).

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٤٩.

وتسجل كتب الشيعة رد فعل ضد المرجئة والقدرية ولكن ليس بالقساوة الشديدة. انظر

المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ١٢، ص ١٧

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٧٩.

منها ما روي عن ابن أبي الوليد.. عن الوليد بن صبيح قال: جاءني رجل، فقال: تعالَ حتى أريك ابن الرجل، قال: فذهبت معه، قال: فجاءني إلى القوم يشربون فيهم إسماعيل بن جعفر فخرجت مغموماً... قال: فذكرت ذلك لأبي عبد الله فقال: «لقد ابتلي ابني بشيطان يتمثل في صورته»^(١). وهذا مخرج لطيف يحقق وصمة ضد الإسماعيلية ويبرئ الإمام الصادق وابنه ويلقي اللوم على الشيطان، وينقل المجلسي عن كتاب زيد النرسي وهو من الكتب القديمة رواية منسوبة لأبي عبد الله الصادق قال: «ناجيت الله ونازلته في إسماعيل ابني أن يكون من بعدي، فأبى ربي إلا أن يكون موسى ابني»^(٢).

كما تسجل مصادر الشيعة الإمامية رد فعل ضد فرق غير شيعية مثل المرجئة والقدرية. وتذكر المصادر أن أول من قال بفكرة الإرجاء هو شخص من آل علي، وهو محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، حيث ذكر أنه كان يكتب إلى الأمصار بفكرة الإرجاء، التي من صلبها أن مرتكب الكبيرة لا يكفر، حيث إن الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الإيمان، فلا يزول الإيمان بزوالها^(٣).

وروى الكليني في كتابه «الروضة» رواية طويلة عن الإمام محمد الباقر جاء فيها قول الإمام: «اللهم العن المرجئة، فإنهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة»^(٤).

وأورد المجلسي في كتابه البحار رواية عن سليمان بن رشيد مرفوعة إلى الإمام علي قال: «يحشر المرجئة عمياناً إمامهم أعمى، فيقول بعض من

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٥.

(٢) الحكيم. محسن الطبطبائي الحكيم. مستمسك العروة الوثقى. ج ١. ص ٣٧٤.

(٣) الشهرستاني. الملل والنحل. في هامش ابن حزم. الملل. ص ١٩١.

(٤) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ٤١٨.

يراهم من غير أمتنا ما تكون أمة محمد إلا عمياناً، فأقول لهم: ليسوا من أمة محمد؛ لأنهم بدلوا فبدل بهم»^(١).

وسبب نقمة الشيعة على المرجئة أنهم يرون علياً بالدرجة الرابعة بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة^(٢). كما أن فكرة الإرجاء خدمت الأمويين سياسياً، حيث إن معصية الخليفة الأموي لا تخرجه عن الإسلام.

ومثل هذا وأشد نجده ضد من يسمونهم النواصب، والأصل كما يبدو أن المعنيين بالنواصب الذين في اعتقادهم نصبوا واحتالوا على علي بأخذ الإمامة منه يوم السقيفة، ويخصون بذلك الخليفين أبا بكر وعمر، ثم اتسعت الدلالة على مر العصور وبفعل عوامل البغضاء السياسية إلى أن حصرها السيد محسن الطباطبائي الحكيم في المعاني الآتية:

- ١- إنه من نصب العداوة لأهل البيت.
- ٢- المتدين ببغض علي أو القادح في علي.
- ٣- من ينسب لأحدهم (ويقصد بذلك الأئمة) ما يسقط العدالة.
- ٤- من ينكر فضيلة الأئمة لو سمعها.
- ٥- من يعتقد بفضيلة غير علي.
- ٦- من ينكر النص بإمامة علي بعد سماعه أو وصوله إليه بوجه يصدقه^(٣).

وتتسع فكرة الناصب عند بعضهم إلى رواية موضوعة على فم الصادق رواها المعلى بن خنيس قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «ليس الناصب من

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ١٣.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ٧. ص ٥.

(٣) الحكيم: محسن الطباطبائي الحكيم: مستمسك العروة الوثقى. ج ١. ص ٣٧٤.

نصب لنا أهل البيت؛ لأنك لا تجد أحداً يقول: إني أبغض آل محمد ﷺ، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تقولون بنا وتبرؤون من أعدائنا»^(١).

وعلى هذا التحديد فإن أبناء أهل السنة أو غيرهم إذا انطبق على أحدهم الأوصاف السالفة فهو من النواصب، وإلا فهو مسلم مخالف، وعادة ما يسمون في كتب الشيعة الإمامية بالمخالفين أو العامة وقد قال السيد محسن الحكيم: «المعروف بين أصحابنا إسلام المخالفين»^(٢) وفي تفسير الآية الكريمة «عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ» نقل المجلسي: أن المعنى هم الذين خالفوا دين الله وصلوا وصاموا ونصبوا لأمر المؤمنين... فلا يقبل شيء من أفعالهم^(٣). وفي رواية منسوبة للصادق: أن كل من ناصب وإن تعبد منسوبة لهذه الآية^(٤).

ومن أهم أحكام النواصب عند الشيعة الإمامية أنه لا يجوز تزويجهم. ففي رواية عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عن المرأة العارفة هل أزوجها الناصب؟ قال: لا، الناصب كافر^(٥). وفي رواية أخرى أنه قال: لا تناكحهم، ولا تأكل ذبيحتهم، ولا تسكن معهم^(٦). والحكم الثاني: أن الناصب نجس شأنه شأن اليهود والنصارى والفلاة والخوارج، فالجميع نجس لا يجوز تزويجهم أو الزواج منهم زوجاً دائماً. ومن المعروف أن الإمام علياً قد قاتل الخوارج، فورثت كتب الفقه ردود فعل ضدهم، فمن الفضل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله: إن لامرأتي أختاً عارفة على رأينا وليس على رأينا

(١) الحكيم. مستمسك. ج١. ص ٣٧٠.

(٢) الحكيم. مستمسك. ج١. ص ٣٧١.

(٣) المجلسي البحار. مجلد ٣. ص ٣٩٤.

(٤) المجلسي البحار. مجلد ٣. ص ٣٩٤.

(٥) الطوسي. تهذيب الأحكام (وهو شرح كتاب المقنعة للشيخ المفيد). ج ٧. ص ٣٠٣.

(٦) الطوسي. تهذيب الأحكام (وهو شرح كتاب المقنعة للشيخ المفيد). ج ٧. ص ٣٠٣.

بالبصرة إلا قليل، فأزوجها ممن لا يرى رأيها؟ قال: لا، ولا نعمة، إن الله عز وجل يقول: ﴿فَلَا تَرْجُوهُمْ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾^(١).

كما يوردون خبراً مفاده أن علي بن الحسين كان تحتها امرأة شيبانية خارجية، فلما تبين له أنها تشتم علياً أخلى سبيلها^(٢).

وتقع كتب الشيعة الإمامية في مشكلة تبرير كيف أن الإمام علياً زوج ابنته لعمر وعثمان، وكذلك في تزويج النبي ﷺ ابنته إلى عمر وأبي العاص ابن الربيع؛ لأنهم في نظرهم من النواصب. فالبعض ذهب إلى أنه يجوز تزويج الناصب تقية، ويروون عن زرارة عن الإمام جعفر في تزويج علي ابنته أم كلثوم إلى عمر؛ أن ذلك فرخ غبنائه. وعن هشام بن سالم عن الإمام جعفر قال: لما خطب إليه (خطب عمر أم كلثوم من علي) قال له أمير المؤمنين: إنها صبية، قال: فلقى العباس، فقال: ما لي أبي بأس؟ فقال: ما ذاك؟ قال: خطبت إلى ابن أخيك فردوني، أما والله لأغورن زمزم، ولا أدع لكم مكرمة إلا هدمتها، ولأقيم عليه شاهدين بأنه سرق، ولأقطعن يمينه. فأتاه العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه فجعله له^(٣). والبعض ذهب إلى أن أخبار تزويج النبي ﷺ ابنته إلى عثمان وأن الإمام علياً ﷺ زوج عمر ﷺ إنما هي أخبار آحاد لم تثبت أو أنه زوجه جنية تمثلت أم كلثوم.

وبعضهم ذهب إلى أن تزويج الرسول ﷺ إلى عثمان كان صحيحاً في وقته؛ لأن ذلك قبل إمامة علي ﷺ^(٤). ورواية عن زرارة قال: إن ذلك جائز، حيث كان من امرأة نوح ولوط خيانة لهما^(٥).

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة، المجلد ٧، ج ١٤، ص ٤٢٤.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة، المجلد ٧، ج ١٤، ص ٤٢٥.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة، المجلد ٧، ج ١٤، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٤) عبد النبي الجزائري: الميسوط، ص ٩٥، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٥) الحر العاملي: وسائل الشيعة، المجلد ٧، ج ١٤، ص ٤٣٠.

وعلى العموم، فهذا منزلق خطر يوسع الشقة بين المسلمين، وعائق كبير ضد وحدتهم ومستقبل قوتهم ضد أعدائهم، وإذا كنا نجد المبررات التاريخية القديمة في عداة الشيعة للخوارج أو عداوتهم من كان يسب الإمام علياً في العهد الأموي، فإن ذلك أمر انقضى، ولا يوجد بين ظهرائنا اليوم من يرى رأي الخوارج في علي ولا من يسبه. وتوسيع فكرة الناصب إلى أن تشمل كل من يعتقد بفضيلة غيره، أو ينكر النص عليه، كما هو نص العروة الوثقى أمر يحتاج إلى وقفة تصحيح من علماء الشيعة؛ لأن جمهور المسلمين ومنهم السنة يعتقدون بفضيلة أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً، ومنهم علي، كما أنهم لا يرون أن الرسول ﷺ نص على كون الخلافة له من بعده. أما بقية الصفات المذكورة للناصب فلا أحد من المسلمين يعتقد بها، وترك هذا التصحيح يجعل الباب مفتوحاً لأصحاب الأغراض، ليس فقط لاستغلال ذلك لفرقة المسلمين، بل إلى الزيادة والكذب والتأويل إلى أن يتسع الخرق، فيصعب سده من أصعب المهمات، ولا شك أن كثيراً من رواة الشيعة - لأسباب في أنفسهم - تقولوا على الأئمة ما لم يقولوه، ودونته كتب الشيعة دون مناقشة وتمحيص؛ لأنهم يخافون من رد أي رواية عن الإمام، إلى درجة أن شيخاً مثل الكليني يورد روايات في الحال، حينما يشكل على الشيعة أمر فقهي لا يعلم الرأي فيه، فتقول هذه الروايات الموضوعة على لسان الإمام الصادق أن ينظر إلى العامة (المسلمين من غير الشيعة) فيخالفهم في المسألة التي أشكلت عليه «فإن الحق ما خالفهم»^(١).

والأعمال الصالحة يتقبلها الله من جميع المسلمين دونما تمييز بينهم، ولكن ترد رواية مرفوعة إلى الإمام الصادق أنه قال لمنصور بن الصقيل:

(١) الكليني. الأصول. ص ٢٩ عن زيد العقيدة. ص ٢٣٦.

يا منصور إن أكثرتم أو قللتم فوالله لا يقبل إلا منكم^(١). وهذا من الشطط والضلال.

إن إخفاء الشيعة لعقائدهم وكتبهم منذ صراهم السياسي الأول مع مخالفهم ليس فقط حرمهم فرصة تنقيتها، وإنما يشجع الكثير من مريدهم على المبالغة والكذب، دون أن تنهياً لعلماء الشيعة الحرية أو القدرة على تنقيتها. إن الاضطهاد السياسي الذي تعرض له الشيعة طيلة حياتهم السياسية أوقعهم في دائرة مظلمة جعلتهم يخفون عقائدهم، وتزين الروايات لهم أن ذلك أحب عند الله. ففي رواية عن علي بن سابط قال: أخبرني بعض أصحابنا عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر: يا ابن مسلم، الناس أهل رياء غيركم، وذلكم أنكم أخفيتم ما يحب الله ﷻ، وأظهرتهم ما يحب الناس. والناس أظهروا ما يسخط الله ﷻ، وأخفوا ما يحبه الله. يا ابن مسلم، إن الله ﷻ رآف بكم، فجعل المتعة عوضاً لكم عن الأشربة^(٢).

وفي تعليل لماذا أن الزنا جعل الشارع لثبوته أربعة شهود، وفي القتل شاهدين على الرغم من أن القتل أقطع من الزنا، يأتي التأويل موضوعاً على لسان الإمام الصادق: «إن الله تبارك وتعالى أحل لكم المتعة، وعلم أنها ستكر عليكم، فجعل الأربعة شهوداً احتياطاً لكم، لولا ذلك لا أتى عليكم»^(٣).

(١) المجلسي، البحار، المجلد ١١، ص ١٢٨.

(٢) الكليني، الروضة، مطبوع مع أصول الكافي، ج ١٢، ص ١٥٥-١٥٦. ومن الممكن أن تقهم هذه الرواية بأنها رد فعل لشيعة الكوفة ضد الأحناف الذين أحلوا شراب النبيذ كما هو معلوم من خلاف كتاب الفقه.

(٣) محمد بن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، ص ٣٢٩. وانظر أيضاً كتابه (علل الشرائع)، ص ٥٠٩. المكتبة الحيدرية.

وفي هذا إقتناع للمريدين أنهم دون سواهم على حق. وأن الشارع سبحانه وتعالى قد شرع الأحكام مراعيًا بذلك أفكارهم وعقائدهم.

وحتى لا يطلع الشيعة وخاصة أحداثهم على علوم غيرهم من المذاهب فيتأثروا بها، جمع لنا الحر العاملي ست روايات كلها تنهى عن سماع حديث (العامّة)^(١). وهذا ينم عن خوف الشيعة على مريديهم من أن ينفضوا عنهم، كما يدل على عدم ثقة بما عندهم مقارنة بما لدى غيرهم.

وعند المجلسي في كتابه بحار الأنوار باب في فضائل الشيعة ذكر فيه أنهم: «هم أهل دين الله، وهم على دين أنبيائه، وهم على الحق، ولا يغفر إلا لهم، ولا يقبل إلا منهم».

وذكر روايات عن الأئمة بهذا المعنى منها ما رواه عن الإمام الحسين ابن علي: «ما أحد على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها براء». وأخرى عن الإمام جعفر في حق من هم على غير التشيع، قال: «لا والله ما هم على شيء مما جاء به الرسول ﷺ إلا استقبال الكعبة فقط»^(٢).

وتتفتق عقول الملفقين عن آراء أريد بها استبقاء أفراد الشيعة على هذا الاعتقاد؛ لأنهم دون غيرهم على حق، وسيدخلهم الله الجنة، ويغفر لهم وإن زنى فرد منهم وسرق، كما في تلك الرواية الموضوعة على لسان الصادق^(٣). وهذا خطأ فادح؛ لأن فيه تسهياً على المسلم الشيعي المتهاون في أحكام الله واقتراف الآثام، ما زال أنه مقيم على حب آل النبي ﷺ. وهذا ما هو واقع مع

(١) الحر العاملي. وسائل الشيعة. المجلد ٧. ج ١٥. ص ١٩٦.

(٢) المجلسي.. بحار الأنوار. المجلد ١٥. ص ١٠٢ - ١٢٦.

(٣) المصدر السابق. ١٣٢. ١٤٠.

الأسف، ليس في واقع اليوم، بل هو من القديم سجلته كتب الشيعة في رواية عن عبد الله بن كيسان، قال: قلت لأبي عبد الله (جعفر الصادق): جعلت فداك أنا مولاك عبد الله بن كيسان.. وانني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأخالط الرجل فأرى له حسن السميت وحسن الخلق وكثرة الأمانة، ثم أفتشه فأفتشه عن عداوتكم، وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانته، ثم أفتشه فأفتشه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ قال: فقال لي: أما علمت يا ابن كيسان أن الله أخذ طينة من الجنة وطينة من النار، فخلطها جميعاً ثم نزع هذه من هذه وهذه من هذه، فما رأيت في أولئك من هؤلاء من قلة الأمانة وسوء الخلق والزعارة مما مسهم من طينة النار، وهم يعودون لما خلقوا منه ^(١).

وهذا فيه معذرة لأفراد الشيعة العصاة؛ لأن هذا العصيان ليس منهم، إنما هو من طينة غيرهم، بل ورد ما هو أصرح من ذلك في رواية عن أبي إسحاق الليثي قال: قلت للإمام الباقر... يا ابن رسول الله، أجد في شيعة أمير المؤمنين ومن مواليكم من يشرب الخمر ويأكل الربا ويزني ويلوط ويتهاون في الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد.. فكيف هذا؟.. واني لأجبر الناصب الذي لا شك في كفره يتورع من هذه الأشياء لا يستحل... فكيف هذا؟.. فرد الإمام: إن الله مزج طينتكم بطينتهم، ولو ترك طينتهم على حاله ما عملوا صالحاً ولا... فما تراه من شيعتنا من ربا وزنا ولواط وخيانة وشرب خمر وترك للصلاة والصيام... فهي كلها من عدو ناصب وسبيخه ومزجه الذي مزج بطينته، وما رأيته في هذا العدو الناصب من الزهد والعبادة... فذلك كله من طين المؤمنين وسبيخه ومزاجه، فإذا عرضت أعمال المؤمن وأعمال

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥ ص ٢٤.

الناصب على الله يقول الله عز وجل: أنا عدل لا أجور وعزتي وجلالي... ما أظلم مؤمناً بذنب مرتب من سبغ الناصب وطينته ومزاجه، هذه الأعمال الصالحة كلها من طين المؤمن ومزاجه. والأعمال الرديئة التي كانت من المؤمن من طين العدو الناصب يلزم الله تعالى كل واحد منهم ما هو من أصله وطينته.. فإذا كان يوم القيامة نزع الله من العدو الناصب سبغ المؤمن ومزاجه وطينته مع جميع أعماله الصالحة ويرده إلى المؤمن، وينزع الله من المؤمن سبغ الناصب ومزاجه وطينته و... مع جميع أعماله السيئة ويرده إلى الناصب عدلاً منه ويقول للناصب: لا ظلم عليك هذه الأعمال الخبيثة من طينتك ومزاجك أنت أولى بها، وهذه الأعمال الصالحة من طين المؤمن، وهو أولى بها^(١).

إن هذه إساءة بالغة ليس من قبل هؤلاء الرواة من الشيعة ضد مخالفينهم، ففي أمثاله الكثير في كتب الشيعة، ولكن في ذلك إساءة للأتقياء والعلماء من الشيعة في كل عصر وزمان؛ لأنهم في هذا المنطق وتحت هذا المقياس يستوي الأخيار من الشيعة بأشرارهم، وتختلط الأمور على العقلاء، فينقادون إلى الجهلاء والمغرضين، وفي هذا تبعة ثقيلة على علماء الشيعة في تنقية هذه العقائد والتبرء من أصحابها بعد أن تجذرت في النفوس^(٢).

ونتساءل: من أين للشيعة هذه الأفكار؟ والجواب: هذه نجدها ومثيلاتها لدى اليهود، وفي أقوال الحاخامات وشراح التلمود، وما نقلناه لا يعدو أن يكون نقلاً قام به الموالى الشيعة الذين هم على صلة بالأفكار اليهودية المنتشرة خاصة في المدائن عاصمة الدولة الفارسية التي كان فيها وجود يهودي رسمي في بلاط الشاهنشاه. جاء في تعاليم التلمود: «اعلم أن أقوال الحاخامات هي

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. ص ٢٨-٢٩.

(٢) الكليني. الأصول. ج ١١. ص ٢٨٠.

أفضل من أقوال الأنبياء»، وجاء أيضاً: «الإسرائيلي عند الله أكثر من الملائكة، وإذا ضرب أممي إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت. ولولم يُخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والأرض. والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقي الشعوب»، وجاء أيضاً في تعاليم التلمود: «الأجانب (غير اليهود) كالكلاب، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب... والكلب أفضل من الأجنبي؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجنبي...».

وخلق أرواح الشيعة المنزهة عن أرواح (العامة) مشتقات تماماً من نص تعاليم التلمود القائلة: «تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده». وقد ذكر القرآن مقالة اليهود هذه بأنهم: ﴿أَبْنَوْا لِلَّهِ وَاجْبَوْهُ﴾^١ إن من الأسباب التي جرت الولايات والمشكلات على الشيعة طيلة تاريخهم هي تلك الأفكار الخارجة عن تقبل المجتمع الإسلامي، وعدم ملاءمتها للفكر الذي يدين به المجموع، مما أوغر صدور الآخرين عليهم^(١).

وقد أفزعت فكرة سب الصحابة عليهم السلام أحمد الكسروي الذي كان أستاذاً في جامعة طهران، وتولى قبلها مناصب قضائية عدة، فكتب نافياً صحة ما تردده المصادر القديمة من ارتداد أكثر الصحابة أو سبهم، وقد تعلق بأفكاره هذه بعض أبناء جيله وتلامذته، ويروى أن فعله لم يكن بسبب ديني، وإنما كان للاتجاه المادي ورفض كامل للدين عند جميع الفرقاء على السواء. ومطولات كتب الشيعة بعد أن تبحث أحكام النواصب على عمومهم، فإنها أيضاً تخصص بالبحث الخلفاء الراشدين الثلاثة: أبا بكر وعمر

(١) د. محمد علي البار: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، ص ١١-١٢. الدار السعودية. ١٩٨٧م.

وعثمان رضي الله عنه وتشدد في تكفير الاثنين؛ لأنهما في رأيهم هم أول النواصب الذين نصبوا حيلة في سقيفة بني ساعدة، حيث بايع عمر أبا بكر، وقال له: ابسط يدك أبايعك. فتسبب في ذلك مبايعة الناس لأبي بكر. وتصف رواية الكليني أن الناس ارتدوا عن الإسلام عند مبايعة أبي بكر إلا أربعة، وفي رواية: إلا ستة. وذكر منهم المقداد وسلمان وحذيفة.

وهذا شطط كبير في الحكم على جميع المسلمين، ومنهم صحابة الرسول ﷺ بالكفر؛ لأن الردة عن الإسلام كفر، وكيف يتم مثل هذا الإجماع على هذا الأمر القبيح في العقيدة، ولا يتنبه له إلا بضعة أفراد من الصحابة، وهذا طعن شديد على المسلمين والإسلام معاً ولا يمكن حصوله عقلاً.

ويبدوني أن هذه الروايات وأمثالها في تكفير الصحابة وعلى الأخص الشيعيين، وتلك التي تأمر بسبهما والبراءة منهما وضعها رواة الشيعة في مدة احتدام الصراع السياسي في العصر الأموي وما قبله من اقتتال بين أصحاب علي وأصحاب معاوية. وقد كانت الكيسانية وما تفرع عنها من فرق شيعية غالية قد توسعت في سب الصحابة خاصة بعد خروج المختار بن عبيد الله الثقفي.

إن مصادر الشيعة في أغلب الأحيان لا تورد اسم أبي بكر وعمر صريحاً حينما يتعلق الأمر بسبهما أو لعنهما أو تكفيرهما، وإنما تورد اسم كنايات أو إشارات مثل لفظة (الرجلين) أو (صنمي قريش) أو (الجبت والطاغوت) أو (فرعون وهامان)، وذلك حماية لنفس كاتبها وألا يتعرض للمساءلة. أما تلك المصادر التي كتبت في مدة ساد فيها التشيع، وأمن فيها المؤلفون من الشيعة، فقد يرد اسمهما صريحاً، كما في بعض المصادر التي كتبت في العصر البويهى أو الصفوي.

أورد الكشي في كتابه (الرجال) رواية أسند آخرها إلى داود بن النعمان، قال: دخل الكميث بن زيد الشاعر المعروف على الإمام الصادق، فأنشده... فقال الكميث: يا سيدي، أسألك عن مسألة.. ثم قال: أسألك عن الرجلين؟ فقال «يا كميث بن زيد، ما أهرق في الإسلام محجة من دم ولا.. إلا وذلك في أعناقهم إلى يوم قائمتنا، ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما والبراءة منهما»^(١).

وقد تأول المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) قول الإمام الحسين لمنهال ابن عمرو: «وأصعابنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا»... قال المجلسي: «فلما تقدم استدلال علي أن المراد بفرعون وهامان وجنوده أبو بكر وعمر وأتباعهما»^(٢).

وعند المجلسي في كتابه (البحار) (باب كفر المخالفين والنصاب)^(٣). حيث جعلهما في حكم واحد، وهذا خلاف ما عليه أكثر علماء الشيعة ومحققيهم، والسبب في ذلك أن المجلسي كتب (البحار) في مدة احتدام القتال بين دولة الصفويين الشيعية ودولة الأتراك السنية، وهذا يفسر ورود اللعن صريحاً باسمي الشيخين في كثير من مواضع الكتاب، منها ما نقله المجلسي من كتاب (تقريب المعارف) لأبي الصلاح الحلبي (عن أبي علي الخراساني عن مولى لعل بن الحسين قال: كنت معه في بعض خلواته فقلت: إن لي عليك حقاً إلا تخبرني عن هذين الرجلين عن أبي بكر وعمر؟ فقال: كافرين، كافر من (أحبهما))^(٤). كما أورد المجلسي رواية عن أبي حمزة

(١) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص ٢١٣-٢١٤.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١٥ القسم الثالث. ص ١٤.

(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ١٤.

الثمالي أنه سأل الإمام علي بن الحسين عنهما فقال: «كافران، كافر من تولاهما»، ثم قال: وتناقل الخبر عن علي بن الحسين ومحمد بن علي بن جعفر بن محمد من طرق مختلفة أنهم قالوا: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزيكهم، ولهم عذاب أليم: من زعم أنه إمام وليس بإمام. ومن جحد إمامة من الله. ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً»^(١). ويروي المجلسي تعليلاً لما إذا سمي أبو بكر بالصدّيق وعمر بالفاروق عن الإمام الصادق: «أن الرسول ﷺ سمي أبا بكر بالصدّيق لما كشف الرسول ﷺ له أن يرى سفينة بني عبد المطلب تضطرب، فلما رآها أبو بكر أضمر في نفسه أن الرسول ﷺ لساحر، فقال له الرسول ﷺ: صدّيق أنت».

وعمر سمي بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل وأخذ الناس بالباطل^(٢). ومثل هذه الروايات كثيرة في كتب القدماء والمتأخرين من الشيعة، ولكن بالنسبة للباحث النزيه المتجرد من الهوى، لا يمكن له أن يفهم النص دون معرفة الظروف التي قيل فيها، ولكن مبدئياً ننزه أياً من الأئمة علي وبنيه من أن يقولوا مثل ذلك في أبي بكر وعمر، ولكن لا أستبعد أن يخرج ذلك من أتباع الشيعة، كما ذكرت إبان الفتنة الكبرى بين المسلمين في العصر الأول، فمن أحل أن يقتل يحل أن يشتم ويكفر من باب أولى؛ لأنه لم يقاتل إلا من اعتقد بخروجه عن الإسلام، وهذا شأن كثير ممن دخل في معركة الجمل وصفين والنهروان، جميعهم مسلمون، ولكن الكثير يشتم ويكفر بعضه بعضاً، منهم المتأولون ومنهم أصحاب الأهواء والأغراض السياسية، ففي حرب الجمل بين علي وعائشة ﷺ قال الراوي: وجعل

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ١٤.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ٢١٨-٢١٩.

يسير بي حتى أتينا عائشة عليها السلام، فسمعت سب عثمان رضي الله عنه علانية فبكيت، فقلت: لا أقيم في بلد يسب فيه عثمان رضي الله عنه علانية^(١).

ففي هذه المعارك الكبيرة التي قاتل المسلمون بعضهم بعضاً، أفرزت مقالات وحججاً لكل منهم ضد الآخر، استخدم فيها الجميع كل ما أوتي من برهان يصلح له تأويل من القرآن أو الحديث أو المنطق، ثم دخل في هذه الاحتجاجات أناس ورواة لا يخافون الله، كل همهم إرضاء السامع وبيع ذمهمم بأبخس الأثمان. فإذا كانت وقعة الجمل قد قتل فيها ما يزيد على خمسة عشر ألف قتيل فعليك أن تقدر عظم المأساة والقتلى في صفين والنهروان^(٢). وما نتج عن ذلك من تمزق وشتات بين المسلمين في مدة لم تكن بالقصيرة، فلما استقرت الخلافة إلى معاوية وتنازل له الحسن بن علي تنفس المسلمون الصعداء واستبشروا خيراً، وسموا ذلك العام عام الجماعة، حققت فيه دماؤهم، وتصالحوها فيما بينهم، ولكن نتائج هذه الحروب ومآسيها صبت على رأس المنهزم الأخير، مهما قيل عن شرعية وجوده وقتاله، وهكذا ظهر تيار كبير في بداية العصر الأموي يعزو ما حدث للمسلمين للإمام علي وأتباعه.

روى الشيخ المفيد في أماليه أن رجلاً سأل ابن عباس عن علي، فذكره مادحاً إياه: «لم يشرك ولم.. ولم.. فقال الرجل: لم أسألك عن هذا، وإنما سألتك عن حمله السيف على عاتقه يخاله ويختال به حتى البصرة، فقتل أربعين ألفاً، ثم سار إلى الشام فلقى حواجب العرب فضرب بعضهم بعضاً حتى قتله، ثم أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم...»^(٣).

(١) الشيخ المفيد. الجمل. ص ١٧٨.

(٢) الفتنة ووقعة الجمل. رواية سيف الضبي. جمع أحمد راتب عرموش. ص ٢٤ وما بعده. بيروت ١٩٨٤م.

(٣) الشيخ المفيد. أمالي المفيد. ص ١٤٦.

وأدى الخصام السياسي بالأمويين إلى وضع أحاديث وروايات ضد علي وأصحابه^(١) كما قام العباسيون فيما بعد بوضع أحاديث في سب معاوية والأمويين^(٢) وهكذا فإن واقعة سب الإمام علي وأصحابه في العصر الأموي تثبتتها الكثير من المصادر غير الشيعية، سواء على المستوى الرسمي من قبل الأمراء الأمويين أم على المستوى الشعبي بعد أن شاع موضوع الشتم على الأتفواه. ذكر المسعودي رواية تفيد أنه «لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد بن عباد، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سرير، ووقع في علي عليه السلام، وشرع في سبه، فرجف سعد، ثم قال: أجلسني معك على سريرك، ثم شرعت في سب علي، والله لا أكون في خصلة واحدة من خصال علي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس»^(٣).

وبطبيعة الحال، فإن هذا الشتم كان يؤذي آل علي، فقد ذكر الطبري عن المنهال بن عمرو قال: دخلت على علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: ما كنت أرى شيخاً من أهل المصر مثلك، لا يدري كيف أصبحنا، فأما إذا ما تدري أو تعلم فأخبرك: أصبحنا في قومنا كمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرب إلى عدونا بشتمه أو سبه على المنابر، وأصبحت قريش تعد أن لها الفضل على العرب؛ لأن محمداً منها....^(٤)

(١) الطبري. تاريخ. ج٢. ص ١١٢.

(٢) الطبري. تاريخ. ج ٣. ص ٢١٧ وما بعدها.

(٣) المسعودي. مروج الذهب. ج ٥. ص ٤٠. ابن عدي. العقد الفريد. ج ٤. ص ٣٦٦.

(٤) الطبري. المنتخب. ج ١٣. ص ٨٩.

ولم يكن لآل علي حول ولا قوة للرد على خصومهم حينذاك. روى الطبري عن سالم مولى أبي جعفر قال: كان هشام بن إسماعيل يؤذي علي ابن الحسين وأهل بيته، يخطب بذلك على المنبر، وينال من علي، فلما ولي الوليد بن عبد الملك عزله وأمر به أن يوقف للناس، قال: فجمع علي بن الحسين ولده وحاشيته ونهاهم عن التعرض له^(١).

وفي رسالة الجاحظ المتعلقة بفضل هاشم على عبد شمس انتقاد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان حيث قال: «... حسبك من جهله أنه رأى من أبلغ التدبير في منع بني هاشم الخلافة أن يلعن علي بن أبي طالب على منابر، ويرمى بالفجور في مجالسه، وهذا قرة عين عدوه وعين وليه...»^(٢).

وذكر ابن عدي رواية تفيد أن محمد بن هشام حج سنة من السنين فنزلت رفقة بجانبه فيها رجل كبير، فقيل له: إنه عراقي من الكوفة فاستدعاه محمد بن هشام وأمره بلعن علي، فقال: أو ما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك، فمن هو خير مني فيمن هو شر من علي؟ قال: وما ذاك قال: الله وهو خير منك في عيسى وهو خير مني في النصارى وهم شر من علي، إذ قال: ﴿إِنْ تَعَدَّيْتُمْ فَلَأَتَّيْمَنَّ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَاِنَّكَ أَنْتَ أَلَمَزِيرُ الْحَكِيمِ﴾^(٣).

ورواية أخرى تذكر أن معاوية جالس ومعه الأحنف بن قيس (وهو من أصحاب علي) إذ دخل رجل من أهل الشام فتكلم وسب علياً فرد الأحنف: اتركوا علياً في قبره.. فقال معاوية: والله لتلعننه على المنبر، فأبى الأحنف فتركه معاوية^(٤). وأخرى تذكر أن معاوية أمر عقيلاً أن يلعن علياً، فقام

(١) الطبري. المنتخب، ج ١٣، ص ٨٩.

(٢) الجاحظ. آثار الجاحظ، ص ٢١٦. الطبعة الأولى ١٩٦٩.

(٣) ابن عبد ربه. العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٨.

عقيل على المنبر، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله. فقال معاوية: إنك لم تبين؟ فقال: الكلام على نية قائله^(١).

ويؤكد ابن عبدربه في العقد الفريد أن معاوية كان يلعن علياً على المنبر، وكتب إلى عماله في الأمصار أن يلعنوا علياً على المنابر، وقد فعلوا ذلك^(٢).

والخلفاء العباسيون على علم بما كان يفعله الأمويون في سب الإمام علي، فقد ذكر أن محمد بن عبد الله بن حسن (العلوي) لما خرج في المدينة على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور جرى بينهم كتب متبادلة احتج فيها محمد بن عبد الله بقرابته من رسول الله ﷺ وبأمور أخرى، فرد عليه المنصور، وكان مما ورد في قوله: «وابتلى بالحرب أبوك فكانت بنو أمية تلغنه على المنابر، كما تلغن أهل الكفر في الصلاة المكتوبة، فاحتججنا له وذكرنا فضله وعنفتناهم وظلمناهم فيما قالوا فيه»^(٣).

واستمرار السب لعلّي زمن الأمويين جعل المجتمع يستمرئ مثل هذا العمل، ويقبل به، وقلما يحصل منكر لذلك، وذلك لغلبة السلطان. ذكر المسعودي في مروج الذهب: أن ابن عباس وقد كان أعمى في حينه سمع قوماً يسبون علياً، فقال لقائده: أدنني منهم، ثم قال لهم: أيكم الساب لله؟ قالوا: نعوذ بالله قال: أيكم الساب لرسول الله؟ قالوا: نعوذ إليه، قال: أيكم الساب لعلّي؟ قالوا: أما هذا فتعم، قال: أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سبني فقد سب الله، فمن سب علياً فقد سبني، فأطرقوا^(٤).

(١) المصدر السابق. ج٤. ص ٢٨.

(٢) المصدر السابق. ج٤. ص ٣٦٦.

(٣) المصدر السابق. ج٥. ص ٨٤.

(٤) المسعودي. مروج الذهب. ج٤. ص ٤٥١.

ويبدو أن ذلك لم يكن يحصل إلا من أهل الزلفى وأهل الجهالة أو من صفار لا يعلمون من هو علي بن أبي طالب. وقد ذكر أن سبب ميتة أبي العباس بن محمد أحمد الملقب بأبي العبر، وهو شاعر أحرق أنه كان هجاء، وقد خرج إلى أرض الكوفة، فسمعه بعض أهلها يقول في علي قولاً قبيحاً، فقتله هناك^(١).

ولما ولي الخليفة الأموي العادل عمر بن عبدالعزيز أمر بالكف عن سب علي بعدما أصبحت عادة، فمدحه الشعراء على ذلك، فقال فيه كثير عزة:

وليت فلم تشتم علياً ولم تحف برياً ولم تتبع مقالة مجرم

وقد أنكر الشاعر عبيد الله بن كثير السهمي على خالد بن عبد الله القسري وكان والياً للأمويين على مكة، وكان يسب علياً والحسن والحسين على المنبر. قال عبيد الله السهمي:

لعن الله من يسب علياً وحسيناً من سوقة وإمام

يأمن الطير والحمام ولا يأمن من آل الرسول عند المقام

وينسب لعبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يلعن علياً رضي الله عنه ويقول: إن علياً رضي الله عنه قتل جدي الزبير وعثمان^(٢).

(١) الأصفهاني. الأغاني. ج ٢٠. ص ٩٣ النسخة القديمة.

(٢) الجاحظ، فضل هاشم علي ابن عيشم. رسائل الجاحظ، ص ٢١٤-٢١٥. الطبعة الأولى. ١٩٦٩م.

ورأي الخوارج معروف في علي وعثمان عليهما السلام وهو أنهم يكفرونهما، ومن يتولاهما^(١). وكان السيد الحميري الشاعر المعروف من أبوين خارجيين، ولكنه يتشيع لعلّي فقال يهجو والديه:

لعن الله والديّ جميعاً ثم أصلاهما عذاب الجحيم
حكما غدوة كما صليا الفجر بلعن الوصي باب العلوم
لعنا خير من مشى فوق ظهر الأرض أو طاف محرماً بالحطيم^(٢)

ويذكر المسعودي في أخبار عمر بن عبد العزيز أنه ترك لعن علي عليه السلام على المنابر وجعل مكانه: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ» وأنه كتب إلى عامله على المدينة أن يقسم في ولده عشرة آلاف دينار.. وقال له: «... فطالما تعديتهم حقوقهم»^(٣).

(١) يوضح هذا النهج للخوارج كتاب نافع بن عبد الله بن عبد الله زعيم فرقة الأزارقة، وهم من الخوارج إلى عبد الله بن الزبير يدعوه إلى الأخذ برأي الخوارج، قال: «أما بعد: فإنني أحذركم من الله ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْتَضَرًا﴾..... فاتق الله ربك، ولا تتول الظالمين، فإن الله يقول: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾». وقد حضرت عثمان حين قتل، فلمعري لئن كان قتل مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه، ولئن قاتلوه مهتدين وإنهم مهتدون - لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده. ولقد علمت أن أباك وطلحة وعلياً كانوا أشد الناس عليه، وكانوا في أمره بين قاتل وخاذل، وأن تتولى أباك وطلحة وعثمان... ولقد ملك علي بعده فتنة الشبهات وأقام الحدود... فبايعه أبوك وطلحة ثم خالفاه ظالمين له، وإن القول فيك وفيهما لكما، قال ابن عباس: إن يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمناً، أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل. ولئن كان كافراً كما زعمتم وفي الحكم جائر لقد بليت غضب من الله، لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدواً...»

انظر الكامل للمبرد. ج ٢، ص ١٠٢٧. البابي الحلبي. مصر. ١٣٥٦ هـ.

(٢) السيد الحميري، ديوان شعر السيد الحميري، مكتبة الحياة، بيروت، ص ٣٩١-٣٩٣.

(٣) المسعودي. مروج الذهب. ج ٥، ص ٤١٩، ٤٢١.

وليس الشعر والشعراء وحدهم عكسوا الواقع الشائع المتعلق بلعن علي أو سبه، بل أيضاً مجالس القضاء قد شهدت أحكاماً في هذا الصدد. فقد ذكر القاضي وكيع في كتابه أخبار القضاة أن سالم بن إبراهيم بن أبي بكر ابن عياش نازع أحد الأشخاص في إمامة علي بن أبي طالب، فاتهمه خصمه بسب علي... فحدث إنكار لهذه الواقعة وطالب الناس بقتله.. ولكنه عوقب بالجلد ثلاثين جلدة، وكان محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين حاضراً في مجلس هذه القضية^(١).

كما أن بحوث الفقهاء تناولت مسألة اللعن، وعما إذا كان داخلاً في الوعيد الذي ذكره الرسول ﷺ لمن يسب أصحابه، فقد ذكر ابن تيمية أن من لعن بعض السلف الصالح عدّ داخلاً في الوعيد وإن كان متأولاً^(٢).

ثم هل اللاعن يعدّ فاسقاً؟ فإن كان فاسقاً بهذا يخرج من الإمامة أو القضاء؟ ذكر السرخسي وهو حنفي المذهب: أن الفسق لا يخرج صاحبه من الإمامة والسلطنة، فإن الأئمة بعد الخلفاء الراشدين قلما يخلو واحد منهم عن فسق، فالقول يخرج من أن يكون إماماً بالفسق يؤدي إلى فساد عظيم، ومن ضرورة كونه أهلاً للإمامة كونه أهلاً للقضاء...^(٣).

وهكذا يبدو أن واقعة سب الإمام علي في العصر الأموي لها دوافع سياسية واضحة، وكان عمر بن عبد العزيز أول خلفاء الأمويين الذي أوقف السب؛ لغلبة تدينه وعدله على دوافعه السياسية. فقد حكى هو عن نفسه: أنه كان غلاماً يقرأ القرآن على شيخ من أولاد عتبة بن مسعود، فمر الشيخ بعمر

(١) وكيع. أخبار القضاة. ج٢. ص ١٩١-١٩٢.

(٢) ابن تيمية. رفع الملام. ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) السرخسي المبسوط. ج٥. ص ٣٢.

يومًا وهو يلعب مع صبية يلعبون عليًا، يقول عمر: فجئت إليه فأعرض عني، ثم قال: أنت اللاعن لعلي؟ قلت: نعم، قال: متى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟ فقلت: وهل علي من أهل بدر؟ ثم قلت: لا أعود. ثم ذكر عمر أنه كان يحضر الجمعة مع والده الذي يخطب على منبر المدينة، ويقول عن والده: إنه إذا مر على موضع لعن عليًا من الخطبة تلثم، فكان يعجب لذلك، فسأله يوماً فقال له أبوه: إن من ترى من تحت منبري من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. قال عمر: فوقرت كلمته في صدري، فأعطيت الله عهداً لأغيرنه إن كان لي بهذا الأمر نصيب. وقد قال الشريف الرضي في حق عمر بن عبد العزيز:

أنت نزهتنا عن السب والقذف فلو أمكن الجزاء جزيتك^(١)

وما سلف من تحقيق اعتمادنا فيه على مصادر غير شيعية، أما مصادر الشيعة فتذكر موضوع لعن علي وسبه بشيء من المراهة، ولا تخلو من زيادات ومبالغات. ويعد من يشتتم عليًا في كتب الفقه الشيعية أنه ناصبي إلا أن يفعل ذلك تقية، وقلبه مستقر على محبة علي^(٢).

اعترف بعض محققي الشيعة أن الروايات الدالة على النصب وأحكامه السالفة روايات لم تصح أسانيدھا، وإنھا مخالفة للمشهور من الأصحاب، وإنھا متعارضة فيما بينها^(٣).

(١) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. ج٤. ص ٥٨ - ٥٩.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٦. ص ٢٢٤ - ٢٢٦، الحر العاملي. وسائل الشيعة. مجلد ٧. ج ١٤. ص ٤٢٥. ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. ج٤. ص ٥٨ - ٦٢، وكذلك انظر ج ٥. ص ١٣١.

(٣) الحكيم. المستمسك. ج ١. ص ٢٧٢.

الكذابون على أئمة الشيعة حسب رواية الكشي في الرجال^(١) عن ابن
سنان عن الصادق:
مسيلة: يكذب على رسول الله ﷺ
عبدالله بن سبا: يكذب على علي بن أبي طالب عليه السلام.
المختار: يكذب على الحسين بن علي عليه السلام.
ثم ذكر الصادق الكذابين:
الحارث الشامي.
بيان.
المغيرة بن سعيد.
بزيغا.
السري.
أبو الخطاب.
معمّر.
بشار الشعيري.
حمزة البريدي.
صائد النهدي.

وقد نقل أبو سعيد نشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ) في كتابه الحور العين
عن أبي طالب في كتاب الدعامة: «أن كثيراً من أسانيد الاثني عشرية
مبنية على أسام لا مسمى لها من الرجال...»^(٢). ونحاول أن نستعرض تلك
الأسماء، ونلقي الضوء على الدور الذي قاموا به في النقل والكذب من جهة،
ومن الاستعارة من الأفكار اليهودية.

(١) الكشي: رجال. ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٠٧. ط ٢ عام ١٩٨٢، بيروت.



البَّابُ الثَّالِثُ

وسائل انتقال الفكر اليهودي إلى التشيع المغالي



الفَصْلُ الْأَوَّلُ

بعض الرجال

عبد الله بن سبأ،

تجمع مصادر الشيعة القديمة فضلاً عن مصادر السنة على وجود هذه الشخصية، والدور الذي قامت به في الفتن الأولى بين المسلمين منذ مقتل الخليفة عثمان، كما أوردنا تفصيل ذلك في موضعه.

والحقيقة أنه لم يكن لعبد الله بن سبأ - اليهودي الأصل - وأفكاره وحدها الأثر في المسلمين، وإنما هناك أسماء عدة، ولكن لشهرته في موضع الفتنة والحرب بين المسلمين تركزت حوله الأنظار منذ القديم، وتناقلت المصادر أخباره وأفكاره، وعمت أفكاره على مجموع المعارضين آنذاك، كما أن فرق الشيعة ليست وحدها في وقوع أفكارها تحت تأثير بعض الشخصيات اليهودية، وإنما الحال قد حصل عند الشيعة وغيرهم من الفرق، كل حسب معتقده والظروف المحيطة به آنذاك، وربما لم يحفظ لنا التاريخ كل الشخصيات المؤثرة لسبب أو لآخر.

إن من المحقق عند المؤرخين اتصال العرب قبل الإسلام ومعرفتهم للشعوب السامية، وخاصة العبرانيين عن طريق قبائل الشمال (سوريا)، ثم عن طريق الجنوب (اليمن) والعراق، حيث انتشرت في هذه المناطق التعاليم اليهودية والنصرانية، وكانت كتبهم في متناول الراغبين وأخبار اليهود والنصارى وبيوتهم الدينية على تماس بالعرب على قدر مختلف^(١). فقبايل

(١) جواد علي، العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٧٤-٢٨٩.

وسط الجزيرة العربية أكثر بعداً عنهم، بينما القبائل العربية في اليمن والعراق ومصر والشام كانت أكثر قرباً واحتكاكاً بهذه التعاليم والمعتقدات^(١).

إن بعض القبائل العربية دخلت في الديانة النصرانية قبل الإسلام، وكان لها تعاليمها الدينية وكناشها المعروفة في الشام والعراق ومصر... وبعد ظهور الإسلام دخل كثير من أفرادها في الإسلام، وكانوا أداة انتقال أفكار أهل الكتاب إلى المسلمين على أقدار مختلفة في الزمان والمكان والمقولة الفكرية.

لقد ذكرنا أنه لا يمكن إنكار الأثر الواضح من الإسرائيليات والمعلومات المتعلقة بالأنساب الموجودة في التوراة والتلمود على مفكري المسلمين جميعاً، فكتب السير مليئة بالقصص المأخوذة من العهد القديم، بل إن أسماء الأنبياء وما ورد في حقهم في القرآن الكريم دفع المفسرين المسلمين لمعرفة المزيد عنهم وعن أنسابهم من المصادر اليهودية^(٢)، بل إن من المسلمين من قام بالنقل مباشرة من نصوص أهل الكتاب بشكل صريح وواضح ككتب الأخبار وهو يهودي دخل الإسلام، ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام، وهؤلاء لهم صلة وقرابة باليهود أو كانوا يهوداً. حتى من ولد من أبوين مسلمين من بعض المؤرخين المسلمين الأوائل اعتمد في مروياته على أهل الكتاب مثل محمد بن إسحاق صاحب السيرة، وقد سمي أهل الكتاب بأهل العلم الأول^(٣).

ومنهم أيضاً محمد بن سائب الكلبي وابنه هشام، وقد كان أبو يعقوب اليهودي من أهل تدمر يزورون الكلبي وغيره، ويعلمه بأخبار أهل الكتاب^(٤).

(١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) جواد علي: المصدر السابق.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ١٢٦.

(٤) الواقدي، الطبقات، ج ١، ص ٢٩، القسم الأول.

وقد ذكر الطبري في تفسيره: أن أناساً من اليهود كانوا يكتبون كتباً، فيبيعونها أو يحدثون بها العرب، لقاء ثمن قليل، وأماكن هذه الأخبار كانت تخص اليمن والمدينة (يثرب) والعراق والكوفة^(١).

لقد أصبح من المعلوم عند العلماء والمحققين أن الأفكار الإنسانية التي حملتها حضارات البشر من القديم وإلى اليوم، سواء وردت في كتبهم الدينية أو الفلسفية أو... ليست ملكاً لقوم دون آخرين، بل كل أدلى بدلوه فيها وطورها، وأضاف إليها وأخرجها بالشكل الملائم لحاجته وفكره، وفي بعض الأحيان تحصل استعارة لنص كامل كما سنرى برهان ذلك فيما بعد.

لا يعيب الإسلام - وهو دين الله الحق كما أوحى به إلى نبيه ﷺ - أن يقوم أهله وعلماءه بالاجتهاد مستعينين بذلك التوضيح على ما في الديانات السماوية الأخرى بالقدر الذي لا يخرج عن معنى الوحي المنزل، فمن شذ عن ذلك وذهب بعيداً في تبني فكرة لا صلة لها بالوحي كان له بقية العلماء بالمرصاد لإرجاعه إلى الحق، وإن أصاب أو لم يخطئ على الأقل سكت عنه، وقد بحث الأصوليون في مسألة شريعة أهل الكتاب، وهل أن من شرائعهم يُعدّ شرعاً لنا أيضاً.

لقد أثبت المحققون أن أفكار المذاهب الكلامية الأولى من قدرية وجبرية،... كان سببها ومصدرها الأول ما عند أهل الكتاب من فكر مشابه لها، وليس هنا مكان بسط هذا الموضوع، كما أن كثيراً من العرب اليهود والنصارى كان لهم دور كبير في علوم الفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات، وليس هنا بسط الكلام في هذا الباب.

(١) الطبري، تفسير، ج١، ص ٢٠٠، وج٢، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

إن المصادر القديمة ومنها الشيعة تكاد تكون مجمعة على وجود شخصية ابن سبأ، وأنه كان يهودياً من اليمن، أسلم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويبدو أن نشاطه السياسي والمذهبي منذ إسلامه ظل واضحاً لمن حوله، خاصة ما تعلق بيهوديته وأفكاره المتعلقة بالديانة اليهودية، التي حاول إدخالها وإقناع من حوله بها، ينقل الطبري تبرم الصحابي أبي الدرداء حيث قال له: من أنت؟ أظنك والله يهودياً. وطرده ابن عامر والي البصرة ^(١).

وتنقل ابن سبأ بين الكوفة والشام والبصرة، ولكنه استقر نسبياً بمصر، حيث وجد تربة بث فيها أفكاره على من تقموا على الخليفة.

إن أول من شكك في وجود شخصية عبد الله بن سبأ هم بعض المستشرقين، وبعض منهم ذهب إلى صحة وجوده، ولكن قلل من دوره الذي تمكسه المصادر العربية. فبرنالد لويس ينفي وجود هذه الشخصية، أما كيتاني المستشرق الإيطالي وفلاهورن الألماني فقد قللا من دوره الفكري، وأن المصادر تبالغ في نسبة كل فكرة مخالفة للإسلام لابن سبأ.

كما أن طه حسين ذهب إلى أن ابن سبأ لم يكن إلا وهماً ^(٢).

ومن الشيعة المعاصرين الذين يذهبون إلى حقيقة وجود شخصية ابن سبأ محمد حسين العاملي في كتابه (الشيعة في التاريخ).

ويذهب المستشرق جولدزيهر إلى أن ابن سبأ أول من قال بتأليه الإمام علي رضي الله عنه ^(٣).

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص: ٢٤، ٢٨٢، ٢٢٦.

(٢) غلاة الشيعة، فتحي الزغبى، ص ٧٥-٨١.

(٣) العقيدة والشرعية، جولدزيهر، ص ٢٢٩.

لقد سلك بعض الباحثين الشيعة مجدداً إلى نفي وجود شخصية عبد الله بن سبأ بقصد مسبق، وهو التخلص من ادعاء أثره وأثار اليهودية على التشيع، وهو بحث عميق وجهد واسع مضن، تمنيت أن يكون هذا الجهد في الطريق الصحيح للوصول إلى النتيجة التاريخية الصحيحة؛ لما لها من آثار كبيرة على مسيرة العقائد وتطورها عند الشيعة خاصة، بل الأصلح للعالم الإقرار بالحقيقة، فمسلك البحث في نفي شخصية ابن سبأ مسلك ليس فقط مناقضاً لمسلك حقائق التاريخ المتفق عليها عند علماء الشيعة والسنة (بل جميع الفرق الأخرى)، وإنما هو سباحة شاقة ومضنية عكس المنطق والفعل وطبيعة الأشياء، كما أوردناها في هذه المقدمة؛ وما عبد الله بن سبأ إلا لبنة صغيرة في جسر طويل زمنياً عبرت منه الكثير من أفكار وتعاليم أهل الكتاب وغيرهم من الأمم الأخرى، يؤيد ذلك ما سنورده من أدلة ملموسة في كتب الشيعة نفسها.

إن سنة الاستتارة والاقتباس بين البشر من سنن الله في خلقه منذ الأزل، وهذه حقيقة مثبتة عند الدارسين للحضارات القديمة والحديثة، وقد قامت على برهانها شواهد من القديم والحديث لا يمكن إنكارها وإن سار أي إنسان بخلاف ذلك. وكم من شخصية غير عبد الله بن سبأ كان لها أثر في انتقال أفكار أهل الكتاب إلى المسلمين وفرقهم المختلفة، ولكن لم تعرف قطعاً أو أنها لم تشتهر كما اشتهرت شخصية ابن سبأ في التشيع.

إن عناصر الديانة اليهودية والنصرانية كما نقرؤها في مصادرهم اليوم هي الأخرى لا يمكن أن يدعي أنها أصيلة، إنما هي أفكار مقتبسة من أمم وحضارات قديمة. وقد قام الباحثون في مقارنة الأديان بدراسة هذه الأفكار، ووجدوا بينها تشابهاً كبيراً يدعو العالم إلى العجب والتمعن

واستخلاص العبرة والحقيقة التي ذكرناها، فمن فجر التدوين الذي وصلنا منه القليل عن الآشوريين والبابليين والفراعنة والعبرانيين وجميع الأمم السامية القديمة، وكذلك عند الأمم غير السامية من الإغريق والرومان نرى عناصر من هذه الحضارات وأفكارها، هي التي تكونت منها اليهودية مع تحويرات اقتضتها الظروف التاريخية والفكرية في وقتها. ولم يشذ التشيع ولا الفرق الأخرى عن ذلك⁽¹⁾.

أفكار عبد الله بن سبأ كما وردت عند الشيعة :

ذكر علماء الشيعة القدماء الباحثون في العراق ومنهم النوبختي شيعة الإمام علي عليه السلام، وأنها افتقرت بعد مقتله إلى فرق عدة، فالسبئية (نسبة إلى عبد الله بن سبأ) قالت: «إن علياً لم يقتل ولم يموت، ولا يقتل ولا يموت، حتى يسوق العرب بعصاه، ويملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهي أول فرقة في الإسلام قالت بالوقوف بعد النبي صلى الله عليه وآله من هذه الأمة، وأول من قال منها بالغلو، وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب (عبد الله بن سبأ)، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابه الكبار وتبرأ منهم وقال: إن علياً عليه السلام أمره بذلك فأخذه علي عليه السلام فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين، أقتل رجلاً يدعو إلى حكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك، فصيره إلى المدائن. وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام بمثل ذلك، وهو أول من شهد انقول بفرض إمامة علي عليه السلام، وأظهر البراءة

(1) Roberson smith, Kinship and marriage, London, 1903, PP.204.

من أعدائه وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية. ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي عليه السلام بالمدائن، قال للذي نعاها: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً، لعلمنا أنه لم يموت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض^(١). وقد نقلنا كلام النوبختي كما ورد، ومنه نفهم ما يأتي:

«إن السبئية أول فرقة شيعية من الغلاة ومقولاتها التي ذكرها هي مقولات الشيعة الغلاة. وذلك أن النوبختي سبق أن ذكر وهو يعدد فرق الشيعة: وفرقة قالت: إن علياً كان أولى الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس لفضله وسابقتها وعلمه، وهو أفضل الناس كلهم بعده، وأشجعهم وأسأخاهم وأورعهم وأزهدهم، وأجازوا مع ذلك إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعدوهما أهلاً لذلك المكان والمقام، وذكروا أن علياً عليه السلام لهما الأمر، ورضي بذلك وبايعهما طائفاً غير مكره وترك حقه لهما، فتحن راضون كما رضي الله المسلمين له ولن بايع لا يحل لنا غير ذلك، ولا يسع منا أحداً إلا ذلك، وإن ولاية أبي بكر عليه السلام صارت رشداً وهدى، لتسليم علي عليه السلام ورضاه، ولولا رضاه وتسليمه لكان أبو بكر عليه السلام مخطئاً ضالاً هالكاً، وهم أوائل البترية^(٢). فهؤلاء هم شيعة علي عليه السلام الأوائل الذين لم تصبهم رياح التغيير، ولم تدخل عليهم عناصر الفكر الأجنبي من اليهودية أو الفارسية.

إن الشيعة السبئية الغلاة هم أول فرقة شيعية قالت بفكرة (الوقف) بعد النبي صلى الله عليه وآله. أي توقفت عند نبوته ولم تقر بموته وأنه سيرجع. ومن هنا نفهم أن فكرة الوقف خرج منها بالضرورة فكرة الرجعة، وهذا يقود إلى فكرة الغيبة. على مقولة: إنهم يتوقفون عند موته فلا يقرون لإمام بعده؛

(١) النوبختي، الفرق، ص ٤٣-٤٤.

(٢) النوبختي، الفرق، ص ٤١-٤٢.

لأنه لم يمت وإنما اختفى وغاب وسيرجع بعدئذ لموضعه في إمامة المسلمين، فلا تحل لأحد بعده. وهذه الأفكار الثلاث هي الخميرة الصغيرة الأولى التي بذرها عبد الله بن سبأ. وتكررت هذه الأفكار في التراث الفكري الشيعي عند فرق مختلفة، واتسعت تبريراتها وكثرت المقالات والاحتجاجات حولها، كما هو معلوم هذا الحال عند وفاة النبي ﷺ؛ لأن ابن سبأ احتج ضد من خالفه بالآية ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَارٍ﴾ وقال: عجبا لمن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع^(١). وهذه فكرة معزية حقاً لكل من فقد حبيباً له ينكر أنه مات ويتعلق بوهم رجعت، وما هي إلا غيبة يسيرة وسيعود، ومن الوفاء وجوب الانتظار.

تذكر الروايات أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه وفاة رسول الله ﷺ أنكر ذلك على من بلغه، وكأنه يرى أن مركز النبوة والعظمة المحيطة من الله لرسوله ﷺ تمنع من موته، ولكن أبا بكر الصديق رضي الله عنه رد على عمر رضي الله عنه بالآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا مَاتَ أَوْ قَتِلَ انْقَلَبَتْ عَلَى آعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾.

تجمع المصادر التاريخية على أن ابن سبأ كان يهودياً فأسلم، وصاحب هذه المقالة على علم بالتحاليم اليهودية، فمن أين استعار ابن سبأ هذه الفكرة؟ لقد وردت هذه الفكرة ببساطة في التوراة تحكي قصة بني إسرائيل لما أخرجهم موسى عليه السلام من مصر وقادهم إلى سيناء وذهب إلى موعد ربه؛ لتسلم تعاليم الألواح وأنان أخاه في قومه، فتأخر في الرجوع إليهم. تقول التوراة: «ولما رأى الشعب أن موسى عليه السلام أبطل في النزول من الجبل اجتمع

(١) الطبري. تاريخ، ج ٢، ص ٢٧٨.

الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا إلهًا....» فلما صنع لهم عجلاً له خوار، قالوا له: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوَسًى﴾ كما يحكي القرآن الكريم عنهم، فالقائد فقد قومه وتاهوا لا يعلمون عنه شيئاً، ولكنهم متعلقون به، وأنه سيرجع مؤكداً بعد غيبته.

كما تكرر تعلق اليهود بشخصية ستقدهم مما هم فيه من مهانة وعبودية بعد سبيهم من قبل نبوخذ نصر وتهديم هيكلهم في القدس (٥٩٨ قبل الميلاد)، فظهرت نبوءاتهم القائلة بظهور المسيا الذي سيظهر، فينتقم من أعدائهم وسيجمع شملهم ويقيم دولتهم^(١).

وربما قد استعار اليهود هذه الفكرة من الديانة الزرادشتية المنتشرة في العراق واليمن وقت خضوعهما للنفوذ الفارسي أمداً طويلاً. كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

يعتقد اليهود أن نبي الله إيليا لم يموت، إنما رفعه الله إلى السماء، وأنه سيعود في آخر الزمان وأن غيبته إنما هي إرادة من الله^(٢).

إن عبد الله بن سبأ أول من قال بفكرة كون الإمام علي عليه السلام وصي رسول الله ﷺ وإن منزلة علي عليه السلام في الإمامة كمنزلة يوشع بن نون من موسى عليه السلام بمعنى أن موسى عليه السلام أوصى له بعده. وإن ابن سبأ أول من أظهر للملأ الطعن على خصوم علي عليه السلام فكشف القول المنكر الذي لم يستطع الإمام علي عليه السلام بزعمه البوح به؟ وهذه كلها كانت بذوراً صغيرة بذرها ابن سبأ والمعارضة عموماً كان لها الأثر الكبير في التشيع، حيث تلقفها من بعده

(١) Enc. Islamica ; al-masih, Ghoyboh.

(٢) جولدزهر. العقيدة والشريعة. ص ١٩٢.

غلاة الشيعة، وبنوا حولها الطعن على صحابة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ كما نعلم.

إن عبد الله بن سبأ إضافة إلى كونه يهودياً عارفاً بالعقيدة اليهودية فإن أصله من اليمن كما ذكرنا، وقد كان اليمن يحكم من قبل الفرس وكانت الزرادشتية وتعاليمها مختلطة بالأفكار اليهودية، فليس ببعيد أن ابن سبأ قد استعار فكرة الغيبة ومجيء المنتظر من الديانة الزرادشتية، بل إن اليهودية قد تأثرت كثيراً بالديانة الفارسية القديمة، حيث تسربت تعاليم الزرادشتيين إلى أقوال الربان (رجال دين اليهود) الذين أدخلوها حين تدوينهم للتلمود البابلي في العراق (بابل).

لقد ذكرنا قول النويختي: أن ابن سبأ رفض تصديق مقتل الإمام علي عليه السلام، وأنه لن يموت حتى يملك الأرض، وهذا يعني أنه ربما غاب وسيعود ليملك الأرض طبعاً. وهذه إشارة إلى فكرة الغيبة والرجعة بعدها، فمن أين جاء مصدر هذه الأفكار؟

نقلنا: إن فكرة رجوع النبي إيليا عند اليهود، وأنه إنما غاب في السماء وسيعود في آخر الزمان، وهذه النبوءة اليهودية اقتبسها اليهود من الفرس عند تدوين التلمود بعد السبي البابلي، وتعرضهم للمهانة والشتات في العراق وفارس، فهم في حال يتعلقون بأمل مستقبلي لزعيم يظهر ليقودهم من جديد، كما قادهم موسى عليه السلام، وأنقذهم من نير العبودية عند المصريين، وسينتقم من أعدائهم وكل من تسبب في آلامهم. وعقيدة الفرس الزرادشتية القديمة تؤمن بظهور الابن الإلهي من ولد بشتاسف بن بهراسف اسمه الشوثن، وأنه غائب في حصن عظيم بين خراسان والصين وأنه سيظهر آخر الزمان^(١).

(١) القاضي عبد الجبار. تثبيت دلائل النبوة. ج ١. ص ١٧٩.

إن اليهود في العراق لا بد أنهم سمعوا هذه الفكرة من الفرس، وهم في أمس الحاجة لها خاصة رؤساءهم وأخبارهم من أجل أن يطمئنوا أتباعهم بأنهم لا بد عائدون إلى أورشليم، ويقيمون الهيكل المهدم، ويتعيدون مرة أخرى في ظل قيادة خارقة قوية تمت كل الشرور في النفوس، ويسود الأرض السلام، وادعى أخبار اليهود أن إلههم يهوه قد وعدهم بذلك، وأنه سيظهر (المسيا) كيف؟

ورد في سفر أشعيا: «العدراء تحبل ولداً ابناً. يولد لنا ابن ونعطي ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيب، ويكون إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، يجلس على كرسي داود وعلى مملكته؛ ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد....»^(١).

ثم يتكلم السفر عن كيفية قضاء هذا المنقذ القائم، فيقول: «..... فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفثيه....».

وحينما يستتب الأمر لهذا القائم المنتظر تبدأ حقبة السلام، فيقول السفر: «.... فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسمن معاً. وصبي يسوقها، والبقرة والدبة ترعيان تربض أولادهما معاً، والأسد كالبقرة يأكل تبناً ويلعب الرضيع على سرب الصل، ويمد الفطيم يده إلى جحر الأفعوان....»^(٢). «... ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية؛ ليقبض بقية شعبه، التي بقيت في آشور ومن مصر... ويرفع راية للأمم، ويجمع منفبي إسرائيل....»^(٣).

(١) أشعيا. الإصحاح: آية ٦-٧.

(٢) سفر أشعيا ١٥:٧، الإصحاح ٦٠:٩-٧ و ١١:١١-١٠.

وبسبب هذه التنبؤات والأمانى المنتشرة بين اليهود بفارس والعراق ظهر أدياء كثر بأنهم القائم المنتظر. ففي القرن الثامن الميلادي ظهر في بلدة شيربه الفارسية رجل ادعى أنه المسيح المنتظر، ووعد بعودة اليهود إلى فلسطين، وتكرر في القرن نفسه أيضاً ظهور يهودي اسمه أبو عيسى في بلدة أصفهان ادعى أنه المسيح وجمع جيشاً من عشرة آلاف مقاتل من اليهود منتهزاً فرصة انشغال الدولة العباسية في عهد أبي العباس السفاح، ولكن الخليفة المنصور فيما بعد شنت جيشه واختفى أبو عيسى. وفي القرن السابع عشر ظهر في سالونيك رجل يهودي اسمه سبتاي زئيفي ادعى أنه المسيح المخلص لليهود من الظلم الذي لحقهم على أيدي الأوربيين، وتبعه الكثيرون الذين راحوا يبيعون ممتلكاتهم (١٦٢٦ م) لأجل العودة إلى فلسطين، وقد انتهى به الأمر إلى السجن في قلعة الدردنيل حتى رجع عن مقولته وأسلم، وسمى نفسه محمد أفندي^(١).

إن الحاجة البشرية هي الدافع الأول في نشأة العقائد عند جميع الفرق في الأمم جميعاً، وإن أكثر الحاجات البشرية إلحاحاً هي الاستقرار والأمان على الأرواح والأموال والمعتقد السابق الموروث.

وهذه كلها تجمعها الدوافع السياسية عند البشر.

جمعت حولها كثيراً من المعارضين للحكم على اختلاف أغراضهم. ويبدو أن المصادر التاريخية والرواة الذين دونوا أخبار السبئية ربما عموماً أفكار المخالفين للحكم وأطلقوا عليهم السبئية؛ لغلبة هذه الفرقة أو المجموعة على المعارضة وقتها.

(١) أحمد شلبي. مقارنة الأديان. اليهودية. ص ١٩٢ وما بعدها.

أ- ذكر الكشي في كتابه الرجال (القرن الرابع الهجري) ، وهو من الكتب الموثقة عند الشيعة ، روايات عدة عن الإمام الصادق وعن الإمام علي ابن الحسين عليهما السلام أنهم يلعنون فيها عبد الله بن سبأ بسبب مقالاته المنكرة في ربوبية علي بن أبي طالب عليه السلام ويرمونه بالكذب ^(١) ، وأورد الكشي في كتاب الرجال الاتهامات نفسها ، وذكر الاسترابادي في منهج المقال : أن الإمام علياً عليه السلام أحرق ابن سبأ لأفكاره وغلوه ، وقد ذكر ذلك أيضاً كل من سعد القمي في كتاب المقالات والفرق ، والشيخ الطوسي في كتابه الرجال ، والتستري في قاموس الرجال ، وعباس القمي في تحفة الأحاب ، والخونساري في روضات الجنان ، وكلها كتب موثقة شيعية إمامية ، ولم يشك أحد في وجود هذه الشخصية إلا أخيراً .

من أوائل من تشكك في وجود شخصية عبد الله بن سبأ المستشرق برنارد لويس (في كتابه عن أصول الإسماعيلية) ، وذلك استناداً إلى أن الآراء المنقولة عن ابن سبأ لم تكن آراء سنة ٢٥ هـ التاريخ الذي نسب عند ظهوره ، وإنما هي آراء ظهرت أخيراً بعد أكثر من قرن ، وتابعهم في هذا الشك طه حسين وغيره من العرب .

والحقيقة لا يمنع القول بوجود ابن سبأ كون الأفكار المنقولة عنه أفكار القرن اللاحق له بحجة أنها عند التحقيق لم تظهر في عصره ، وهذا القول فيه جانب كبير من الحقيقة ، وذلك أن ابن سبأ كان موجوداً وحقيقياً ، ولكن لم تكن جميع الآراء التي نسبت إليه قد قال بها . ولكن إذا جمعنا شتى الظروف تبين لنا أن هذه الأقوال مستمدة من الفلسفة ، وما عند الديانات السابقة وعلى خلافهم ، فإن أوائل المستشرقين قد أقروا بوجود

(١) الكشي، رجال، ص ١٠٠ .

هذه الشخصية اليهودية مثل يوليوس فلها وزن، حيث قال: «ومنشأ السبئية يرجع إلى زمان علي والحسين عليهما السلام وتتسبب إلى عبد الله بن سبأ، وكما يتضح من اسمه الغريب فإنه كان يمينياً، والواقع أنه من صنعاء، وهذا يقود إلى القول بأصل يهودي لفرقة السبئية..»^(١).

زرارة بن أعين بن سنسن (من موالي الكوفة).

كان أبوه عبداً رومياً لرجل من بني شيبان، فمرض الشيباني على عبده أعين أن يُسمّى باسمه (الشيباني) على عادة العرب، حيث كانوا يمنحون لقبهم لمواليهم بعد إسلامهم فرفض أعين، وقال لمولاه: أبقني على ولائي سنسن راهباً في بلد الروم^(٢). وقد أعده النجاشي (شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدميهم وكان قارئاً فقيهاً متكلماً)^(٣). وذكر أن له تصانيف وكتباً، ومن كتبه التي يبدو أنها تقول من فكر أهل الكتاب إلى الفكر الإسلامي (كتاب الاستطاعة والجبر واليهود)، وقد سبق أن ذكرنا أن أول من تكلم في هذه الموضوعات هم أولئك الرجال الذين كانوا على علم بالديانات السماوية، فنقلوا إلى الفكر الإسلامي تلك المقولات في علم الكلام خاصة.

وقد شهد الإمام الصادق على زرارة بأنه ليس فقط من النصارى أو اليهود، بل هو شر منهم؛ لقبح المقالات التي أدخلها، وادعى أن الصادق والباقر قد قالوا بها^(٤). وقد تحايل زرارة على الإمام الصادق، فذكر أن الإمام أعطاه الاستطاعة من حيث لا يعلم، أي إن الصادق أقر بفكرة

(١) انظر يوليوس فلها وزن الخوارج والشيعة، ص ١٧٠، ترجمة عبد الرحمن بدوي.

(٢) الطوسي، الفهرست، ص ١٤١.

(٣) النجاشي، رجال، ص ١٢٥.

(٤) الكشي، رجال، ص ١٦٠.

الاستطاعة عند الإنسان وأنه غير مجبر، وما ذلك إلا من المؤثرات السابقة والمختصرة يفكر زرارة وأهله، فقد ذكرنا أيضاً أنه اعترف بأن جده سنسن كان راهباً في بلد الروم.

إن آل أعين من البيوت الكبيرة في الكوفة كما يبدو من مصادر الشيعة؛ لأن الأخبار تقيد أن لزرارة جماعة يترددون عليه ذكر منهم يزيد بن معاوية العجلي وغيره، وقد رد الإمام الصادق على أحد السائلين لما عليه أهل الكتاب، فأجابه أن هذه من مسائل زرارة. وعلق الصادق على ذلك قائلاً: إن آل أعين يريدون أن يكونوا على غلب^(١). ومن أتباع زرارة أيضاً يونس (ابن ضبان)، وقد لعنه الصادق أيضاً لاتباعه مقالات زرارة، وكذلك يذكر معهم أبو بصير والليث بن البحتري المرادي.

بيان بن سمعان النهدي اليميني:

انتقل بيان من اليمن إلى الكوفة، وكان من أتباع حمزة سالف الذكر، وكان يعمل تبناً بالكوفة، ينسب له مع الجعد بن درهم القول بخلق القرآن، وادعى بيان أن ابن الحنفية قد أوصى له، وأن الأمانة في عقبه، ثم ادعى كذلك النبوة، وقال متولاً: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وذكر أنه أرسل للإمام محمد الباقر رسالة يدعي فيها النبوة، وطلب من الباقر اتباعه، وسلم رسالته عمر بن عفيف فرد عليه الباقر: أن يأكل قرطاسه، ونسب إليه القول بحلول الألوهية في الإمام علي عليه السلام، وأن علياً عليه السلام هو الذي أرسله نبياً. ثم ادعى نفسه الألوهية عن طريق التناسخ الذي انتقل من الإمام

(١) الكشي، رجال، ص ١٣٤.

علي عليه السلام إلى ابنه محمد ابن الحنفية، ثم إلى هاشم بن محمد، ثم لبيان نفسه، وهذا صريح مذهب الحلول المعروف عند الهندوسية والزرادشتية، ويذكر أن بياناً سبق هشام بن الحكم القول بتشبيه الخالق بالجسم تعالى الله عن ذلك، ولكن بيان وخمسة عشر من أصحابه حرقهم الوالي خالد بن عبد الله القسري في الكوفة، وذلك سنة ١١٩ هـ^(١).

محمد بن نصير النميري:

قد انشق عن الإمامية وكان صاحب الإمام الحسن العسكري، وذكر النويختي: أنه ادعى النبوة، وذكر البعض أن طائفة النصيرية تنسب إليه، ويذكر أن خلفاء النصيري هذا استمروا على مذهبه، وهم محمد بن جندب والحسين بن حمدان الخصيبي، وبعده بختيار بن معز الدولة البويهري الديلمي الفارسي، وقد توفي محمد بن نصير سنة ٢٦٠ هـ، ونسب له أن روح الله قد حلت به، بل ذكر عنه ألوهية الإمام الحسن العسكري، وأنه قال بإباحة المحارم. كما نسب له النويختي تحليله نكاح الرجال، ونسب لفرقة النصيرية القول بالتناسخ للأرواح والإلهية للأنبياء والأئمة من دور إلى دور، وذلك إلى يوم الحساب^(٢). كما نسب إلى النصيرية عبادة السماء والقمر وعبادة الهواء، وهذه تُعدُّ حقيقتها في رأيهم متجسدة في الإمام علي عليه السلام نفسه، قال بعضهم: إن السواد في القمر هو علي بن أبي طالب، ولكنه محجوب عن الأعين، فالقمر هو علي عليه السلام ذاته، وعبادة القمر هي عبادة لعلي

(١) فتحي الزغبى، غلاة الشيعة، ص ١٢٤.

(٢) فتحي الزغبى، غلاة الشيعة، ص ٢٦٠.

ﷺ، فهو الرب والإله^(١). والعناصر المجوسية الفارسية واضحة في عقيدتهم، بل إن عبادة القمر لدى الآشوريين والبابليين ولدى العرب في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام كما سبق، وأن علمنا ذلك واضحة جلية في معتقداتهم.

رواة الشيعة الذين كان لهم اتصال بأهل الكتاب.

نقل كثير من الرواة الشيعة عناصر من عقيدة أهل الكتاب اليهود والنصارى، وادعوا أنهم سمعوها من الأئمة. ويبدو أن أكثر العناصر الأجنبية التي دخلت على التشيع كانت من قبل عناصر فارسية؛ لأن أكثرية الرواة كانوا من الموالي الفرس، نقلوا أفكارهم وأفكار آبائهم وأجدادهم الأقدمين؛ لحاجتهم إليها في الاحتجاج إلى دعوتهم أو مشاركاتهم في الثورات، التي قامت ضد الدولة الأموية أو العباسية. ومع ذلك لم يسلم التشيع من دخول عناصر من عقيدة وأفكار أهل الكتاب خاصة اليهود، ذلك أن رجال الشيعة كانوا على مقربة من الجاليات اليهودية، التي كانت منبثة في العراق، خاصة في المدن القديمة التي سبق للفرس أن شجعوا اليهود أو منحوهم الحماية لاستيطانها كاردشير وماخوزا (المدائن) وطيسفون وشكنزب وسورا ويمباديتا ومخوزا (سلوفية) وغيرها من المدن الفارسية مثل ميديا التي ورد اسمها والجاليات اليهودية التي كانت تسكنها وأسماء الأخبار اليهود الذين كانوا يترددون على هذه الجاليات، لتفقد رعاياهم كل ذلك برعاية من الدولة الكسروية، وكان في بلاط كسرى في المدائن ممثل للجاليات اليهودية (سفير)^(٢).

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٢) كرستس. إيران في العهد الساساني، ص ٢٤ ترجمة الخشاب.

يبدو أنه حتى المدن التي أسسها الجيش العربي الإسلامي أيام الفتح لم تسلم بعد ذلك من سكن اليهود بين ظهراني العرب والمسلمين عامة؛ لما عرف من تسامح أهل البلاد المفتوحة منذ القدم مع هذه الأمم والديانات. ذكر الكشي أن الإمام الصادق قال يوماً لأصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن الله يهودية كان يختلف إليها، يتعلم منها السحر والشعوذة والمخاريف. إن المغيرة كذب على أبي، فسلبه الله الإيمان...»^(١). وقد مثل الإمام جعفر الصادق المغيرة بن سعيد مثل بلعم بن عورا عند اليهود الذي قال المفسرون: إنه هو المقصود بالآية الكريمة: ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٢).

وقد كان المغيرة هذا من أهل الكوفة، واليهودية التي يتردد عليها لم تكن طبعاً تسكن وحدها، لما عرف عن اليهود أنهم يسكنون جماعات لا أفراداً إلى يومنا هذا في كل مكان. والتردد لم يكن هدفه الأساسي إلا فكراً تعليمياً، فهل كان المغيرة يلتقي معها فقط أم مع قومها أيضاً، فيتعلم منهم ولا بد أن المغيرة بن سعيد لم يكن هو الوحيد في الكوفة الذي يصنع ذلك، وإنما يقتضي الحال كل من كان على شاكلته وأصحابه. ولمعرفة مدى أثر المغيرة بن سعيد في الفكر الشيعي وما دسه من أفكار مغالية يجب تتبع مروياته في الحديث الموثقة في كتب حديث الشيعة، فإنا نرى كم من الأحاديث دسها المغيرة؟ ذكر في مقدمة تنقيح المقال، وهو من كتب الرجال المعتمدة عند الشيعة: أن المغيرة نفسه اعترف قائلاً: «قد دسست في أخباركم أخباراً كثيرة تقرب من مئة ألف حديث»^(٣).

(١) الكشي. رجال. ص ١٩٦.

(٢) الكشي. رجال، ص ١٩٨.

(٣) المامقاني. تنقيح المقال. ج ١. ص ١٧٤ (النجف).

هشام بن الحكم،

إن الإمام الصادق كان على علم ممن ينتحل التشيع، ويدس به الأفكار والعقائد الأجنبية، وخاصة من أولئك الموالي الذين يأخذون من أهل الكتاب، والذين أسلموا ظاهراً، ولكنهم استمروا على بعض عقائدهم القديمة وأصروا عليها. ومنهم هشام بن الحكم مولى كندة وجماعته الذين نسبوا إلى مقولته في التشبيه والتجسيم للخالق تعالى الله عن ذلك وقد سبق أن أشرنا إلى الحديث عنه في هذا البحث وكان من أهل الكوفة، وقد سكن بغداد، وخلاصة أقواله في التجسيم ما يأتي:

إن الله جسم وصورة، واحتج بأن الأشياء جسم وفعل، فلا يجوز أن يكون الله الصانع هو الفعل، بل هو الجسم.

وقد زعم أن الخالق بوصفه جسمًا، فإن له طولاً وعرضاً: كبقية الأجسام، وزعم أن طول ربه سبعة أشبار (بشبر نفسه).

إن علم الله محدث.

إن الإنسان مجبر جبراً شديداً.

إن الله نور ساطع يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها.

إن الله ذو طعم ورائحة ومجسة.

كان الله ولا مكان، فلما تحرك حدث المكان.

إن الله يعلم ما تحت الثرى بالإشعاع.

إن علم الله صفة له، وعلمه لا محدث ولا قديم، والصفة لا توصف.

إن الأنبياء يعصون ربهم. ويرى عصمة الأئمة من الذنوب، بدليل أخذ الرسول ﷺ الفداء من الأسرى. فإن أخطأ النبي سدد الله بالوحي. أما الإمام فمعصوم فلا يحتاج إلى وحي يسدده. وهو يؤمن بإمامة علي عليه السلام، كما يراها الشيعة الإمامية.

وهذه الآراء ليست فقط أفكار هشام بن الحكم إنما أيضاً نسبت أو بعضها لرواة من الشيعة أمثال يونس بن عبد الرحمن القمي وأبي جعفر الأحول ومحمد بن النعمان صاحب الطاق ومحمد بن جعفر بن محمد الأسدي الكوفي وهارون بن سعدان وعلي بن ميثم التمار وغيرهم كثير في مدرسة التجسيم والتشبيه^(١).

صفات الإله عند اليهود وتشابهها بما يقول هشام بن الحكم وأصحابه.

علم الله موسى وأصحابه من اليهود عدم التصريح باسم الإله (يهوه) احتراماً له، وأن يكتفوا بالإشارة له، وقد انتقلت هذه الفكرة إلى التشيع الإمامي، فمن التعاليم عندهم عدم التصريح باسم الإمام الثاني عشر، بل الاكتفاء بلقبه أو الإشارة إليه بالقائم. الغائب. صاحب السرداب.

عند خروج بني إسرائيل من مصر كان (الرب) يسير أمامهم في عمود سحاب نهاراً؛ ليهديهم في البرية، وليلاً في عمود نار.

حينما صعد موسى وسبعون من شيوخ إسرائيل رأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعه من العقيق الأزرق الشفاف، كذات السماء من النقاوة.

(١) الكشي. رجال. ص ٢٧٠-٢٧٨. والمامقاني. تنقيح المقال. ج ٣. ص ٢٩٨-٢٩٩.

وقد استعار هشام بن الحكم صورة العقيق الأزرق، فاستبدلها باللؤلؤ المضيء بالنور.

هيكل سليمان الذي يعبد به اليهود هو مقر الإله يهوه، وزخرفة هذا الهيكل وتجسيمه قد أودعته الأنبياء كما يدعون، فهو مسكن الأرواح، وبه المذبح حيث قتل قائد جيش النبي سليمان عليه السلام، وهو ممسك بقرون العجل رمز عبوديتهم ليهوه إلههم. ويسبب جهود عزرا في إعادة بناء الهيكل سمي اليهود عزرا (ابن الله) ^(١).

وجاء في التوراة: أن الله قد خلق آدم على هيئته، أو على صورته.

وقد نقلت المصادر القديمة مقالات كثيرة من غلاة الشيعة في الكوفة، منهم حمزة بن عمار البربري، فقد ذكر النوبختي: أن هذا ادعى النبوة، وأن المختار هو الله (تعالى الله عن ذلك) وقيل: إنه قد نكح ابنته وأحل المحارم، ونقل عنه: أنه من عرف إمامه فليصنع ما شاء. ويذكر النوبختي: أنه قد تبعه رجلان من نهد: الأول صائد، والثاني اسمه بيان^(٧).

ومن هؤلاء في الكوفة أيضاً عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، ويقال: إنه من تلاميذ عبد الله بن سبأ، فهو الذي قال بركة محمد ابن الحنفية، والقول بالأسباط الأئمة الأربعة علي والحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية . وذكر عنه أنه قد تأول هؤلاء الأربعة من الآية: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّتِيُونَ﴾ ١ وَطُورِ سِينٍ ٢ ﴿هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ حيث إن الله أقسم بهم. وهؤلاء الأسباط هم الذين عناهم السيد الحميري:

(١) فتحي الزغبى. غلاة الشيعة، ص ١٢٨-١٣٠.

(٢) التوبختى. فرق الشيعة ص ٢٥.

ألا إن الأئمة من قريش ولادة الحق أربعة سواء

وادعى ابن حرب هذا رجعة ابن الحنفية وبيده معجزته سيف كعصا موسى، فيهب سيفه دون قرن الشمس، يراه جميع أهل الأرض وأهل السماء. كما ادعى ابن حرب: أن روح الله التي تناسخت في الأنبياء والأئمة، ومنهم ابن الحنفية انتقلت فحلت به^(١).

إن أثر العقائد والأفكار القديمة استمر مؤثراً على التشيع حتى في العصور المتأخرة، وما انشقاق فرقة البائية من المذهب (الاثني عشري الشيعي) إلا مظهراً من هذه المظاهر، حيث ادعى الميرزا علي محمد في شيراز أولاً أنه هو الباب المقصود في المذهب، ثم ادعى أنه هو الإمام المنتظر عند الشيعة، ثم تجرأ وادعى النبوة ونسخ شريعة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ.

وستعرض لهذه الفرقة في موضعه إن شاء الله، حيث انحرفت هذه الفرقة، واقتربت من مذهب الإسماعيلية في التأويل للجنة والنار ويوم القيامة، ومالت إلى فكرة التناسخ.

مالك بن الأشتر النخعي

قيل: إنه من أصحاب الإمام علي عليه السلام، ونسبه بعضهم إلى السبئية والقول بمقالة عبد الله بن سبأ، ذكر ذلك محمد بن يحيى الملقب في كتابه التمهيد والبيان. ومالك بن الأشتر من قبيلة مذحج من النخع. وله أدوار قتالية في جيش الإمام علي في الكوفة. وقيل: إن الخليفة عثمان عليه السلام سبق

(١) المصدر السابق.

أن غضب عليه وضربه . وفي سنة ٢٨هـ من خلافة الإمام علي عليه السلام ولاه الإمام على مصر، وكتب له كتاباً سمي (عهد الإمام علي مالك الأشتر في توليه مصر)، ذكر في نهج البلاغة يشتمل على توجيهات ونصائح سياسية. ولكن قبل وصول مالك الأشتر لمصر توفى في الطريق. قيل: توفى مسموماً، كما تدعي المصادر الشيعية، التي ضخمت هذا العهد إلى درجة أنه أمسى مصدرًا من مصادر دستور الحكومة الإسلامية في إيران، ولا أدل على هذا التفتيح من اختلاف المصادر والرواة في نص هذا العهد.

الأسود بن يزيد

قيل: إنه من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ونسب إليه أيضًا أنه من جملة السبئية التي قالت بمقولة عبد الله بن سبأ، ذكر ذلك محمد ابن يحيى الملقب في كتابه التمهيد والبيان. والحقيقة أن أمثال هؤلاء كثير، وكان الإخباريون يطلقون عليهم اسم السبئية.

عمرو بن ثابت بن هرمز البكري (ت ١٧٢هـ)

وشهرته ابن أبي المقداد العجلي:

وهو من موالي عجل. روى عن أبيه وعن أبي إسحاق السبيعي والأعمش وسماك بن حرب وغيرهم. أما الذين رووا عنه فقد ذكر منهم أبو داود الطيالسي ويحيى بن بكير وسعيد بن منصور وعباد بن يعقوب الرواجي وغيرهم^(١).

(١) د. سعدى الهاشمي. الرواة الذين تأثروا بابن سبأ. ص ٢١٢ وما بعدها.

هذا ولم يوثقه البخاري، وقاله عنه النسائي: إنه متروك الحديث. وقال عنه أبو أحمد الحاكم: إن حديثه ليس بمستقيم. وضعفه يحيى بن معين وقال: إنه ليس بشيء. ولكن أباه ثقة، حيث روى أبوه عن شعبة وسفيان الثوري. وذكر عنه أبو زرعة أنه شديد التشيع واهي الحديث. وذكره ابن حبان في الوضاعين. وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل أيضاً: إنه كان يشتم عثمان. وترك ابن المبارك حديثه، وأنه كان يقدم الإمام علياً عليه السلام على الشيخين.

ومن المناكير التي رواها أن النبي ﷺ لما مات كفر الناس إلا خمسة، وفي رواية عنه أيضاً إلا أربعة. وقد سبق تناول هذه الرواية وقول الشيعة فيها. وذكر ابن المبارك سبب كون حديثه متروكاً أنه يسبب صحابة الرسول ﷺ.

أما كتب الشيعة فتذكره في أصحاب الإمام محمد الباقر، وتذكر أن الباقر أو الصادق هو الذي سماه عمرو بن أبي المقداد، وهو مولى عجل كوفي تابعي. وأكثر محدثي الشيعة على توثيقه، لكن ابن الفضائري عده من المجروحين في كتابه الضعفاء والمذمومين. وذكر الخوئي أن المروي عن عمرو ابن أبي المقداد يبلغ نحو خمسين مورداً.

من ورد عنهم الوصية للإمام علي عليه السلام:

١- كُدير بن قتادة الضبي المختلف في صحبته. وعند المحدثين يروي المراسيل، وعند أكثر المحدثين أنه تابعي. ذكر الحافظ العقيلي رواية عن سماك بن سلمة أنه دخل على كُدير بيته فسمعه يقول في الصلاة: سلام على النبي والوحي. وقد وضعفه البخاري. وقال عنه الجوزجاني: إنه كان زائفاً^(١).

٢- الأصبغ بن نباتة الكوفي التميمي. وكان من أصحاب الإمام علي عليه السلام، عيَّنه على شرطة الخميس قائداً. ومصادر السنة لا توثقه وتعمده متروك

(١) المصدر السابق: ص ٢١٠ وما بعدها. الكشي: رجال. ج ٢ - ٤٦.

الحديث وغير ثقة، وبخلافهم مصادر الشيعة كما سيأتي تفصيل ذلك، وقد روى أحاديث منكورة وخارجة عن المعقول، ومما يتعلق منها بالوصية روايته عن الإمام علي عليه السلام: «إن لله ملكاً في صورة الديك الأملح الأشهب، برأته في الأرض السابعة، وعرفه تحت العرش له جناحان.... فكلما حضر وقت الصلاة قام الديك... ثم نادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، وأن وصيّه خير الوصيين.. فلا يبقى في الأرض ديك إلا أجابه..»^(١).

وقد ورد في تفسير فرات أحد تفاسير الشيعة رواية مرفوعة عن الأصمغيني ابن نباتة عن سلمان الفارسي قوله: «أقسم بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: يا علي، أنت والأوصياء من بعدي». أو قال: «من بعدك لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتكم وأعرأى لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه»^(٢).

من ورد عنهم القول بفكرة الرجعة،

يقصد بالرجعة هنا رجوع الميت إلى الحياة مرة أخرى، وقد كانت الفكرة عند أمم سابقة قبل الإسلام سبق أن تناولناها في موضعها، وكان أخصها وأقربها فكرة رجوع سيدنا المسيح وكونه لم يموت.

وأول ما ظهرت فكرة الرجعة بين المسلمين كانت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله حيث ذكر بعضهم أنه سيرجع، ونسب ذلك إلى عبد الله بن سبأ والسبئية

(١) المصدر السابق: ص ٢١٠ وما بعدها. الكشي: رجال. ج ٢ - ٤٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٤.

عموماً. ثم ذكرت أيضاً بعد موت الإمام علي عليه السلام وأنه سيرجع فيحكم العرب، ونسب القول أيضاً لعبد الله بن سبأ والسبئية. ويبدو أن الكوفة كانت موطن هذه الدعاوى؛ لاتصالها بالنصرانية والحيرة ومعرفة كثير ممن دخل الإسلام بفكرة رجعة عيسى أو غيره من الأنبياء عند الأمم السابقة، هذا وقد ورد القول بالرجعة عن بعض الصحابة والتابعين، منهم:

١- أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي الكوفي:

ذكر المحدثون في مصادر السنة أن أصبغ قد روى عن عمر وعلي والحسن بن علي وعمار بن ياسر وأبي أيوب الأنصاري. أما الذين رواوا عنه فسعد بن طريف والأجلح الكندي وثابت البناني ومحمد بن السائب الكلبي ورزين بن حبيب الجهني.

وفي مصادر الشيعة ذكر ممن روى عنه طائفة منهم أبو الجارود زياد ابن المنذر الهمداني ومحمد بن داود الفنوي وإبراهيم بن مهزم ومحمد ابن الوليد ومحمد بن الفرات وأحمد بن أبي عبد الله والحارث بن حصيرة والحارث بن المغيرة، وإن أكثر مصادر السنة لا توثقه، فقد قال عنه أبو بكر بن عياش الأسدي الكوفي (ت ١٩٤هـ): إنه كان كذاباً. وقال عنه يحيى بن معين: ليس ثقة، وعند النسائي وابن حبان: إنه متروك الحديث. وقال الدارقطني: إنه منكر الحديث. وقال عنه الجوزجاني: إنه زائع. وقال عنه ابن حبان: إنه فتن بحب الإمام علي حتى أتى بالطامات فاستحق الترك. وقال عنه البزار: إن أكثر أحاديثه في علي عليه السلام لا يرونها أحد غيره. وقال عنه ابن سعد: إنه كان على شرطة علي عليه السلام. وانفرد بتوثيقه أحمد بن عبد الله العجلي (ت ٢٦١هـ)، وذكر الحافظ العجلي (ت ٢٢٢هـ) أن الأصبغ كان يقول

بالرجعة، وروى عنه بعض الشيعة ذلك. نقل العاملي عن أبي الفتح الكراچكي رواية عن الأصبغ أن معاوية سأله: إنكم تزعمون أن علياً دابة الأرض (إشارة لما ورد في الآية الكريمة) فقال: نحن نقول بما تقول به اليهود عن إيا. فقال معاوية: وبلك ما أقرب إيا من علياً. وتذكر مصادر الشيعة أنه من الموثوق بهم ومن أصحاب علي، روى عن الإمام علي عهده لمالك بن الأشتر حينما ولاه مصر. كما روى وصية الإمام علي لابنه محمد ابن الحنفية. وشرطة الخميس بضعة آلاف شارطهم الإمام علي على الجنة، على أن يكونوا في مقدمة جيشه ورجاله، يطلبهم في الملمات ^(١). وسأل الأصبغ:

كيف سميت شرطة الخميس؟ قال: أنا ضمنا له الذبح.

وتنسب رواية للأصبغ عن الإمام علي قوله: إن رسول الله ﷺ: «علمه ألف باب في الحلال والحرام مما كان وما كائن إلى يوم القيامة، كل باب يفتح ألفاً حتى علمت علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب، وحتى علمت المنكرات من النساء والمؤمنين من الرجال».

وقد ورد في تفسير فرات الكوفي رواية تفيد اعتقاد أصبغ بالوصية لعلي، وأنه أي الإمام علي أفضل الأوصياء. كما نسب إليه القول بالرجعة على ما تقدم ^(٢).

٢- رشيد الهجري الرياشي بن عدي الطائي (ت ١٢٨هـ).

ذكر أنه من أصحاب الإمام علي. وأنه روى عن أبيه، كما روى عنه سيف يباع السابري. لم يوثقه البخاري ولا النسائي، وقال عنه ابن حبان: إنه

(١) المصدر السابق، ص ٤٠ - ٤٢. د. سعدي الهاشمي: المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٤ - ٤٦.

كان يؤمن بالرجعة. وقيل: إنه كان يرى بأن علياً هو دابة الأرض المذكورة في القرآن. ففي رواية عن حبيب بن مهبان قال: «سمعت علياً على المنبر يقول: دابة الأرض تأكل بفيها وتحديث بأستها. فقال رشيد الهجري: أشهد أنك تلك الدابة، فقال له علي عليه السلام قولاً شديداً»^(١). ومن المناكير التي رواها ما نقله ابن حبان والشعبي عنه أنه قال: خرجت حاجاً، فقلت: لأعهدن بأمر المؤمنين، فأتييت بيت علي، فقلت لإنسان: استأذن لي على أمير المؤمنين، قال: أو ليس قد مات؟ قلت: قد مات فيكم، والله إنه يتنفس الآن نفس الحي، قال: أما إذا عرفت سر آل محمد فادخل، فدخلت على أمير المؤمنين، وأنبأني بأشياء تكون. فقال له الشعبي: إن كنت كاذباً فلعنك الله»^(٢).

أما مصادر الشيعة فتوثقه وتعد روايته السابقة دلالة على علمه بالبلايا والمنايا، كما قال المامقاني^(٣). وتروي أن الإمام علياً أخبره أنه سيموت مقطوع اليدين والرجلين واللسان، فكان ذلك على يد عبيد الله بن زياد والي الكوفة، حسب رواية ابنه قنواء. ولقد تداولت مصادر الشيعة هذه الرواية وغيرها عن رشيد الهجري، واستفاضت في مدحه وتوثيقه، وأنه يصل إلى حد العصمة ومعرفة الغيب^(٤). ومن هنا ندرك كيف دخلت على مصادر الشيعة القديمة تلك الأفكار الغالية، التي دفعت والي الكوفة إلى قتله، وقتل كثير ممن ادعوا أفكار الغالية كما هو معلوم، وأشير إلى أن مصادر السنة المتعلقة بالأنساب أو الرجال تخلو عن ذكر هذه الشخصية، مثل تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير والإصابة لابن حجر وطبقات ابن سعد، وتهذيب الكمال

(١) المصدر السابق. ص ٤٨. عن ميزان الاعتدال. ج ٢. ص ٥٢. ولسان الميزان. ج ٢. ص ٤٦١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المامقاني. تنقيح المقال. ج ١. ص ٤٣١.

(٤) المجلسي. البحار. ج ٢٥. ص ٣٥١.

للمزي، وتهذيب التهذيب لابن حجر وكتب الأنساب عند الكلبي أو ابن حزم في أنساب العرب.

٣- داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأزدي الزعافري الكوفي الأعرج (ت ١٥١هـ).

تذكر كتب الحديث عند السنة أنه روى عن أبيه، وعن كل من الشعبي والحكم بن عيينة وسماك بن حرب والمغيرة بن شبيب وإبراهيم النخعي وغيرهم. أما الذين رووا عنه، فمنهم شعبة وأبو نعيم وخلاد بن يحيى وسفيان بن عيينة ووكيع وغيرهم.

أما أقوال المحدثين فيه فهو عند أحمد وأبي داود وابن معين ضعيف. ولم يوثقه النسائي. وقال عنه العجلي: لا بأس به. يكتب حديثه. قد روى له البخاري حديثاً واحداً في الأدب. وقال عنه ابن حبان: إنه كان يؤمن بالرجعة^(١).

٤- المغيرة بن سعيد العجلي الكوفي (ت ١٢٠هـ).

تسب له فرقة المغيرية التي نشأت بالكوفة، حيث قد ذكرت المصادر أنه ادعى النبوة، واشتغل بالشعبذة والتمويه على ضعاف العقول بالكوفة. قال عنه يحيى بن معين: إنه رجل سوء. وقال عنه ابن عبد البر: إنه كان ساحراً مشعبذاً. قتله خالد القسري والي الكوفة وأحرقه، وتشير المصادر إلى أنه لم يكن عربياً، وإنما كان مولى لخالد القسري. وقال عنه ابن حبان: إنه من حمقى الروافض بالكوفة ومن واضعي الحديث. وقالوا عنه: إنه زور على الإمام علي وعلى آل البيت أحاديث منكورة. وتذكر المصادر أنه كان أعمى، وكان على علم بالديانات القديمة، خاصة المانوية والمندائية (الصابئة)، وقد ذكر العقيلي

(١) د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق.

أن المغيرة بن سعيد يؤمن بالرجمة، وينتقص من الشيخين وبلغتهما. ونسبت له بعض الروايات قوله بألوهية الإمام علي وتكفير أكثر الصحابة. وزعم أن الإمام علياً يحيي الموتى. وأنه مسح على عيني أعمى فأبصر^(١). وتناقلت كتب الشيعة هذه الروايات واعتمدت تصديقها، كما هو عند الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد، وقد جمع المجلسي في كتابه البحار جملة من معجزات الأئمة أسند بعضها للإمام علي عن المغيرة بن سعيد وغيره من الرواة؛ ولذا فإنه من الأهمية بمكان لمن يريد معرفة جذور التشيع، وكيف نشأ أن يتناول هؤلاء الرجال، ويستعرض أفكارهم وحياتهم؛ ليدرك كيف دخلت أفكارهم بعدئذ على التشيع وصدقته الشيعية بمرور الزمن، وأصبحت مبادئ ومعتقدات لا يمكن الرجوع عنها أو إنكارها؛ لأنها من ضرورات المذهب^(٢).

هـ- جابر بن يزيد الجعفي الكوفي:

روى جابر عن أبي الطفيل عامر بن واثلة وأبي الضحى مسلم بن صبيح وعكرمة وعطاء وطاوس وخيثمة والمغيرة بن شبل والشعبي.

وروى عنه شعبة والثوري وإسرائيل والحسن بن حي وشريك ومسعر ومعمّر وأبوعوانة وغيرهم. وأما من روى عنه من الشيعة فقد ذكر بعضهم النجاشي منهم عمرو بن شمر ومفضل بن صالح ومنخل بن جميل ويوسف ابن يعقوب.

وصفه سفيان الثوري بالورع. ويظهر أن شعبة كان يتكلم في جابر، فلم يقبل منه الثوري ذلك. وذكر الإمام أحمد أن ما رواه شعبة عن جابر

(١) د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٣.

يبلغ نحو سبعين حديثاً. وقال عنه يحيى القطان (ت ١٩٨ هـ): «تركنا حديث جابر قبل أن يقدم علينا الثوري». كما ذكر أن عبد الرحمن بن مهدي ترك الرواية عن جابر بعد أن كان يروي عنه.

٦- محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن الكلبي (أبو النضر الكوفي) (ت ١٤٦ هـ).

وقد روى ابن الكلبي عن أخويه سفيان وسلمة وعامر الشعبي والأصبغ ابن نباتة وأبي صالح مولى أم هانئ.

كما روى عنه كل من ابنه هشام وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وحماد بن سلمة وابن المبارك وابن جريج وغيرهم كثير، أما قول أهل الجرح والتعديل فلا يوثقونه عموماً، فقد قال فيه أبو حاتم: إن أهل الحديث مجمعون على ترك حديثه. ولم يوثقه النسائي، وقال عنه الدارقطني وغيره: إنه متروك الحديث. روى ابن أبي حاتم بسنده قول ابن الكلبي: مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ، فأتيت آل محمد ﷺ فتفتشوا فيّ، فحفظت ما كنت نسيت.

وقد عجب بعض أهل الحديث كيف أن سفيان الثوري يروي عن ابن الكلبي وهذه حاله، فقيل: إنما يروي على سبيل إيضاح حالة صحيحة من سقيمها؛ ليحذر منه.

هذا وقد تناولت كتب التفسير بعض الروايات عن الكلبي، ويسند الكلبي في تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس، وتحقيق العلماء في هذه الرواية أنها باطلة؛ لأن أبا صالح لم ير ابن عباس مطلقاً.

ومن المناكير التي رويت عن الكلبي هذا أن جبريل كان يوحى إلى النبي ﷺ، فقام النبي لحاجته وجلس علي فأوحى إلى علي. قال عنه ابن حبان: إنه كان سبئياً. وكان من الذين يقولون: إن علياً لم يموت، وأنه راجع إلى الدنيا^(١).

٧- عثمان بن عمير البجلي الثقفي الكوفي الأعمى (ت ١٥٠ هـ).

وقد روى عثمان هذا عن أنس وزيد بن وهب وأبي الطفيل وعدي بن ثابت وأبي حرب ابن أبي الأسود.

وقد روى عنه حصين بن عبد الرحمن والأعمش وحجاج بن أرطاة وسفيان الثوري ومهدي بن ميمون وشريك.

أما أهل الحديث فلم يوثقه أكثرهم، فقال عنه ابن معين: «ليس بشيء». وعند الدارقطني: أنه متروك الحديث. وعند الحاكم: أنه زائف. وقال ابن عبد البر: «كلهم ضعفه». وذكر البخاري: أنه منكر الحديث. وقال عنه ابن عدي: «ردى المذهب غالباً في التشيع، يؤمن بالرجعة، على أن الثقات قد رووا عنه مع ضعفه»^(٢).

٨- عمرو بن جابر الحضرمي:

ومن شيوخ عمرو الذين روى عنهم جابر بن عبد الله وسهيل بن سعد وعبد الله بن الحارث وعمر بن علي بن أبي طالب والأعمش.

(١) التجاشي. رجال. ص ١٤٠-١٤٦. د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق.

(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٥٤.

أما من روى عنه فكثير، منهم ابنه عمران وعكرمة بن عمار وسعيد بن أبي أيوب وأبي لهيعة وبكر بن مضر وهانئ بن المنذر الكلاعي.

نقل عن أحمد بن حنبل أنه قد بلغه أن عمراً كان يكذب. كما قال: إنه قد روى عن جابر مناكير. قال عنه الجوزجاني: إنه غير ثقة وعلى حمق وجهل. قال عنه الأزدي: إنه كان كذاباً. ولكن أبا حاتم ذكر أنه صالح الحديث. ومن المناكير التي رويت عنه أنه كان يقول: إن الإمام علياً عليه السلام يرى في السحاب. هذا وقد صحح الترمذي حديثه. وروى أكثر من واحد أن عمراً هذا كان يقول إذا مرت به سحابة: «هذا علي بن أبي طالب قد مر في السحاب»^(١).

٩- ثابت بن أبي صفية الثمالي الملقب بأبي حمزة (ت ٨٣هـ).

سبق أن ذكرنا أقوال العلماء فيه: أنه من الذين كانوا يشتمون الخليفة عثمان بن عفان عليه السلام في الكوفة. وهو الذي ورد عنه حديث (دعاء صنمي قريش).

قال عنه العقيلي فيما روي: أنه يؤمن بالرجعة^(٢).

وفي تفسير فرات وهو من أقدم التفاسير عند الشيعة روايات كثيرة عن ثابت الثمالي توضح تأويل الثمالي لكثير من الآيات: أن المقصود منها علي بن أبي طالب منها: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِرِجْدَةٍ﴾ أي بولاية علي. ونسب له أيضاً قوله: إن الآية تقرأ: (وإذا قيل لهم ما أنزل إليكم في علي قالوا أساطير الأولين). كما روي عنه. (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعني، ولقد ذكرنا علياً في هذا القرآن. كما نقل عنه رواية منكراً يتهم فيها أن علم

(١) سعدى الهاشمي، المصدر السابق، ص ١٥٨

(٢) سعدى الهاشمي، المصدر السابق، ص ١٦٤ و ص ١٧٥.

النبوّة لم ينقطع وإنما جعله معه في علي وذريته. هذا إضافة لما نقلناه من اعتقاده بالوصية وما نسب إليه من القول في حق بعض الصحابة إنهم أعداء الله. ونسب ذلك للإمام محمد الباقر^(١).

١٠- زياد بن المنذر النهدي الهمداني الملقب بأبي الجارود أو سرحوب (ت ١٥٠هـ):

وقد روى عن عطية العوفي وأبي الجحاف داود بن أبي عوف والأصبغ ابن نباتة وأبي الزبير وأبي جعفر.

أما من روى عنه فمنهم مروان بن معاوية الفزاري ويونس بن بكير وعلي بن هاشم بن البريد ومحمد بن سنان العوفي.

وزياد لم يوثقه أكثر أهل الحديث، فهو عند أحمد ضعيف ومتروك وكذلك عند الدارقطني والنسائي. وقال عنه ابن معين: ليس يساوي فلساً. وعند أبي حاتم: أنه منكر الحديث. وقال عنه ابن حبان: لقد كان يضع الحديث في مطالب الصحابة. وقد روى له الترمذي حديثاً واحداً في صفة يوم القيامة.

وتنسب فرقة الجارودية أو السرحروبية إلى زياد بن المنذر وآرائه، فقد ذكر النوبختي: أن من آرائهم أن الإمام علياً أحق بالولاية، وأن من دفعه وتقدم عليه كافر، وجعلوا الإمامة بعده لابنه الحسن، ثم الحسين، ثم هي شوري في أولادهما. ومن خرج مستحقاً الإمامة فهو الإمام، وعن هذه الآراء تشعب الزيدية. ونسبوا له القول: إن الرسول ﷺ قد نص على إمامة علي بالإشارة دون التسمية أو التعيين، وينسب البغدادي إلى الجارودية اعتقادهم بتناسخ الأرواح، وأن أرواح الأئمة والأنبياء متولدة.

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق، ص ١٨٤.

ويسند أبو الجارود رواياته للإمام أبي جعفر الصادق، وهي منتشرة في كتب الشيعة، ومنها كتاب الأصول للكليني وعموم الكتب الأربعة، وكثير من روايته أن الإمام ينظر من الخلف كما ينظر من الإمام^(١)، وتختلف المصادر في نسبه، فمرة تذكر أنه نهدي، ومرة أنه ثقف، ومرة أنه هندي، وربما يكون السبب في ذلك أنه غير عربي وإنما كان مولى.

١١- محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي الكوفي (ت ٣٢٦هـ):

وقد روى محمد بن القاسم عن علي بن المنذر الطريقي وأبي كريب، وروى عنه الدارقطني ومحمد بن عبدالله القاضي الجعفي.

قال عنه الحافظ أبو الحسن بن حماد الكوفي: «كان يؤمن بالرجعة...»^(٢).

هذا وقد أنكر كثير من أصحاب الإمام علي عليه السلام فكرة رجعته بعد مماته، منهم عاصم بن ضمرة وهو من أصحاب علي، كما أن أئمة من أهل البيت أنكروا ما كان يروج عن بعض أصحاب الإمام علي من رجعته، منهم ابنه الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد ورد في مسند الإمام أحمد أن عاصم بن ضمرة عليه السلام قال للحسن بن علي: «إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه»^{(٣) (١)}.

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٨٠ - ١٨٤.

(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ٢٢٨.

(٣) مسند أحمد. ج ٢. ص ٣١٢.

(٤) يمكنك الرجوع إلى الاثني عشر رجلاً من رواة الحديث الذين أدخلوا التراث اليهودي للتشيع، خاصة صراحة بن خبيرة ص ٢٢٥-٢٢٩، وكذلك الأحد عشر رجلاً الذين ورد عنهم بعض أفكار الغلاة. ص ٢٤٠ - ٢٤٨.

وأخيراً: نود أن نشير إلى أن هناك الكثير من غلاة الشيعة الذين من المحتمل أنهم كانوا يؤمنون بفكرة الرجعة، ولكن لم تذكر المصادر عنهم ذلك بالتحديد من أمثال أبي منصور العجلي البكري، الذي تنسب إليه فرقة المنصورية، وكان أصحابه كما تذكر المصادر يستحلون قتل مخالفهم وأخذ أموالهم واستحلل نساءهم، وقد قتله يوسف بن عمر الثقفي، ثم صلبه.

نماذج ممن ورد عنهم بعض أفكار الغلاة:

١- فرات بن الأنحف بن مشرح بن أبي بحر الهلالي الكوفي.

روى فرات عن أبيه وعن عقبة بن حريث.

وروى عنه مالك بن سعيد بن الخنس وعبد الواحد بن زياد ومروان الفزاري ومحمد بن فضيل وعبد بن سليمان ووكيع.

وقد وثقه أبو حاتم الرازي ويحيى بن معين. ولكن الذين جرحوه كثيرون، منهم ابن حجر وأبو داود وسفيان والنسائي. وفي رواية لابن حبان بسنده عن ابن نمير: أن فراتاً كان ممن يقول: علي بن أبي طالب في السحاب. وقال عنه ابن حبان: إنه كان غالباً في تشيعه، لا تحل الرواية عنه، ولا الاحتجاج بروايته. وقال عنه الذهبي: هو من غلاة الشيعة.

أما مصادر الشيعة فمختلفة في حاله: قال عنه الطوسي: إنه من أصحاب علي بن الحسين. وقال عنه: إنه يرمى بالغلو والتفويض. وذكر الأردبيلي أسماء من روى عنه، منهم عمرو بن مصعب وأحمد بن محمد بن خالد البرقي. وقال: وروايته عنه مرسل؛ لأن زمانه بعيد عن زمان فرات. كما ذكر أيضاً من الأسماء عمرو بن عيسى وعثمان بن عيسى ومحمد بن سنان.

وفكرة التفويض من أفكار الغلاة، وقد ظهرت مذاهب من المفوضة الذين يقولون: إن الله سبحانه وتعالى خلق محمداً ﷺ وفوض إليه أمر العالم. ثم ذهب بعضهم إلى نقل فكرة التفويض إلى الإمام علي عليه السلام.

وقال عنه أحمد بن الحسين (ت ٤١١هـ) الملقب بابن الفضائري: زعموا أنه غال كذاب، قال عنه العقيلي: «... إنه كان يقول في محمد ﷺ شيئاً من القديم» وهو يرمز لفكرة التفويض. وقال عنه ابن داود: «... يرمى بالغلو والتفويض القول. غال كذاب». وقال عنه المامقاني: «... والرجل لا يمكن إصلاح حاله مع هذه المذاهب...» ومع كون الرجل هذه حاله في كتب الشيعة، فإن الكليني قد اعتمد رواياته في كثير من أبواب الكافي^(١).

٢- أبو القاسم نصر بن الصباح البلخي (من رجال المئة الثالثة):

لا توثقه كتب رجال الشيعة القديمة. ذكر الطوسي أنه من أهل بلخ الشيخ، وقال: «قيل: كان من الطيارة غالياً». ولفظ الطيارة إما أن المقصود به الارتفاع إشارة إلى الغلو أو أنه إشارة إلى مذهب الطيارة من الشيعة الذين كانوا يعتقدون أن الأئمة (أو الشيعة أصحاب هذا المذهب) لا يموتون، وإنما تطير نفوسهم في الفلس. وفي هذا إشارة إلى أفكار الزرادشتية وتناسخ الأرواح.

وذكر الكشي أنه من الغلاة، وكذلك فعل النجاشي، ولكن كتب المتأخرين على عاداتهم يوثقونه، منهم المامقاني ومحمد بن إسماعيل الحائري وغيرهم^(٢).

٣- علي بن حسكة القمي:

قال عنه الكشي: إنه من الغلاة في وقت الإمام علي بن محمد العسكري، ونقل رواية عن الإمام أبي الحسن العسكري يلعب فيها علي بن حسكة وتلميذه

(١) سمدي الهاشمي، المصدر السابق، ص ٢٠١ - ٢٠٦، النجاشي. رجال. ص ٤٢.

(٢) سمدي الهاشمي، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

القاسم اليقطيني؛ لأن شيطاناً يتراءى للقاسم، فيوحي إليه زخرف القول غروراً.

كما نقل رواية أن بعض أصحابهم كتب إلى الإمام أبي الحسن العسكري يسأله عن حال علي بن حسكة، الذي يرى: «أنه من أولئك وأنت أنت الأول القديم، وأنه بابك ونيبك، أمرته أن يدعوإلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك...» فكتب إليه الإمام بلعن ابن حسكة وتكذيبه.... وقال: «فإن وجدت منهم أحداً فاخذش رأسه بحجر»^(١).

٤- القاسم اليقطيني الشعراني القمي أبو الحسن بن علي بن يقطين بن موسى مولى بني أسد.

ذكر الطوسي أن الرجل يرمى بالغلو. وقال عنه الكشي: إنه كان يدعي أنه باب وأنه نبي.

وذكر ابن الغضائري أن أهل قم يرمونه بالغلو، ولكن فيه الخير، وذكر الخوئي أنه من الضعفاء بشهادة ابن الوليد. خاصة ما ذكر من فساد عقيدته. وقد أورد الكشي روايات تدل على تأويل القاسم اليقطيني وعلي بن حسكة إلى كون الصلاة والصيام والحج و... إنما تدل على رجال ولم يقصد بها حقيقتها. وإن الإمام أبا الحسن العسكري قد أمر باعتزالهم^(٢).

٥- رشيد الهاجري الطائي؛

سبق الحديث عنه وأنه من أصحاب الإمام علي، وأنه من الذين كانوا يؤمنون برجعة الإمام علي، أو أن الإمام علياً هو المعني بدابة الأرض. وإنه

(١) سعدي الهاشمي، المصدران السابقان.

(٢) المصدران السابقان

كان يدعي معرفة سر آل محمد ﷺ الذي به يكلم الموتى. وأنه ادعى وطلب تكليم الإمام علي في قبره، وادعى أنه يسمعه، وأنه يتنفس في قبره. كما ادعى أن الإمام علياً أخبره بأسرار ستقع وهو في قبره. كما كان يدعي أن الإمام علياً قد علمه علم البلايا والمنايا. وأن الله قد من عليه بالعصمة عن مخالفة الرحمن^(١).

هذا وانظر آراء العلماء السنة والشيعة فيه كما مر سابقاً.

٦- المغيرة بن سعيد (ت ١٢٠هـ).

سبق الحديث عنه وأقوال علماء السنة والشيعة فيه، ويهمننا استعراض أهم الآراء الغالية التي ادعى بها، كما وردت في المصادر الموثوقة:

١- ادعى النبوة بالكوفة، وكان قد شغل أهل الكوفة بادعاء الشعبة وإشغال النيران، فتبعه خلق كثير من ضعاف العقول، الذين صدقوا سحره ودعواه، فسموا بالمغيرة.

٢- اعتقاده برجعة الإمام علي إلى الدنيا.

٣- لعنه وانتقاصه من أبي بكر وعمر ﷺ.

٤- ينسب للإمام علي الخوارق التي لا تصدق: كال مسح على الأعمى فيبصر، وإحياء الموتى... وقد صدق بعض علماء الشيعة هذه الأقوال، وأوردوها في كتبهم، منهم الشيخ المفيد في كتابه المسائل والإرشاد وغيرها، وابن شهر آشوب في كتاب المناقب والمجلسي في البحار وغيرهم.

(١) رجال. ص ٤٩.

٥- كما ادعى أنه وصي لبعض الأئمة من الشيعة، ثم ادعى أنه هو نفسه إمام، وأكد إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، حسبما أورد ذلك النوبختي في كتابه (فرق الشيعة)^(١).

٦- ثم ادعى النبوة وأن جبريل يأتيه بالوحي حسبما ذكر النوبختي. كما ادعى أنه يحيي الموتى.

٧- وردت له تأويلات باطنية لآي من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي بعلي بن أبي طالب. والإحسان: فاطمة. وإيتاء ذي القربى: الحسن والحسين.

وقد وجدت هذه الآراء صدى عند بعض مفسري الشيعة، فقد ورد في تفسير فرات بسنده أن الإمام علي قال: «... ولقد اصطفاني ربي بالعلم والظفر، ولقد وفدت على ربي اثنتي عشرة وفادة، فعرفني نفسه، وأعطاني مفاتيح الغيب... أنا قال الله فيه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾».

وذكر النوبختي: أن بيانا هذا قد ادعى أنه نبي، وأنه قد نسخ بعض شريعة محمد عليه السلام. كما ذكر البغدادي أنه ادعى الربوبية، أي إن الله قد حل به، وزعم أنه هو المقصود بالآية: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾. وقال: أنا البيان. كما ادعى بالتناسخ والرجعة. وتجرأ فأرسل إلى الإمام محمد الباقر يطلب إليه أن يؤمن به، وقد وصمه الإمام بالكفر واللعن^(٢).

(١) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٨٥

(٢) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٥١. البغدادي. الفرق بين الفرق. ص ٢٣٧.

جابر بن يزيد الجعفي:

لقد تم ذكره وآراء العلماء فيه ومدى توثيقه ورأيه المتعلق بالوصية من النبي ﷺ للإمام علي بالإمامة، وأنه يؤمن بالرجعة، ويضاف إلى ذلك أن كثيراً من المصادر تنسب إلى جابر بن يزيد الجعفي آراء أخرى، فقد وصفه يحيى بن يعلى بأنه كان يؤمن بالرجعة. ونقل عنه أنه كان يشتم بعض الصحابة. ونادى بانتقال الإمامة من علي إلى أبنائه. كما نسب لجابر أنه ادعى أنه الباب والواسطة بين الشيعة في الكوفة والإمام محمد الباقر ومن بعده جعفر الصادق. وهذه الآراء نقلتها لنا مصادر الشيعة القديمة خاصة، ففي كتاب الغيبة للنعماني أحاديث تنسب لجابر قوله ورأيه بالوصية^(١).

ونقل الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد روايات مسندة إلى جابر بإيمائه بانتقال الإمامة من معصوم إلى إمام معصوم آخر من آل محمد، وأنه يكون هو القائم^(٢). كما أورد الكليني في الكافي روايات عدة عن جابر بهذا المعنى، ويؤمن جابر بأن العلم انتقل من النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب، ومنه انتقل من الإمام إلى الذي يليه. وقد قال المامقاني عن جابر: إنه كان باباً للإمام محمد الباقر، ومن بعده الإمام جعفر الصادق، وعلى ذلك وثقه برغم ما قيل فيه من قدح. وهذا هو رأي الشيعة النصيرية القائلين: إن جابراً كان باباً للإمام الصادق. والباب هو مدخل العلم والأسرار: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وعلى ذلك لا يحصل العلم دون الدخول إليه من الباب، والإيمان بالمعصومين الاثني عشر.

(١) النعماني. الغيبة. ص ٩٦، ص ٩٢-٩٦.

(٢) المفيد. الإرشاد. ص ٥٢٦.

ونقل عن جابر: أنه كان يدعي أن علي بن أبي طالب هو دابة الأرض المذكورة في القرآن. وأنه يعلم سر السلام على الإمام المهدي، ولما سأله أحد أصحابه كيف ذلك رد عليه: إن قلت لك كفرت.

كما نقل أن جابراً ادعى أن المغيرة بن سعيد قد أوصى له قبل موته. وادعى أن للأئمة المعصومين صفة إلهية وأنهم يعلمون الغيب، ونسب لجابر مخاريق لا يصدقها عقل، فيها إيهاء بأنه يعلم الغيب، ويرمي الخاتم بنهر الفرات، ثم يدعو الخاتم فيجيء، وفيها ما يفهم أنه يعلم لغة الحيوان وما تقوله الشاة لولدها. وعنده قوى كرفع سقف البيت، لأن ينظر الرأي ملكوت السماوات^(١).

وقد انقسم علماء الشيعة في توثيقه أو جرحه. فهو عند البرقي والطوسي وابن الغضائري من الموثوقين، وكذلك عند البربري والحر العاملي والمامقاني والمجلسي من الثقات.

أما من ضعفه ولم يوثقه فهم قلة من القدماء منهم النجاشي، أما من المتأخرين فقد ضعفه ابن داود الحلبي^(٢).

هذا، وتورد مصادر الشيعة القديمة آراء غريبة لجابر متعلقة بالقرآن الكريم، يستفاد منها أن القرآن قد أنقص منه. روى الكليني بسنده عن جابر أنه قال: نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا: «وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله» كما أورد الكليني روايات عدة عن جابر بهذا المعنى، وأن القرآن لم يجمعه أحد كما أنزل، إلا الإمام علي^(٣).

(١) الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص ١٩٠ - ١٩٧.

(٢) د. سعدي الهاشمي. الرواة الذين تأثروا بابن سبأ. ص ١٢٥.

(٣) الكليني. الأصول. ج ١. ص ٤١٧.

وقد نقل الشيخ المفيد رواية عن جابر أنه كان يقول بإباحة إعرارة فرج الأمة. وقد أيد هذه الرواية الشيخ الطوسي في كتاب الاستبصار مسنداً الإباحة من الإمام الصادق. ونسب لجابر رواية عن الصادق أن الرسول ﷺ قال لعلي فيما قال: «لتبلغن الأسباب، والله لتركبن السحاب». ثم ذكرت رواية أخرى: «والله لتؤتين خاتم سليمان وعصا موسى»^(١).

أبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني النهدي:

سبق الحديث عنه وأقوال العلماء من الفريقين، وإنه كان من المعتقدين بأن الإمامة لعلي عليه السلام كانت بالنص من الرسول ﷺ عن طريق الإشارة. فهو ممن يؤمن بالوصية ولكن على نحو آخر. وله آراء متناثرة في كتب الشيعة القديمة، نستعرضها كما يأتي؛ لأنها تحمل الجذور الأولى للتشيع في الكوفة، برغم كون الجارودية وقتها من أصحاب الإمام زيد بن علي؛ لأنهم قالوا بالإمامة لعلي ثم الحسن والحسين، وهي بعد ذلك شورية في أبناء علي، فإن قام أحد منهم رافعاً سيفه استحق الإمامة مثل زيد بن علي المصلوب في كناسة الكوفة^(٢).

لكننا نجد لأبي الجارود روايات كثيرة في كتب الحديث عند الشيعة "الاثني عشرية"، نخص منها كتاب التهذيب^(٣) للطوسي والكاظمي^(٤)، وكتاب الاستبصار للطوسي^(٥) أيضاً. وكتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)^(٦).

(١) د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق. ص ١٢٢.

(٢) التويفي. فرق. سبق ذكره.

(٣) انظر أبواب: الصيد، الصلاة، الظهار، الذبائح.

(٤) الكليني، الكافي، انظر أبواب المعيشة، فضل العلم، الأطعمة، الدواب، الأشربة، الدعاء.

(٥) انظر أبواب: لحم الحمر الأهلية، الأطعمة والأشربة.

(٦) انظر أبواب: الصلاة، الظهار.

وتنسب بعض المصادر تفسيراً لأبي الجارود، والبعض يذكر أنه رواية أبي الجارود عن الإمام الباقر، وقد وردت في تفسير القمي (علي بن إبراهيم) المشهور والمطبوع روايات كثيرة عن أبي الجارود في تفسير بعض الآيات الكريمة، بعضها مسندة إلى الإمام أبي جعفر الصادق، وأخرى مسندة إلى الرسول ﷺ، وثالثة تعد من آرائه الشخصية كما يبدو.

كما أن لروايات أبي الجارود المتعلقة بالتفسير صدى في تفسير فرات المشهور والمعتمد عند الاثني عشرية. وفي بعض هذه الروايات بسند أبي الجارود إلى الإمام زيد بن علي وأخرى لعبد الله بن الحسن بن علي، وفي البعض يسند الرواية إلى الإمام أبي جعفر. ومن أمثلة الروايات المتعلقة بالإمامة، وهي الموضوع المهم عند رجال القرن الأول رواية أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر يقول: إنه حين أنزل الله: «اليوم أكملت لكم دينكم....»، قال: فكان الدين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام^(١).

أما أقوال علماء الشيعة بأبي الجارود فمختلفة، فقد ماؤهم في الرجال لا يوثقونه، فقد روى الكشي بسنده عن أبي بصير أن الإمام الصادق قال عن أبي الجارود: «أما والله لا يموت إلا تائهاً». وقد ضعفه الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست. وقال عنه الحسن العاملي (ت ١٠١١ هـ): مذموم لا شبهة في ذمة. كما ضعفه المامقاني.

وممن وثق أبا الجارود الشيخ المفيد في الرسالة العديدة. وعلي بن إبراهيم القمي في تفسيره المعروف وابن الفضائري. والشيخ الخوئي معتمد على جملة أسباب منها الاحتمال الكبير برجع أبي الجارود عن الزيدية

(١) تفسير فرات، ص ٨٧.

واعتاقه مذهب (الاثني عشرية) بدلالة رواية ابن بابويه القمي مسندة عن أبي الجارود عن جعفر بن محمد عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أنه دخل على فاطمة وبين يديها لوح كتب فيه أسماء الأوصياء الاثني عشر^(١).

علي بن أبي حمزة سالم البطائني

وهو من موالي الأنصار كوفي، روى عند الشيعة عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر، وهو من رؤوس الواقعة، أي الذين توقفوا عند إمامة الثامن ولم يجروا الإمامة للتاسع ومن بعده، وهم كثر في العصر العباسي، ولهذا الأمر سببان: سياسي ومالي؛ فالسياسي غرضه التوقف عن القول بوجود إمام موجود للشيعة في ذلك الوقت، تجنباً لبطش السلطان العباسي. والثاني: إن كثيراً من زعماء الواقعة أمثال علي البطائني كان لديهم أموال الإمام، تأتيتهم من نواحي وقرى كثيرة: كزكاة أو حق الإمام أو ما سميت فيما بعد بالخمس. فلما توفي الإمام أنكر بعضهم وفاته، وقال: إنه لم يمض بل سيرجع، وآخرون لم يقرروا بإمامة ابنه الإمام التاسع، فلم يدفعوا إليه تلك الأموال، بل أخذوها لأنفسهم؛ ولذا نجد صب اللعنات عليهم في كتب رجال الشيعة.

قال عنه الحسن بن علي بن فضال: إن البطائني كذاب متهم ملعون، رويت عنه أحاديث كثيرة في التفسير. لم يوثقه ابن الغضائري. وروى الكشي في رجاله روايات كثيرة في ذمه. وورد ذمه عند كثير من محققي رجال الشيعة، ومع ذلك فإن أحاديثه منبثة في أمهات كتب الشيعة الإمامية، أمثال الكافي والمبسوط والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه وغيرها^(٢).

(١) د. سعدى الهاشمي. الرواة. ص ١٩٣.

(٢) محمد بن علي الأردبيلي الحائري: جامع الرواة. المجلد الأول. ص ٥٤٧ دار الأضواء. بيروت ١٩٨٣. وقد أوضح محمد مآل الله أثر البطائني في التشيع، وأحصى مروياته في أمهات كتب الشيعة. انظر الرافضة وطهارة المولد. ط ١، ١٤١١ م. ص ٣٥ وما بعدها.

وتنقل كتب الشيعة عدم توثيقه من الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر،
فقد قال له: «يا علي أنت وأصحابك أشباه الحمير»^(١).

محمد بن مسلم بن رياح الثقفي

هو مولى لثقيف، ويلقب بالأعور، كوفي، تذكر مصادر الشيعة أنه صحب
الإمامين جعفر الصادق ومحمد الباقر مع أنهما في المدينة وهو في الكوفة.
قال عنه النجاشي: إنه من أوثق الناس، له كتاب الإربعمئة مسألة. في أبواب
الحلال والحرام. وقال عنه الكشي: إن الإمام جعفر قال له: (تواضع)؛ لأنه
كان رجلاً شريفاً موسراً، فلما جاء إلى الكوفة اشترى قوصرة تمر، وأخذ
يبيع التمر أمام المسجد بالميزان، حتى اعترض عليه قومه. أما المحدثون
المتأخرون فيوثقونه في روايته ويقبلونها، وهو من المكثرين في الرواية.

ومع هذا فقد ورد فيه أقذع الذم. بل أورد الكشي رواية عن جعفر
الصادق قوله: «لعن الله محمد بن مسلم، كان يقول: إن الله لا يعلم الشيء
حتى يكون»^(٢). وقال الإمام نفسه في حقه: «هلك المتريسون في أديانهم».
ومنهم محمد بن مسلم، وعلق الكشي في حق محمد بن مسلم أنه ليس على
شيء من دين الإمامية؛ لأنه يقول بالاستطاعة. ولا في شيء من ولايتنا^(٣).
وروى الكشي أن ابن أبي ليلى رد شهادة محمد بن مسلم^(٤).

(١) الطوسي: النبية. ص ٤٤. الكشي: رجال. ص ٣٤٥.

النجاشي: رجال. ص ١٧٥. قم ١٣٩٧.

(٢) الكشي: رجال. ص ٣٩٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق. ص ٣٨٤.

زرارة بن أعين (ت ١٥٠)

كان عبدًا روميًا لرجل عربي من بني شيبان تعلم القرآن، فأعتقه سيده. وكان جد زرارة سنسن راهبًا في بلاد الروم، ولزرارة أولاد عدة منهم الحسن والحسين، ومن إخوته رواة الحديث بكير وحرمان، ولبيت زرارة أثر كبير في الفكر الشيعي هو وأولاده وإخوانه، كما يقول الطوسي: إن «لهم روايات كثيرة وأصولًا وتصانيف.... ولزرارة تصنيفات منها كتاب الاستطاعة والجبر والعهود»^(١). وكانوا في الكوفة مركز التشيع.

وقد روى زرارة أحاديث أكثرها عن الإمام الصادق؛ لأنه قد التقى به فتبلغ مروياته من كتب الحديث الأربعة أكثر من ألفين ومئتي حديث، وقد أثنى على زرارة النجاشي، وذكر أنه كان قارئًا للقرآن فقيهاً متكلمًا^(٢) من كان هذا فيها شأنه في علم الحديث وروايته فما شأنه والوثوق به عند إمام الشيعة الإمامية أبو عبد الله الصادق؟

زرارة والإمام الصادق:

التقى زرارة الإمام الصادق، عندما كان زرارة يأتي من الكوفة حاجًا، فيمر على المدينة المنورة، وقد يمكث فيها ما يمكث الحاج ثم يرجع إلى الكوفة. ونستنتج من الروايات أن الإمام الصادق كان يتتبع أخبار زرارة هذا بسؤال من يأتيه من رجال الكوفة، وهذا التتبع مصدره كما يبدو قلق الإمام الصادق من آراء زرارة وعدم التزامه بتوجيهات الإمام، مما قد يجر على الشيعة مشكلات عدة. ويبدو أن الإمام قد ضاق ذرعًا بزرارة، فوصفه

(١) الطوسي. فهرست. ص ١٤١-١٤٢.

(٢) النجاشي. رجال. ص ١٢٥.

بالكذب وأنه وأصحابه أشر من اليهود والنصارى، وأمر الإمام الصادق أصحابه من أن يتجنبوا زرارة، فلما علم بذلك زرارة تمادى أكثر ضد الإمام ولم يبال بالكذب عليه والتقول بما لم يقله الإمام عناداً منه ورداً على الحرب التي استمرت بينه وبين الإمام. ولا بتماده في الكوفة عن الإمام وجد فيها حرية كبيرة لأن يضع الحديث، ويكذب على إمامه.

روى الكشي أن الإمام الصادق سأل أحد أصحابه، وممن هو من أصحاب زرارة قائلاً: متى عهدك بزرارة؟ قال: ما رأيته منذ أيام. قال الصادق: لا تبال. وإن مرض فلا تعده، وإن مات فلا تشهد جنازته. قال: زرارة؟ قال: نعم زرارة. زرارة شر من اليهود والنصارى، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة^(١).

ومع أن زرارة ينقل أكاذيبه وآراءه عن طريق الكذب على الإمام (الصادق)، إلا أن بعضهم يعرف كذبه، فيعرض ذلك على الصادق.

روى الكشي عن زياد بن أبي الحلال قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن زرارة روى عنك في الاستطاعة شيئاً فقبلناه منه وطمعنا، وقد أحببت أن أعرضه عليك، فقال: هاته. فقلت: يزعم أنه سألك عن قول الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. فقلت: من ملك زاداً وراحلة. فقال: كل من ملك زاداً وراحلة فهو مستطيع للحج وإن لم يحج؟ فقلت: نعم. فقال: ليس هكذا سألتني ولا هكذا. قلت: كذب عليّ والله. كذب والله، كذب عليّ والله، لعن الله زرارة، لعن الله زرارة، إنما قال لي: من كان له زاد وراحلة فهو مستطيع للحج؟ قلت: قد وجب عليه. قال:

(١) الكشي. رجال. المطبوع مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص ١٦٠.

فمستطيع هو؟ فقلت: لا حتى يؤذن له. قلت: فأخبر زراراً بذلك؟ قال: نعم. قال زياد: فقدمت الكوفة فلقيت زراراً فأخبرته بما قال أبو عبد الله، وسكت عن لعنه، وقال: أما إنه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم، وصاحبكم هذا ليس له بعد بكلام الرجال^(١).

فهذه الرواية توضح بحق أن الهوة بين هؤلاء الرجال وبين إمامهم كبيرة جداً وترتيب عليها نتائج مهمة وخطيرة في تكوين عقيدة الإمامية وآرائهم بواسطة هؤلاء الرجال، مع العلم أن هؤلاء الأئمة يذودون عن عقيدة الإسلام الصحيحة في الوقت نفسه، فهذا الإمام الصادق كما روى الكشي بسنده عن مسمع بن كروين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لعن الله بريداً، ولعن الله زراراً». والإمام الصادق يتتبع زراراً وأخباره غير مطمئن لسلوكه، لينافح عن هذا الدين.

روى الكشي بسنده عن محمد بن أبي عمر قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: كيف تركت زراراً؟ فقلت: تركته لا يصلي العصر حتى تغيب الشمس. فقال: فأنت رسولي إليه، فقل له: فليصل في مواقيت أصحابي فأني قد حرمت. قال: فأبلغته ذلك، فقال: أنا والله أعلم أنك لم تكذب عليه، ولكن أمرني بشيء، فأكره أن أدعه.

وأثر زراراً يتضح بما له من نفوذ الكلمة بين قومه في الكوفة، حيث يهابه بعضهم إلى درجة أنهم لا يستطيعون الإنكار عليه بدعه وكذبه على الإمام.

روى الكشي عن عبد الرحمن القصير قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أئت زراراً وبريداً، فقل لهما ما هذه البدعة التي ابتدعتها، أما علمتما أن

(١) الكشي. رجال، ص ١٤٧.

رسول الله ﷺ قال: كل بدعة ضلالة؟ قلت له: إني أخاف منهما فأرسل معي ليثاً المرادي، فأتينا زرارة، فقلنا له ما قال أبو عبد الله عليه السلام، فقال: والله لقد أعطاني الاستطاعة وما شمر. فأما يريد فقال: والله لا أرجع عنها أبداً^(١). وقد خاطب الصادق أبا الصباح قائلاً: «هلك المتريسون في أديانهم منهم زرارة وبريد ومحمد بن مسلم وإسماعيل الجعفي»^(٢).

وزرارة كان على علم بعقائد أهل الكتاب وخاصة النصارى، وذلك أمر طبيعى حيث كان جده راهباً نصرانياً، وقد كانت المذاهب الإسلامية والمتكلمون في ذلك الوقت يتجادلون في مسألة الاستطاعة والجبر، وكان الإمام الصادق على علم بذلك، وعلى علم بأراء زرارة وجماعته في الكوفة بهذه العقائد. روى الكشي بسنده عن حنان بن سديد قال: كنت أنا ومعى رجل أريد أن أسأل أبا عبد الله ﷺ عما قالت اليهود والنصارى والمجوس:

الذين أشركوا هو مما شاء الله أن يقولوا؟ قال فقال لي: إن ذا من مسائل آل أعين ليس من ديني ولا من دين آبائي. قال: قلت ما معى مسألة غير هذه^(٣).

وهدف زرارة وآل أعين إنما يريدون بذلك أن يظهرُوا على قومهم بالعلم والنفوذ، وإن خالفوا بذلك إمامهم، وقد وجدوا أنفسهم على علم بعقائد السابقين بين قوم جهلة فيها، فأرادوا السؤدد والظهور. وقد حكم عليهم الإمام الصادق بذلك، فقد روى الكشي بسنده عن إسماعيل بن عبد الخالق عن أبي عبد الله ﷺ قال: ذكر عنده بنو أعين، فقال: «والله ما يريد بنو أعين إلا أن يكونوا على غلب»^(٤).

(١) الكشي. رجال، ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) القهباي. مجمع الرجال، ج ١ ص ٢٥٥.

(٣) الكشي. رجال، ص ١٥٣.

(٤) الكشي، رجال، ص ١٤٢ - ١٤٥.

ويضيق زرارة ذرعاً برأي الإمام الصادق الذي حاول أن ينبه على خطأ ما يذهب إليه وعلى عناده وعدم استقامته على ما يؤمر به، روى الكشي بسنده عن أبي مسكان قال: سمعت زرارة يقول: رحم الله أبا جعفر، فإن في قلبي عليه لفتة. فقلت له: وما حمل زرارة على هذا؟ قال: حملة على هذا أن أبا عبد الله أخرج مخازيه. وروى أيضاً أن زرارة سأل الإمام الصادق عن التشهد، ولما كانت إجابة الإمام لم تعجب زرارة، قال: فلما خرجت ضرطت في لحيتي، وقلت: لا يفلح أبداً^(١).

ويبدو أن الإمام الصادق قد يئس من إمكانية استقامة زرارة أبداً، وأنه سيموت على ضلال، روى الكشي بسنده عن ليث الراوي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يموت زرارة إلا تائهاً».

بعد كل هذا الطعن ضد زرارة يسكت عنه أو يوثقه بعض علماء الرجال من الإمامية، فيقول عنه النجاشي: «... زرارة بن أعين شيخ أصحابنا في زمانه وفق تقدمهم، وكان قارئاً فقيهاً متكلماً...»^(٢). ويذكره الطوسي دون أي طعن^(٣). كما أن البرقي عدّه من أصحاب الباقر والصادق والكاظم من الأئمة، وذلك دون ذكر ما يشينه. فما هو سبب هذا السكوت والتساهل من الأقدمين في شأن زرارة وآل أعين جميعاً؟ هل هو لجرد إخفاء المعاييب، لئلا يكثر الطعن على المذهب وسد الطريق على مخالف الشيعة برغم ما يمكن أن يحدثه السكوت، هذا من انحرافات في المذهب. إنها لمسألة خطيرة لم يتصد لها قدماء الشيعة مع الأسف، بل على العكس سايروا التيار لدى

(١) الكشي، رجال، ص ٤٥، وص ١٥٩.

(٢) النجاشي، رجال، ص ١٢٥.

(٣) الطوسي، الفهرست، ص ١٤١.

عامة الشيعة، ولم يفضبهم في الحق، فكان في ذلك جناية عظيمة على الحديث وروايته وعلى عقائد الشيعة التي تكونت، ووضعت لها أساساً من هذه المرويات.

وكذلك شأن بعض المتأخرين من علماء الإمامية سكتوا مثل غيرهم، أو اعتذر بعضهم لزرارة. قال السيد محمد حسين المظفر: «... فكان الإمام ينال منه أحياناً ليرفع بذلك عنه الخطر، ومن ثم جاءت أحاديث تطعن فيه...»^(١). وقال عبدالحسين شرف الدين: «... كما أنا لم نجد أثراً ما لشيء مما نسبوه إلى كل من زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم ومؤمن الطاق وأمثالهم، مع أننا قد استقرغنا الوسع والطاقة بالبحث عن ذلك، وما هو إلا البغي والعدوان»^(٢).

ولربما كان السيد عبدالحسين يرى أن روايات الكشي السالفة لم تثبت أو أن الكشي ليس بثقة، ولكن نرى بعض الرجال قد تابعوا الكشي في تلك الروايات أو بعضها مثل المامقاني في تنقيح المقال^(٣). والحر العاملي في وسائل الشيعة^(٤) والسيد الخوئي في معجم رجال الحديث^(٥). وهذا يدل على قناعتهم بعدم توثيق زرارة، لكن هذا الأمر كما سبق أن قلنا أمر نظري؛ لأن ما هو عملي هو سريان روايات زرارة والأخذ منها. وقد تأسس منذ القديم كثير من معتقدات المذهب عليها. وتضاعف عددها بمرور الوقت. قال المرزا محمد حسين النوري في كتاب الفوائد الملحق بمستدرك الوسائل في معرض

(١) محمد الحسين المظفر. الإمام الصادق. ج ٢. ص ١٥٢.

(٢) عبدالحسين شرف الدين. المراجعات. ص ١١٣.

(٣) المامقاني. تنقيح المقال. ج ١ ص ٤٤٠ - ٤٤٤.

(٤) الحر العاملي. وسائل الشيعة. ج ٣. ص ١١٣.

(٥) الخوئي. معجم رجال الحديث. ج ٧. ص ٢٢٢.

الحديث عن محمد بن مسلم: إنه روى أو سأل عن ثلاثين ألف مسألة عن الإمام أبي جعفر، وفي رواية أخرى: أنه سمع منه ستة عشر ألف مسألة. وقال النوري: ولا أظن أن أحاديث زرارة تنقص عن أحاديث محمد ابن مسلم، وهو الذي قال فيه أبو عبد الله الصادق: لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ستذهب^(١).

أبو الخطاب،

هو محمد بن أبي زينب مقلص البراد الأجدع الأسدي، وكنيته المشهورة أبو الخطاب، ويكنى كذلك أبو إسماعيل. له مقالات منكورة في الدين وعقائد فاسدة في صفات الأئمة، وخاصة الإمام الصادق. وكان ذا نفوذ على أصحاب الصادق، حتى إنه يلقاهم بعد أن يخرجوا من الإمام الصادق، فيبدل ويغير آراءهم بغير ما ذكر الصادق لهؤلاء فيتابعونه على ذلك^(٢). وكان أبو الخطاب في الكوفة على معرفة برجال الشيعة فيها، وكانوا أول الأمر يوثقونه، فكان يعمل أسئلة من الكوفة إلى الإمام الصادق في المدينة، فيرجع بها إليه، ولكن الشيعة والإمام اكتشفوا خبث سريرته وكذبه فيما ينقل عن الإمام. نقل المجلسي عن (كا) عن علي بن عقبة قال: كان أبو الخطاب قبل أن يفسد هو يحمل المسائل لأصحابنا ويجيء بجواباتها^(٣). ويبدو أن فساد (أبو الخطاب) وقبح آرائه أنه كان يماشي السفلة، ويختلط بهم، ويبدو أنه قد تأثر بهم، وقد نهاه الإمام الصادق عن ذلك، ولكنه أصر على ما هو عليه.

(١) هاشم الحسيني. المبادئ العامة للفقهاء الجعفري. ص ٥٦.

(٢) الكشي. رجال مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص ٢٤٤.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ٢٠٨.

روى الكشي بسنده عن الفضل قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «اتقِ السفلة واحذر السفلة، فإنني نهيت أبا الخطاب فلم يقبل مني»^(١). ثم بدأ أبو الخطاب ينسب للإمام أقوالاً لم يقلها، ويكذب عليه في مفتريات شنيعة جاره فيها أصحابه. فقد ادعى أبو الخطاب: أن الصادق جعله قيميماً على أصحابه في الكوفة ورئيساً لهم، ثم ادعى أن الصادق عينه وصياً من بعده، وأنه قد علمه اسم الله. وأخيراً ادعى أبو الخطاب النبوة، وأنه مرسل من الله إلى الشيعة في الكوفة. ثم ادعى أيضاً أنه من الملائكة المقربين، وأنه رسول الله إلى الناس كافة، وأنه سيكون حجة عليهم يوم القيامة^(٢).

وقد دمج الإمام أبو عبد الله الصادق أبا الخطاب بالكذب هو ومجموعة من الكذابين على الأئمة عن ابن سنان، قال: قال أبو عبد الله «إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب علينا، فيسقط صدقتنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله ﷺ أصدق البرية لهجة، وكان مسيلمه يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين (علي) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه عبد الله بن سبأ لعنه الله، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي قد ابتلي بالمختار، ثم ذكر أبا عبد الله الحارث الشامي وبنان، فقال: كانا يكذبان على علي بن الحسين، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيفاً والسري وأبا الخطاب ومعمراً وبشار الشعيري وحزمة اليزيدي وصائد النهدي، فقال: لعنهم الله إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤنة كل كذاب، وأذاقهم الله حر الحديد»^(٣).

(١) الكشي. رجال. ص ٢٥٠.

(٢) التوحيدي، فرق الشيعة. ص ٦٣.

(٣) الكشي. رجال. ص ٢٥٧-٢٥٨.

فهذه مجموعة من الرواة الكذابين، ومع ذلك تتردد أسماؤهم في كثير من كتب الحديث القديمة والحديثة، ويلتمس لهم المذرة كالقول: إن هذا الحديث قد رواه أبو الخطاب في حال استقامته. فأبي ميراث هذا الذي تركه أبو الخطاب وأصحابه في الحديث، ومن يملك الشجاعة على تنقية كل ذلك وتبرئة الشيعة والتشيع من هذا الميراث المنكر؟

جابر بن عبد الله الجعفي:

هو من الكثيرين في الرواية، ويتردد اسمه في كتب الحديث كثيراً روى سبعين ألف حديث عن الإمام الباقر، وروى مئة وأربعين ألف حديث عن الآخرين وخاصة عن الإمام الصادق^(١). فهل شافه جابر الإمامين المذكورين؟ أورد الكشي في رجاله عن زرارة قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أحاديث جابر، فقال: ما رأيته عند أبي قط إلا مرة واحدة، وما دخل علي قط»^(٢). وقد شهد الشيخ المفيد والنجاشي: أن جابراً كان مختلط العقل. وقد ضعف روايته كثير من المتأخرين وقد حوا به. وضعف روايته آخرون؛ لأن عمر بن شمر دس على جابر أحاديث كثيرة نسبها إليه وهو لم يقلها^(٣).

أما كتب الحديث عند السنة فقد دمغت جابر هذا بالكذب، فقد ورد عن أبي حنيفة أنه قال: «ما رأيت أحداً أكذب من جابر الجعفي»^(٤) فأبو حنيفة يعرفه حق المعرفة؛ لأن كليهما كوفيان.

(١) الحر العاملي، الوسائل، ج ٢٠، ص ١٥١.

(٢) الكشي، رجال، ص ١٩١.

(٣) النجاشي، رجال، ص ١٠٠.

(٤) النجاشي، ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٣٧٩.

الفصل الثاني

بعض المدن كمراكز للكذب ونشر التشيع

موقف الأنمة من الرجال الوضاعين

إن أهم مركز من مراكز الكذب في الحديث عند الشيعة ونشر عقائدها عن هذا الطريق كانت الكوفة في العراق. ومنذ اتخذها الإمام علي عليه السلام عاصمة له والتشيع كان ينتشر فيها ويعم منها إلى كثير من الأقاليم خاصة الأقاليم الشرقية. كانت الكوفة في القرن الأول الهجري تضم الكثير من المذاهب، والمذاهب الشيعية على الأخص، وبسبب انتكاس حركات العلويين السياسية بعد مقتل الحسين بن علي والمختار بن عبيد الله الثقفي تحولت حركات الشيعة إلى حركة سرية متطرفة في آرائها؛ ولهذا، فالذي يبدو أن الكوفة في ذلك الوقت كانت تضم من الشيعة غلاتها، فقد كانت لهم الكثرة والنفوذ في الأوساط الشيعية.

وتبالغ المصادر الشيعية في عدد الشيعة يومئذ في الكوفة. نقل المجلسي عن كتاب صفات الشيعة للصدوق بإسناده عن المفضل بن قيس عن أبي عبد الله الصادق قال: قال لي: كم شيعتنا بالكوفة؟ قال: قلت: خمسون ألفاً، فما زال يقول إلى أن قال: «والله لوددت أن يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلاً يعرفون أمرنا الذي نحن عليه، ولا يقولون علينا إلا الحق»^(١). وهذا يدل على كثرة الشيعة في الكوفة حينذاك من فرق شتى، وأن كثرتهم هذه لا فائدة منها، بل هي تمثل متاعب للإمام الصادق الموجود في المدينة المنورة،

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. ص ٤٣ من القسم الأول.

وذلك بسبب كثرة كذبهم وعدم قولهم الحق مما ينقلون عن الأئمة وعن الصادق نفسه؛ فالمؤمن الحق بينهم أعز من الكبريت الأحمر. نقل المجلسي عن (كا) بسنده عن قتيبة الأعشى، قال سمعت أبا عبد الله يقول: «المؤمن أعز من المؤمن، والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر»^(١).

ولهذا، فالنماذج من رجال الشيعة الذين كانوا يقدون على الإمام الصادق من الكوفة، وهم يمثلون صفوة القوم، ويسألونه عن أمور دينهم ودنياهم لم يكن الإمام على ثقة منهم، وذلك بسبب كذبهم عليه وعلى آبائه واستعمال اسمه لأغراضهم ونحلهم التي ابتدعوها. نقل المجلسي عن (كا) بسنده عن أبي رثاب قال: سمعت أبا عبد الله يقول لأبي بصير: «أما والله لو أني أجد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثي ما استحللت أن أكتهم حديثاً»^(٢). فبعد أن آيس منهم الإمام اتخذ منهم موقفاً ألا يحدثهم ولا يبوح لهم بمكنونات نفسه، وأمام هذا الواقع بدأ هؤلاء يتخبطون، ويصنعون مقولات من أنفسهم وينسبونها للإمام. ولعل هذا ينبئ بأن الإمام الصادق له آراء ضد السلطة السياسية في وقته، ولكنه لا يستطيع البوح بها إلى هؤلاء الرجال، خشية نقلها والبوح بها إلى السلطان، فينال الإمام ما نال سلفه من عذاب وهوان. ولعل بعض أصحابه يعرف رأيه السياسي في السلطان والأمراء، فيطلب الإمام منهم ستر ذلك؛ لئلا يلحق الأذى به وبهم، ولكن هؤلاء الرجال استخدموا هذه النصيحة في مسألة السياسة إلى مسائل الدين والعقيدة، فنسبوا له الآراء الغالية في العصمة والرجعة والبداء ومعرفة لغة

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

الطير، وما إلى ذلك مما لا تحتمله العقول السوية؛ ولهذا لم يقر الإمام الصادق أنهم أصحابه بل نفى ذلك، هو يتحرق أن لأبي حنيفة أصحاباً في الكوفة في الوقت نفسه، وللحسن البصري أيضاً أصحاب في البصرة، ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء.

نقل المجلسي عن (كا) بسنده عن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط. من احتمال أمرنا ستره وصيانيته و..... بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون. ثم قال: ما الناصب لنا أشد علينا مؤنة من الناطق علينا بما نكره... أما والله لو كنتم تقولون ما أقول لأقررت أنكم أصحابي و..... هذا أبو حنيفة له أصحاب، وهذا الحسن البصري له أصحاب، وأنا امرؤ من قريش»^(١).

ولكن مما يؤسف له أن علماء الشيعة ذهبوا في فهم هذا التوجه مذهب أولئك الغلاة في تحريف وفهم كلام الإمام هذا، فبدل أن تخصص الأمر بالآراء السياسية التي قصدها الإمام تعدوها إلى مسائل العقيدة، أي فلا تحدثوهم في مسائلنا وأرائنا السرية في العصمة وعلم الأئمة وأحوالهم وخلقهم وطينتهم إلى آخره من الخوارق، التي كانت تروج لدى غلاة الشيعة في الكوفة وغيرها. وقد عقد المجلسي في البحار باباً في فضل كتمان السروذم إذاعته، ونقل في ذلك ما يقارب ثلاث مئة حديث منسوبة إلى الأئمة، تدعو الشيعة بستر الأمر عن مخالفاتهم، وألا يرووا معجزاتهم ومخاريقهم^(٢).

ومع محاولة الإمام الصادق اعتزال السياسة وعدم الخروج على السلطان، ولكن الشيعة في وقته درجت على تسميته بالإمام ومحاولة زجه

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. ص ٤٣. والمجلد ١٦. ص ١٢٨ وانظر كذلك المجلد ١١. ص ٢١٧.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٦. ص ١٢٨.

ضد الأمويين، أو أن يشترك في الحركات التي ثارت ضدهم كحركات أبي مسلم الخراساني. ذكر الواقدي أنه لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسين بالمدينة على الأمويين هرب جعفر بن محمد إلى ماله بالفرع، فلم يزل هناك مقيم مُتَّقٍ عما كانوا فيه حتى قتل محمد، فلما قتل اطمأن الناس وأمنوا فرجع جعفر إلى المدينة^(١). ويبدو أن أبا مسلم قد كاتب الإمام الصادق في الاشتراك في الثورة، التي قام بها أبو مسلم إلا أنه رفض ذلك بحجة أن ذلك أمر لم يحن وقته. ذكر الكليني في كتابه الروضة المطبوع في آخر الجزء الثاني عشر من أصول الكافي بسنده عن الفضل الكاتب قال: كنت عند أبي عبد الله فأتاه كتاب أبي مسلم، فقال: «ليس لكتابك جواب اخرج عنا. فجعلنا يسار بعضنا بعضاً، فقال: أي شيء تسارون؟ يا فضل، إن الله عز ذكره لا يجعل لعجلة العباد. ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله»^(٢).

ومع معرفة أصحاب الصادق بتوجهه السياسي هذا إلا أنهم طبعاً يتحينون الفرصة للخلاص مما هم فيه، ويصرون على تسميته بإمامهم في حلقات المسجد، وهو ينفي أن يكون إماماً لأمثال هؤلاء. روى الكليني أيضاً بسنده عن شريك المفضل قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «خلق في المسجد يشهروننا ويشهرون أنفسهم، أولئك ليسوا منا ولا نحن منهم. انطلق فأواري واستر، فيهتكون ستري هتك الله ستورهم، يقولون: إمام، أما والله ما أنا بإمام إلا لمن أطاعني، فأما من عصاني فليست له بإمام. لم يتعلقون باسمي؟ ألا يكفوا اسمي من أفواههم، فوالله لا يجمعني الله وإياهم في دار»^(٣).

(١) ابن عبد البر. تجريد التمهيد لما في الموطأ من أسانيد. ص ٢٤. مكتبة القدسي. القاهرة. ١٢٥٠ هـ.

(٢) الكليني. الروضة. في آخر. ج ١٢ من الكافي. الأصول. ص ٣٦٩-١٧٠.

(٣) الكليني. الروضة. في آخر. ج ١٢ من الكافي. أصول. ص ٥١٤.

فهؤلاء يشير إليهم بأنهم قد تعلقوا باسمه، أي إنهم سمو بالجعفرية نسبة لاسمه جعفر بن محمد. روى الكشي بسنده عن أبي الصباح الكلاني قال: قلت لأبي عبد الله: إنا نغير بالكوفة، فيقال لنا: جعفرية. فغضب أبو عبد الله ثم قال: «إن أصحاب جعفر منكم لقليل إنما أصحاب جعفر من اشتد ورعه وعمل لخالقه»^(١). وهؤلاء لم يكونوا كذلك في رأي الإمام. نقل المجلسي عن (كا) بسنده قول الصادق لسدير: «... لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء (وكانت سبعة عشر جدًّا) ما وسعني القعود»^(٢). وكان سدير قد سأل الصادق أن يخرج على السلطان؛ لأن له شيعة يقاربون الآلاف المؤلفة في رأي سدير. والإمام الصادق كان على علم بما ينسب له من الأحاديث المكذوبة من أصحاب هؤلاء النحل. روى الكشي بسنده أن قومًا جاؤوا إلى أبي عبد الله يطلبون الحديث فسألهم عما يحفظون من الحديث فحدثوه أحاديث منسوبة إلى محمد بن علي، وفي بعضها منسوب لجعفر نفسه فأنكرها عليهم، فقالوا له: إنها شائعة في بلدكم يتداولها الناس منها أحاديث في حلية النبيذ والمسح على الخفين... ومنها أبو بكر أمر خالد بن الوليد بضرب عنق علي بعد الصلاة، ثم أمره بعدم ذلك، ومنها أن عليًا كان نادمًا على قتال أهل الجمل وصفين. ثم سألهم الصادق: «من أين أنتم؟ قالوا: من البصرة نحن. قال لهم: فهذا الذي تحدثون عنه جعفر بن محمد تعرفونه؟ قالوا: لا، قال: فإذا قال لكم هذا كذب أكنتم تصدقونه؟ قالوا: لا»^(٣). فهذا عناد شديد وإصرار على نقل الكذب، حتى إن أنكره من نسب إليه. وإزاء هذا الوضع السيئ الذي يحيط بالإمام من مخالفيه من أصحابه نراه يشكو العزلة والوحدة في المدينة، ويتمنى أن يسكن هو وأصحابه الطائف بعيدًا عما يقلق خاطره. روى

(١) الكشي. رجال مع الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص ٢٥٥.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ٢١٧.

(٣) الكشي. رجال مع الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص ٣٩٣-٣٩٧.

الكليني بسنده عن عنبسة بن مصعب، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «أشكو إلى الله ﷻ وحدتي وتقلقي بين أهل المدينة حتى تقدموا وأراكم، وأنس بكم، فليت هذا الطاغية أذن لي فاتخذ قصرًا في الطائف فسكنته وأسكنتكم معي، وأضمن له ألا يجيء من ناحيتنا مكروه أبدًا»^(١).

ولا شك في أن الإمام قد وصل إلى وضع نفسي يشف عن روح قلقة منعزلة نتيجة هذا الحصار المفروض عليه من السلطان. إن رسالة الصادق إلى سعد الخير توضح ذلك حيث ذكر فيها توجيهًا لسعد هو حقيقة ما بنفس الإمام الصادق من شعور لما حوله قال له: «... لا تقبل ولا توجد إلا في عباد غرباء آخر من الناس قد اتخذوهم سخرًا لما يرمونهم به المنكرات. وقال يقال: لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يكون أبغض إلى الناس من جيفة الحمار...// واعلم أنه لا تقال محبة الله إلا ببغض كثير من الناس»^(٢). فإذا ن هذه حاله وحال أصحابه بالنسبة للمجتمع آنذاك، فقد كان الناس يتجنبون مخالطتهم خشية أن يوصموا بهذه الصفات المقيتة التي لحقت بهؤلاء الرجال المختلفين فيما بينهم بكذب بعضهم على بعض. ويكذبون على إمامهم لقاء عرض من الدنيا. ولا يستبعد أن السلطة السياسية آنذاك قد دست فيهم عيونها؛ لمراقبتهم وجرحهم إلى الانحراف والكذب.

روى الكشي بسنده عن الفيض بن المختار أنه قال لأبي عبد الله: «ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ (يقصد الاختلاف في الحديث) فقال أبو عبد الله: أجل، هو كما ذكرت يا فيض، إنهم أولعوا بالكذب علينا... وإني أحدث أحدهم بالحديث، فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله،

(١) الكليني. الروضة في آخر. ج ١٢ من الكافي. أصول. ص ٢٧٣.

(٢) الكليني. الروضة ج ١١ من الكافي. أصول. ص ٣٦١-٣٦٢.

وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا»^(١). وهذه ربما إشارة إلى أنهم يقبضون الدراهم من السلطان على مسلهم هذا. ويبدو أن هؤلاء الرجال كانوا يتكسبون في رواية الحديث على الناس، فيأخذون منهم بعض الدراهم لقاء رواية حديث الإمام جعفر، فيكذبون عليه، أو يتزيدون في كلامه، أو يتأولون شيئاً لم يقصده الإمام.

ذكر الكشي أيضاً عن يحيى بن عبد الحميد الحماني قال: «قلت لشريك القاضي في الكوفة: إن أقواماً يزعمون أن جعفر بن محمد ضعيف الحديث، فقال أخبرك القضية: كان جعفر بن محمد رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً، فاكنته قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده، ويقولون حدثنا جعفر بن محمد، ويحدثون أحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر يستأكلون الناس بذلك ويأخذون منهم الدراهم، فكانوا يأتون في ذلك بكل منكر، فسمعت العوام بذلك منهم، فمنهم من هلك، ومنهم من انكسر، وهؤلاء مثل المفضل بن عمرو وبيان وعمرو النبطي وغيرهم ذكروا أن جعفرأ حدثهم أن معرفة الإمام تكفي من الصوم والصلاة و.... وإن علياً في السحاب يطير مع الريح.... والله ما قال جعفر شيئاً من ذلك قط، كان جعفر أتى لله وأورع من ذلك، فسمع الناس ذلك فضعفوه....»^(٢).

والزيادة التي يضعها هؤلاء القوم على كلام الإمام جعفر لم تكن زيادة قليلة من أجل التوضيح، بل كانت زيادة منكراً لم يقصدها الإمام البتة. روى الكليني بسنده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «رحم الله عبداً حببنا إلى الناس، ولم يبغضنا إليهم، أما والله لو يروون محاسن كلامنا

(١) الكشي. رجال مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص ١٣٦.

(٢) الكشي. رجال. مع الطوسي اختيار معرفة الرجال. ص ٣٢٤.

لكانوا به أعز وما استطاع أحد أن يتعلقهم بشيء، ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحط إليها عشراً»^(١).

فانظر إلى شهادة الإمام في مبالغات هؤلاء القوم عند رواية حديثه ومقدار الزيادة عليه تقوُّلاً لشيء لم يردّه الإمام. ولكن شأن بعض المتأخرين من الشيعة الإمامية إيجاد العذر لهؤلاء الرجال، فيقوم هو الآخر بتأويل مقصد الإمام الواضح سلفاً إلى اعتبار أن كلام الإمام: «فيحط إليها عشراً» هو من باب المبالغة. قال المازندراني شارح كتاب الكليني السالف: «هذا من باب المبالغة المشهورة بين العرب والعجم، وذلك التغير قد يقع عمداً لفرض من الأغراض، وقد يقع سهواً، وقد يقع باعتبار فهم المخاطب من كلام له وجوه... وينبغي أن يعلم أن كلامهم قسمان: قسم في باب الأسرار، فيجوز نقله لغير أهله أصلاً، وقسم يجوز مطلقاً»^(٢).

وهكذا بدل أن يكون العالم في صف الإمام وقف في صف هؤلاء الكذبة، وحاول إيجاد الأعذار والأسباب، وما ذلك إلا بسبب تقادم الزمن، وأن هؤلاء العلماء قد تشربت عقولهم عقائد هؤلاء الرواة الكذبة في أذهانهم، فلا يستطيعون لها نفياً.

وهذه دلالة واضحة أن هؤلاء القوم يتعمدون على الإمام الكذب وفساد التأويل؛ لأنهم قد قبضوا أو سيقبضون ثمن ذلك عند من خطط لهذه النتيجة السيئة، التي أورثت بعد تلك الأجيال عقائد ومقولات تقبلها الشيعة بالقبول ونقلوها على أنها آراء الأئمة وما هي كذلك. وقد ابتلي الإمام بهؤلاء القوم

(١) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ٢٩٢.

(٢) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج ١٢. حاشية ٢٩٢.

من الكاذبين، ونسبوا إليه ظلماً وعدواناً، برغم أنه ينافع عن نفسه ضدهم. نقل المجلسي عن (كا) بسنده أن أبا الصباح الكناني قال لأبي عبد الله: ما تلقى من الناس فيك؟ فقال: وما تلقى من الناس في؟ فقال: لا يزال يكون بيننا وبين الرجل كلام، فيقول: جعفري خبيث. فقال: يعيركم الناس بي؟ فقال له أبو الصباح: نعم. قال: فما أقول والله من يتبع جعفرًا منكم إنما أصحابي من اشتد ورعه^(١). وهؤلاء الرجال أصناف، منهم من يبغى لنفسه الرفعة وعلو الشأن حينما ينادي بتلك الآراء الغريبة والمفترية على الإمام كذبًا، ومنهم الغافل الذي لا يدرك ما حوله، فينقل هذه المفتريات وهو غير عالم بها. وقد وصم الإمام جعفر هؤلاء الكذابين بأشنع الصفات وقرنهم وأعمالهم بالشیطان، بل إنهم قد فاقوا الشياطين بأعمالهم وكذبهم. روى الكليني بسنده عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله: «إن من ينتحل هذا الأمر ليكذب، حتى إن الشيطان ليحتاج إلى كذبه»^(٢).

ومن هؤلاء الرواة بعض الغفلة الذين يصدقون بكل شيء دونما تمحيص عقلي، فيروون كل ما يسمعون بل إن بعضهم قد شهد على نفسه بذلك عند الإمام جعفر. فقد روى الكشي بسنده عن عبد الله بن يعفور قال: قلت لأبي عبد الله: والله لو فلقنت رمانة نصفين، فقلت: هذا حرام، وهذا حلال، لشهدت أن الذي قلت: حلال حلال، وأن الذي قلت: حرام حرام. فقال: رحمك الله رحمك الله^(٣). وماذا يمكن أن يرد الإمام على مثل هذه العقلية، إلا أن يرحمها الله برحمته؛ كي لا تقع في مصارع السوء.

(١) المجلسي. البحار. مجلد ١٥. القسم الثاني. ص ٩٧.

(٢) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ٣٣٢.

(٣) الكشي. رجال مع معرفة الرجال للطوسي. ص ٢٤٩.

ويبلغ بالإمام أن يصب لعنته على طلاب الرئاسة والزعامة بين قومهم إن لم يقومهم ويصلحهم ذوو العقل. روى الكليني بسنده عن محمد بن مسلم قال: كتب أبو عبد الله إلى الشيعة: «ليعطن ذوو السن منكم والنهي عن ذوي الجهل وطلاب الرئاسة أو لتصيبنكم لعنتي أجمعين»^(١). والنتيجة لكل ذلك أن الشيعة أصبحت فئة متميزة ومعزولة عن بقية المسلمين بسبب هذه الآراء والمقولات الفاسدة التي يروجها هؤلاء، ومنها أن حب آل البيت وحده ينفع المرء، وإن ساءت سريرته وأفعاله، والإمام ينفي ذلك، ولكن ليس من مجيب. روى الكليني بسنده عن عنبسة عن أبي عبد الله قال سمعته يقول: «خالطوا الناس فإنه إن لم ينفعكم حب علي وفاطمة في السر لم ينفعكم في العلانية»^(٢).

وماذا عسى أن يفعل الإمام جعفر ليداوي هذه الأمراض التي فرقت بين أصحابه وشيعته، فهو يدعو مرة إلى عدم الاختلاف مع الآخرين، حيث هاله كثرة مقولات أصحابه. روى الكليني بسنده عن جابر بن يزيد قال: دخلت على أبي جعفر فقلت: يا ابن رسول الله، قد أرمضني اختلاف الشيعة في مذاهبها، فقال: يا جابر ألا أوقفك على معنى اختلافهم من أين..... ومن أي جهة تفرقوا؟ قلت: بلى. قال: «فلا تختلف إذا اختلفوا»^(٣).

وأحد أصحاب جعفر يطلب منه أن ينظر في أمر الشيعة الذين اختلفوا فيما بينهم وتباغضوا، ويقترح عليه أن يكتب بذلك كتاباً يجمعهم، ولكن الإمام يبدو متردداً في ذلك؛ خشية أن يقع مثل هذا الكتاب بيد السلطان فيأخذه به، وقد اختط لنفسه اعتزال ما من شأنه الخروج عن السلطة.

(١) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ١٧٠.

(٢) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ١٧٢.

(٣) الكليني. الروضة مع أصول الكافي. ج ١١. ص ٢٠٢.

روى الكليني بسنده عن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله: «إن شيعتك قد تباغضت، وشأن بعضهم بعضاً، فلو نظرت جعلت فداك في أمرهم؟ فقال: لقد هممت أن أكتب كتاباً لا يختلف عليّ منهم اثنان، قال: قلت: ما كنا قط أحوج إلى ذلك منا اليوم، ثم قال: أنى هذا ومروان وابن ذر، قال: فظننت أنه قد منعني ذلك. قال: فقممت من عنده فدخلت على إسماعيل (ابن جعفر) فقلت: يا أبا محمد، إنني ذكرت لأبيك اختلاف شيعته وتباغضهم، فقال لك: لقد هممت أن أكتب كتاباً لا يختلف عليه منه اثنان، قال: فقال: ما قال مروان وابن ذر؟ قلت: بلى. قال: يا عبد الأعلى إن لكم علينا حقاً كحقنا عليكم، والله ما أنتم إلينا بحقوقنا أسرع منا إليكم. ثم قال: سأنظر، ثم قال: يا عبد الأعلى، ما على قوم إذا كان أمرهم أمراً واحداً متوجهين إلى رجل واحد يأخذون عنه إلا يختلفون عليه ويسندون أمرهم إليه»^(١). والمشكلة هذه لا تنتهي بكتاب يكتبه الإمام لهم؛ لأن الذي يؤول كلامه على غير محمله، بل يعاند ويصرح بعدم تصديق كلام إمامه سيكون هذا شأنه مع وجود كتاب، فقد كانت تعاليم الإمام الصادق في عدم الفرقة والتمسك بالصلاح والورع عن المحرمات مكتوبة بين يدي أصحابه. ولكنه داء قد أعيا الإمام صلاحه. روى الكشي بسنده عن داود بن سرحان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إنني لأحدث الرجل بالحديث وأنهاه عن الجدال والمراء في دين الله، وأنهاه عن القياس فيخرج من عندي، فيتأول حديثي على غير تأويله: أني أمرت قوماً أن يتكلموا ونهيت قوماً، فكل تأول لنفسه يريد المعصية لله ولرسوله....»^(٢). إن الإمام قد شاهد اختلاف شيعته في مجلسه، وليس فقط بعيداً عنه، بل حتى أولئك الحاضرون في مجلسه لم ينتهوا عن الخصومة في حضرته، وهو ينهاهم عن ذلك. روى الكشي بسنده

(١) الكليني. الروضة مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) الكشي. رجال. مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص ١٧٠.

عن أبي عبد الله أنه سأل عبد الله بن الوليد عن المفضل، ثم أخبره أن عامر بن جذاعة وحجر بن زائدة عابا المفضل عند أبي عبد الله، فأمرهما بالكف عنه، فلم يفعلوا ثم دعا عليهما، فلا غفر الله لهما^(١).

وبعض هؤلاء الرواة يسمع كلام الإمام الصادق، فإذا خرج منه والتقى أبا الخطاب تغير رأيه. روى الكشي أن أبا عبد الله يشكو أن ابن الأشيم يسمع منه هو وصاحبه حفص بن ميمون، ويسألونه، ولكن إذا خرجوا منه ذهبوا إلى أبي الخطاب، فيخبرهم بخلاف رأي أبي عبد الله، فيأخذون قوله ويذرون قول أبي عبد الله^(٢).

وفي سورة غضب الإمام من هؤلاء القوم الذين لم يستطع الأخذ على يدهم، ولم يستطع عقلاؤهم أن يصدوهم ويرجموهم إلى جادة الصواب، بل إنهم يجالسونهم، يهدد الإمام حتى البريء من الشيعة فيأخذ بهذب هؤلاء؛ وذلك لسكوته عن إنكار تلك المقالات الفاسدة ومجالسة هؤلاء السفهاء. روى الكليني بسنده عن الحارث بن المغيرة قال: قال أبو عبد الله: «لأخذن البريء منكم بذنب السقيم، ولم لأفعل وبيلفكم عن الرجل ما يشينكم ويشينني، فتجالسونهم وتحدثونهم، فيمر بكم المار، فيقول: هؤلاء شر من هذا، فلو أنكم إذا أبلغكم عنه ما تكرهون زجرتموهم ونهيتموهم كان أبر بي وبكم»^(٣).

ولماذا لا يقبل عقلاء أصحاب جعفر هذا التوجيه من إمامهم الذي هو في منفعتهم ومنفعته، والجواب يبدو أن هؤلاء السفهاء وأصحاب المقالات الفاسدة من الكثرة لدرجة أن عقلاء القوم لا يستطيعون ردهم. روى الكليني

(١) المصدر السابق، ص ٤٠٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(٣) الكليني، الروضة، مع أصول الكافي، ج ١٢، ص ١٦٩.

بسند من الحارث بن المغيرة قال: لقيني أبو عبد الله في طريق المدينة، فقال: «من ذا؟ أحارث؟ قلت: نعم. قال: أما لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم. ثم مضى فأتيته فاستأذنت عليه، فدخلت، فقلت: لقيتني فقلت: لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم، فدخلني من ذلك أمر عظيم. فقال: نعم، ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون ما يدخل علينا به الأذى أن تأتوه، فتؤنبوه وتعزلوه، وتقولوا له قولاً بليغاً؟ فقلت: جعلت فداك إذا لا يطيعوننا ولا يقبلون منا. فقال: اهجروهم واجتنبوا مجالسهم»^(١). وقد روى الكليني بسند رسالة طويلة وجهها الإمام الصادق لأصحابه يدعوهم فيها إلى الدعة ومجاملة أهل الباطل والصمت والصبر والتسبيح وألا يخرجوا الإمام بأقوالهم وتصرفاتهم. وقد ورد في أنفاظ هذه الرسالة الطويلة ما يأتي:

- «عليكم بالدعة والوقار.. وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحملوا الضيم منهم»^(٢).

- «عليكم بالتقية فيما بينكم وبينهم»^(٣).

- «عليكم بالصمت... التسبيح والحمد... فاشغلوا أنفسكم بذلك»^(٤).

- «تحملوا الضيم من هؤلاء الظلمة... تلتمسون بذلك وجه الله»^(٥).

- «القرآن فيه كل شيء... وقد ضل أصحاب المقايسة....»^(٦).

(١) الكليني، الروضة، مع أصول الكافي، ج ١٢، ص ١٧٧.

(٢) الكليني، الروضة مع أصول الكافي، ج ١١، ص ١٤١.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤٢.

(٤) المصدر السابق، ص ١٤٧.

(٥) المصدر السابق، ص ١٥١.

(٦) المصدر السابق، ص ١٥٦-١٥٧.

- «لا تسبوا أعداء الله، حيث يسمعونكم فيسبوا الله عدوًا بغير علم...»^(١).
- «ألا يكون منكم محرّج للإمام، فإن محرّج الإمام هو الذي يسمى بأهل الصلاح... فإذا فعل ذلك أخرج الإمام أن يلعن أهل الصلاح من أتباعه»^(٢).
- «اصبروا على البلاء في طاعة الله وولايته وولاية من أمر بولايته... فإن الله أمر بولاية الأئمة الذين سماهم في كتابه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾»^(٣).

وكتب الحديث عند مذاهب السنة توثق الإمام جعفر الصادق، ولكن لا توثق مرويات رجال الشيعة عنه. قال جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين روى عن أبيه وعطاء وعروة وابن المذكور، وروى عنه أبو حنيفة ومالك ويحيى الأنصاري وشعبة والسفيانان وخلق كثير، قال عنه ابن معين: «ثقة مأمون». وقال عنه أبو حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله. وقال ابن حبان: من سادات أهل البيت وكبار أتباع التابعين وعلماء أهل المدينة. وأضاف ابن عبد البر في كتابه تجريد التمهيد: إن جعفرًا كان فاضلاً، وتكذب الشيعة عليه كثيراً. ومالك في الموطأ عنه تسعة أحاديث، منها خمسة متصلة مسندة أصلها حديث واحد، وهو حديث جابر الطويل في الحج، والأربعة منقطعة^(٤).

لقد كان كثير من علماء المسلمين ومحدثيهم مطارداً من السلطة السياسية، ولقي العنت والمصاعب، ودفع بعضهم حياته، فقتلوا في زمن

(١) المصدر السابق. ص ١٦١.

(٢) المصدر السابق. ص ١٦٧.

(٣) المصدر السابق. ص ١٨٠-١٨١.

(٤) السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن (إسلاف المبطل برجال الموطأ). ج ٢. ص مكتبة ومطبعة البابي بمصر. ١٩٥٠م. وانظر أيضاً ابن عبد البر. تجريد التمهيد. ص ٢٤. مكتبة المقدسي. القاهرة ١٣٥٠هـ.

جعفر، ولكن نقلت مروياتهم ووثقت من أصحابهم، ومن روى عنهم كانوا ثقات، وهكذا فلم يكن العيب في جعفر نفسه، كي تترك كتب الحديث السنية مروياته، ولكن المحدثين هالهم ما روي عنه من تلكم النماذج السيئة من الرواة، فأثروا سلامة الحديث وتدوينه صحيحاً للأجيال والابتعاد عن مرويات هؤلاء، بل إن أغلبهم وصمّتهم كتب الرجال السنية بالكذب فضلاً عما نقلنا من كتب الشيعة الإمامية أنفسهم. ومن مراكز وضع الحديث مدينة قم في إيران وصلتها بالكوفة كبيرة جداً، فقد كانت رباطاً للمجاهدين أول الأمر وأكثر من تقاطر إليها هم من أهل الكوفة من العرب، وقد أضحت قم في أوائل القرن الثالث مؤثلاً للغلاة من الشيعة، فكثرت فيها الوضع في الحديث والكذب على الأئمة لدرجة دفعت الغالبية العرب من أهل قم إلى طرد الغلاة وتشيتيتهم كما ذكرنا سابقاً.

وقد حاول الشيعة إيجاد مركز ديني لمدينة قم، فوضع الوضعاءون أحاديث في فضل قم وسكنائها، منها أن أهل قم لا يحشرون للحساب يوم القيامة كسائر المسلمين، إنما يحشرون في قبورهم، ثم يؤخذون إلى الجنة دون حشر^(١).

إن الرواة يعيشون في ظل حركة سرية يظلمهم الخوف الدائم من انكشاف أمرهم وشيوع معتقداتهم لشدة الإنكار عليهم من المجتمع والسلطان على حد سواء، ولهذا ساد بينهم التقلب في العقيدة، فكثير من الرواة يذكر أنه تنقل من معتقد إلى معتقد آخر سواء من داخل التشيع أو خارجه. وظهر بينهم انتهازيون متقلبون يسировون مع المنتصر في ظاهر الحال، ويبطن خلاف ذلك... وكتب رجال الشيعة مليئة بهذه الحقيقة؛ فكثيراً ما نتحدث عن راوٍ ثم تضعفه؛ لأنه

(١) المجلسي، البحار، ٦٠ - ٢١٨.

انتقل إلى صفوف العامة (السنة) ، أو أنه أضحى قطعياً أو واقفياً. وهذا عامل أساسي من عوامل ضعف الحديث.

إن هؤلاء الرواة قد شاركوا بطريق أو بآخر في الحركات المناهضة للدولة الأموية أو العباسية فيما بعد، أو شارك آباؤهم وأجدادهم في هذه الحركات، التي كانت أكثرها حركات فاشلة، فتوافر الحياد السياسي في القول والسلوك أمر نادر الحصول منهم. إن بعض هؤلاء الرواة قد ادعى النبوة أو ادعى بالوكالة عن الإمام، جمع بعضهم الأموال مدعياً أنها للإمام ثم يفلها لنفسه ويرفض تسليمها. والبعض ذكر أنه شارك في ثورات الكوفة ونادى بحلية المحارم وإباحة نكاح الفلمان، والبعض نادى بأفكاره الفارسية كالتناسخ وغيرها مثل ادعاء الربوبية في حق الإمام الصادق. ومن أجل معرفة المدى الذي أحدثه هؤلاء الرواة في إيجاد قواعد وأصول الشيعة لا بد من الربط بين ما ذكره علماء الرجال عنهم من طعن وأسبابه وبين الحركات والثورات السياسية التي شارك فيها هؤلاء الرواة في الكوفة والمدائن ومراكز التشيع، كما استعرضناها في مكانها.

مدى حصول الراوي على حصة من أموال الخمس عن طريق الجهات النافذة له أهمية في اتجاه الرجل وأقواله عن نفسه وعن الآخرين، وقد ذكر أن بعض الرواة احتجزوا لديهم أموال الخمس التي جمعوها ولم يؤدوها للإمام، أو أن البعض أنكروا ما عندهم، أو أن البعض كان وكيلًا عن الإمام فأساء التصرف في هذه الأموال. ولا شك في أن هذا العامل كان له بالغ الأثر في استغلال ضعاف العقول والسذج من الشيعة؛ ودافع أساسي لوضع الأحاديث والروايات المؤيدة لمصالحهم المالية، كما شاهدنا في أفكار البعض لإمامة القادم بعد موت الإمام السابق.

إن إيمان الرواة بأن إمامهم معصوم عن الخطأ والمعصية، وأن علمه علم لدني إلهي يتلقاه من النبي أو بالإلهام أو يسري بالأصلاّب، وما ينقل لهم من معجزات وخوارق لا يحتمل العقل البشري تصديقها، كل ذلك سبب انقسام في عقلية الرواة، فمنهم بعد إدراك الحقيقة اندفع بالاستهتار بالمذهب وعقائده وإمامه، فأظهر المروق واندفع بالكذب على المذهب وعقائده وإمامه، وأخذ ينتحل من عقائد أهل الكتاب وأفكارهم وعقائدهم وأجداده خاصة إن كان فارسي الأصل؛ لأنها في متناول يده، والقوم حديثو عهد بهذه الأفكار.

ولأن غالبية رواة الشيعة من الموالي وإن تسموا بأسماء عربية، حيث درج المسلمون قديماً حينما يشتركون رقيقاً أو يكسبونه في الحرب، فيدخل في الإسلام يتسمى باسم عربي مسلم، ويتخلى غالباً عن اسمه الأعجمي أو بعضه، وينتسب لنفس قبيلة مولا، وبجانب ذلك قد أصر أكثر الذين لم يدخلوا الإسلام - وكانوا ممن يدفع الجزية - على الاحتفاظ بأسمائهم الأعجمية حيناً، لكن نلاحظ أولاده ونسله يدخلون الإسلام ويتسمون بأسماء عربية.

ولكون أكثر الرواة الشيعة من الموالي وعلى الأخص من الفرس، وإن العرب بينهم قلة نجد لذلك آثاراً كثيرة على أحاديث الشيعة منها:

أ- يرشح من أفكارهم وعقائدهم كراهية العرب عمومًا، وأصحاب رسول الله ﷺ خاصة، وقد سبق أن عالجت هاتين الظاهرتين، وأوردنا تفاصيل وأحداثاً كثيرة تتم عن ذلك، وقد شجعهم على ذلك كون أغلب أئمة الشيعة من أمهات فارسيات. وقد أظهر هذا العامل مجموعة أحاديث نسبت للأئمة فيها تحذير من العرب والدعوة لكراهيتهم، كما أوردنا على ذلك من أمثلة صريحة.

ب- دسوا أحاديث كثيرة في مدح مدنهم (الكوفة. قم. طينة كربلاء...) وأصولهم الفارسية المنحدرين منها (سلالة الأبناء والأكاسرة). وهذا رد فعل تجاه أسيادهم العرب أصحاب السيادة والمال. وقد أوردنا على ذلك الأمثلة الكثيرة من الأحاديث المكذوبة.

ج - قام هؤلاء الرواة الموالي بنقل عقائد وأفكار دياناتهم القديمة والخرافات، التي كان يؤمن بها أجدادهم في موطنهم، وألبسوا هذه الأفكار والخرافات صفة دينية شيعية، وضعوها بلسان الإمام برغم نفي أئمتهم لهذه الأفكار كما سبق أن استعرضنا ذلك. كما قام هؤلاء الرواة أو بعضهم من استعارة بعض الأفكار والعقائد من ديانات أخرى كاليهودية والنصرانية إضافة لأفكارهم الفارسية، سواء الزرادشتية أو المزدكية، وقد عالجنا هذه الأمور في موضعها لأهمية ذلك بالوقائع والأمثلة الدالة.

د- لكون غالبية هؤلاء الرواة من الكوفة نلاحظ أن بينهم وبين الكوفيين الآخرين من مذاهب أخرى تعصباً ورد فعل ضد مخالفهم من أصحاب أبي حنيفة مثلاً وخلافهم معهم حول شرب النبيذ أو السجود على ما لم تثبته الأرض أو المسح أو غسل الرجلين أو الجمع بين الصلاتين، وهم يقومون بذلك غالباً لمجرد التفرّد وإظهار المخالفة، وقد أوردنا فكرتهم التي وضعوها على لسان أحد الأئمة أنه إذا أشكل عليهم شيء في الدين، فخالقوا العامة (السنة)، فإن (الحق ما خالفهم). كل ذلك على الرغم من أن مصادر الشيعة خاصة القديمة مثلاً تُورد غسل الرجلين في الوضوء من قبل الإمام علي.

هـ- مخالفة بعض هؤلاء الرواة، حتى ما أجمع المسلمون عليه، وذلك لمجرد المصلحة الخاصة، ففي المواريث مثلاً أورد الكليني^(١) عن عبد الله بن محرز قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل أوصى إليّ وهلك وترك ابنة، فقال: «أعط ابنة النصف، واترك للموالي النصف». وفي هذا دوافع مادية كما هو واضح برغم مخالفة ذلك لما استقر عليه المسلمون أو حتى مذهب الشيعة الإمامية نفسه.

إن غالبية رواة كتب الحديث الأربعة المعروفة عند الشيعة الإمامية مطعون فيهم عند علماء رجال الشيعة، فمن بين مئة وثلاثين راوياً أوردناهم بوصفهم مثلاً لعينة نجد قرابة نصفهم مطعوناً فيهم من رجال الحديث عند الإمامية أنفسهم، وقد تراوح الطعن بالكذب ووضع الحديث أو كونهم من الغلاة فاسدي المذهب. فإذا أخذنا مثلاً الراوي زرارة بن أعين المطعون فيه عند الجميع الذي وصمه الإمام الصادق بالكذب ثم باللعن نجد له ٢٠٩٤ حديثاً مروياً في كتب الحديث الأربعة المعروفة، وهذا بعض السر في الداء الذي أصاب رواية الحديث عند الشيعة الإمامية. فكيف بحال الآخرين. ومثله جابر بن يزيد الجعفي الذي ذكر أن له سبعين ألف حديث، وفي رواية أن له خمسين ألف حديث لم يحدث بها مع ورود رواية عن الإمام الصادق في حق جابر أنه لم يره عند والده الإمام الباقر إلا مرة واحدة، ولم يدخل على الإمام الصادق قط. فيبدو أن هناك تساهلاً عند الرواة أمثال جابر (وهو مختلف في توثيقه عند الشيعة الإمامية) من إمكان اعتبار رواية الحديث لا عن لقاء ومشافهة، وإنما مجرد السماع من الآخرين أو القراءة

(١) الكافي، ج ٧ ص ٨٧ من الفروع.

في كتب اشتراها من السوق على حد تعبير أحد الرواة. إن هذا الوضع تسبب للمتأخرين من المحققين في وضع غاية في الصعوبة والحيرة.

من بين المئة والثلاثين راوياً الذين أوردناهم كمينة توثق كتب الرجال عند الشيعة الإمامية ثلاثة وثلاثين راوياً منهم، وهي نسبة قليلة تجعل أثرهم ضئيلاً في صحة الحديث المروي، خاصة إذا ما علمنا أن كل حديث يعتمد على سلسلة من الرواة قد تبلغ الأربعة أو الخمسة، فقلما يجتمع في هذه السلسلة الموثوقون جميعاً، فإذا وجد موثق واحد وبقية الآخرين مطعون فيهم سقط الحديث طبعاً. والملاحظ من مصادر الرجال المذكورة أن هؤلاء الرواة الموثوق فيهم أكثرهم ليسوا شيعة (اثني عشرية) إمامية، (أي لا يؤمنون باثني عشر إماماً)، وإنما أكثرهم من الواقفة الذين توقفوا عند إمامة موسى الكاظم، وقالوا: إنه لم يمت بل هو المهدي ولم يقرؤا بإمام بعده (علي بن موسى) أو إنهم من الفطحية الذين قالوا بإمامة عبد الله بن جعفر بن محمد الأفطح، فلم يسوقوا الإمامة إلى ابنه موسى الكاظم، كما فعل (الاثني عشرية). أو إن البعض من فرقة الشيعة الزيدية. وهذه ملاحظة مهمة جداً يجب التوقف عندها ودراستها؛ للوصول إلى أسباب ذلك.

لماذا تشهد كتب الرجال بأن أكثر الموثوق فيهم هم من الواقفة أو الفطحية أو الزيدية. ولماذا يكون أكثر المطعون فيهم هم من الإمامية (الاثني عشرية)؟ على الرغم من أن الإمام أبا الحسن الرضا قد وصم الواقفة بأنهم كفار ظالمون أو مشركون يعيشون حيارى، ويموتون زنادقة، ولا تجوز الزكاة لهم. وقد أشار الطوسي في كتابه (الغيبة)، وتساءل كيف يمكن الوثوق بمرويات الواقفة والطمع عليهم كثير من أصحابنا^(١).

(١) الطوسي. الغيبة. ص ٤٢.

من بين المئة والثلاثين راوياً الذين أوردناهم سالفاً أربعة وثلاثون راوياً مختلف في توثيقه عند مصادر رجال الحديث الشيعة، كما هو موضح في الجدول المرفق، والأصل في رواية الحديث احتياطاً ألا يدس على الإمام أو النبي ﷺ ما لم يقله. وكذا فإنه يجب أن يسقط روايات هؤلاء، ويلحقوا بالمطمعون فيهم تحوطاً، وبهذا ترتفع نسبة المطمعون فيهم إلى أن يصلوا إلى ما يقرب الثلثين، مما يجعل من الصعب جدا على العلماء والمدققين قبول كتب الحديث، يمثل ثلثا روايتها مطمعون فيهم في المذهب نفسه. وهناك ملاحظة مهمة في هذا الباب هنا، حيث نجد في هذه الفئة غالباً ما يأتي الطعن في الراوي من المصادر القديمة كالكشي أو النجاشي^(١).

ثم يأتي توثيقه أو تعديله من المتأخرين من رجال الحديث كالحر العاملي أو المحقق الحلي لأسباب واهية وبعضها عجيب، كأن يقال: إن الطعن ورد على دين الرجل ولم يقع على روايته. كما هي عبارة ابن الفضائري عن أبي بصير ليث المرادي، ويبدو أن هذه القاعدة هي السائدة في هذا القسم من الرواة الذين ذكرنا منهم هشام بن الحكم والمختار بن عبيد الله الثقفي وغيرهم ممن عرفوا بفساد عقيدتهم ودينهم، فما الداعي إلى توثيقهم؟ الجواب الذي نستقرئه هنا: أن العلماء المتأخرين وجدوا أن غالبية رواة الحديث في كتب الشيعة مطمعون فيهم في مصادر الشيعة نفسها، فإن هم أخذوا بهذه الطمعون على سبيل الدقة كما هو الحال عند السنة، فإن أحاديث كتب الشيعة الأربعة أو غيرها تسقط في الاختبار، فاضطروا إلى التساهل في حال الراوي، وأخذوا يجدون له الأعذار بأن ما ورد عليه من طعن مثلاً، إنما كان سابقاً لروايته تلك، فقد تاب الرجل مما وصم به، ورجع عن ذلك،

(١) الطوسي، الغيبة، ص ٤٢.

وهكذا نجد مثل هذه الأعذار حتى تقبل روايته أو تعدل، وهذا منهج خاطئ، وكان الأولى عقلاً وديانة لحفظ دين الله. إسقاط هؤلاء الرواة وما رووه من أحاديث أصبحت عبئاً على الشيعة والتشيع، والتبرء منهم ومن مقولاتهم هو الأولى.

إن الانحراف الذي أصاب التشيع منذ البذرة الأولى حصل على يد رواة كذبة مطعون فيهم من الأئمة أولاً ومن بقية المسلمين، ولكن الحركات السرية غالباً لا تستطيع البراءة أو التخلص من المنحرفين للطبيعة السرية في قيادة المجموعة التي لا تستطيع نشر تعاليمها بكل حرية ووضوح للجميع، فيختلط الفث بالسمين، ويورث هؤلاء الحيرة لعلمائهم المتأخرين. ومن ذلك مثلاً إصرار الراوي على أفكاره المخالفة للإمام لمجرد أنه لا يريد الرجوع عنها؛ حماية لنفسه وللشيعة معاً في الكوفة، فهذا محمد بن علي بن النعمان الأحول يعترف بأنه لكثرة احتجازه وخصومته للآخرين من مخالفيه لا يستطيع التراجع عن رأيه وإن خالف إمامه، وذلك لمجرد الحماية^(١). وهذا باب من أبواب الكذب في الحديث دخل على رواة الشيعة.

بعد وفاة كل إمام من الأئمة الاثني عشر يختلف الشيعة في الإمام الواجب اتباعه، فتتشأ من هذا الخلاف فرق أخرى، وهذا قد أثر كثيراً على حال الرواة لحديث الشيعة؛ مما أورث عدم الثقة في سلسلة الرواة التي تتعرض للانقسام كلما توفى إمام وظهر الاختلاف فيمن يستحق الإمامة بعده.

(١) الكشي. رجال. ص ١٩٠.

للتطبيعة السرية لفرقة الشيعة ومخالفاتها للدولة، فقد درج أئمة الشيعة على تنبيه رجالهم بأنهم تحت رقابة السلطة السياسية، وأن أقوال الأئمة محسوبة عليهم من السلطات، ويطلب الأئمة عدم إحراجهم وتوجيه أسئلة مباشرة في حضرة آخرين خاصة فيما يتعلق بالإمامة أو جمع الأموال المتعلقة بالزكاة أو.... وقد أوضحنا ذلك بالتفصيل، عندما تكلمنا عن أصحاب الإمام الصادق وموقفه منهم. لقد استغل بعض ضعاف النفوس من هؤلاء الرواة توجيه الأئمة هذا أوسع نطاق، فأحياناً يدعون أن كلامه ورد على سبيل التقية، وأخرى يدعون أن كلامه ورد بخلاف ما سبق أن أجاب في سنة سالفة، ففتح الباب أمام الكذابين لاستغلال هذه الثغرة لتوثيق ما يريدون من أقوال ونفي ما لا يشتهون مما أظهر أفكاراً لا عهد للأئمة بها، وبرغم نفيم تلك الأفكار فقد كان صوت هؤلاء الرواة، وخاصة بالكوفة أعلى وأقوى من توجيهات الأئمة الذين لا سلطة لهم على هؤلاء ولا على غيرهم، خاصة لبعدهم في المدينة. وقد ذكرنا كيف أن هشام بن الحكم يطلب منه الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا عدم الكلام، فلم يمتنع، وقد تسبب ذلك في قتل الإمام، كما فصلنا ذلك في موضعه.

ومما يلاحظ على بعض الرواة المصنفين الذين وثقهم علماء الرجال، بل ربما أجمعوا على توثيقهم كما ذكرنا ذلك مثلاً في حق محمد بن يعقوب الكليني وعلي بن إبراهيم القمي مع أن هؤلاء قد أوردوا في كتبهم روايات في تحريف القرآن الكريم، حيث إنهم لم ينكروها أو ربما قبلوا بعضها مما دفع بعض العلماء إلى الاعتقاد بأنهم يجيزون ويرون صحة الروايات في تحريف القرآن. ومع أن هذا أمر عظيم في دين الإسلام لا يقول به مسلم صحيح

العقيدة مع كل ذلك اعتبروا من الرواة الموثوقين عند الشيعة أجمعين، إلا ما شذ من العلماء ربما. وقد سبق أن أوردنا نصوص الآيات المحرفة والواردة عند الاثنين معاً، وهذا من جملة التساهل الموجود في حق الرواية والراوي عند الشيعة الإمامية.

ومشكلة أخرى لا تتعلق فقط بعقيدة الراوي، وإنما تتعلق بعمله وسلوكه الشخصي، فمن الأمور المعروفة في توثيق الراوي ألا يخالف عمله ما يرويه، وقد شهد الإمام أبو الحسن عليه السلام على مخالفة شيعته العملية لما يروى عن الأئمة، فقد ذكر: «لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة (ربما واقفة)، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد، ولو غربلتهم لم يبقَ منهم إلا ما كان لي أنهم طالما اتكؤوا على الأرائك، فقالوا: نحن شيعة علي. إنما شيعة علي من صدق قوله فعله»^(١). فإذا كان الإمام نفسه قد شهد بأن أفعال أكثر أصحابه هؤلاء تخالف أقوالهم، فأي ثقة بقيت في الراوي. ولكن بعضاً من المتأخرين من الشيعة المحدثين يفصلون بين عمل الراوي (فساده) ومنطوق روايته.

إن هذا العدد الكثير من الرواة الكذابين والمطعون فيهم من كتب الرجال القديمة، خاصة ما ورد ضدهم من لعن الأئمة إياهم والأقوال المنكرة في رواياتهم المخالفة لعقيدة الأئمة والمسلمين عموماً، وكذلك تلك الروايات المشحونة بالخرافات، التي لا يمكن أن يصنعها من كان له ذرة من عقل. أقول: هذا الوضع ليس طبيعياً ولم يحصل عفوياً، ومن المحتمل أن أعداء الشيعة السياسيين قد دسوا هؤلاء الكذابين؛ ليروا تلك الخزعبلات التي ملئت

(١) الكليني. الكافي. الروضة. ص ٢٢٨.

بها كتب الحديث وتلك الأفكار والعقائد المخالفة لمقيدة آل البيت، كما هي معروفة ومحقة عند المسلمين الآن، وهذا الكذب الهائل لا يمكن أن يحصل اعتباطاً. وقياساً على ما يحصل من اختراقات للجماعات السرية في العصر الحديث وقيام متعاونين لجمع معلومات عن هذه الجماعات، وتكوين فكر مضاد لها من داخل فكر هذه الجماعات بحيث يؤدي الحال إلى تمزيقها من الداخل أمر ليس ببعيد حدوثه. فمثلاً كتاب سليم بن قيس الذي يشار إليه أنه من أول الكتب التي ظهرت في فكر الشيعة، وأنه من كتب الأصول تعرض لنسبة كبيرة من الانتحال، فقد قيل: إن ما ورد فيه جملة هو من الموضوعات وهو نفسه منهم من الكذابين، ومما يدل على وضعه أنه قد ورد فيه أن الأئمة ثلاثة عشر إماماً لا اثني عشر، وأن محمد بن أبي بكر قد وعظ أباه عند الموت، مع أنه كان يقترب من الستين من عمره، وإن علماء الشيعة لديهم نسخ مختلفة في كمية ما ورد في هذا الكتاب^(١). وقد ورد صراحة أن أبان بن أبي عياش، وهو الراوي الوحيد لهذا الكتاب هو الذي وضع هذا الكتاب. والسؤال: ما الدافع إلى أبان أن يكذب فيضع هذه المعلومات وما غايته من ذلك؟ إنني أدعو الباحثين إلى تقصي هذا الأمر لأهميته البالغة، وأنه سيكشف في المستقبل الكثير من الغموض المحير في أفكار وعقائد الشيعة.

لماذا يصير هشام بن الحكم على ترويج أفكار الغلاة في الكوفة والعراق، وينسب للإمام أبي الحسن أقوالاً لم يقلها مما يسبب بذلك اضطهاد الإمام وحبسه من قبل الحاكم وقتله بعد ذلك.

من هو يحيى بن خالدة الذي كان ينقطع إليه هشام بن الحكم؟

(١) أورد ذلك العلوي الحسيني في مقدمة الكتاب.

ومن هو أبو شاكر الديصاني الذي تصفه المصادر بأنه زنديق تتلمذ على يده هشام بن الحكم؟

إن الدفاع عن الكذابين، ومن لعنوا على لسان الأئمة ومحاولة تعديل رواياتهم وإيجاد السبل والأسباب لمحاولة توثيقهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً هو غفلة من المحققين وخطأ كبير في حق المذهب ورجاله؛ فإسقاط رواياتهم وأحاديثهم أصلح للمذهب وأمله.

وفي الكلام عن أخبار الآحاد ومدى صحتها والعمل بها ذهب أكثر المحققين إلى صحتها والقول: إن الطائفة درجت على قبولها، وقد ذهب صاحب كتاب العمدة (الطوسي) إلى ما نقله السيد أبو القاسم الخوئي: «... عملت الطائفة بما رواه أبو الخطاب محمد ابن أبي زينب في حال استقامته، وتركوا ما رواه في حال تخليطه»^(١). وقد أفردنا الحديث عن أبي الخطاب ومن كان هذا شأنه من الصعوبة قبول روايته ومن غير الصحيح معرفة أوقات تخليطه واستقامته.

من الذي دفع إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق لأن يتخلق حوله رجال، ثم ينشقون، ويكونون جماعة دينية منفردة بأرائها الغريبة عن الأمة هل تجري مصادفة. روى الكشي بسنده عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للمفضل بن عمر الجعفي: «يا كافر، يا مشرك، ما لك ولا بني يعني إسماعيل بن جعفر، وكان منقطعاً إليه يقول فيه مع الخطابية»^(٢).

(١) الخوئي. معجم الرجال. ج ١٤. ص ٢٥٩.

(٢) الكشي. رجال. ص ٢٧٢.

ما المصلحة من دفع ابن الإمام إسماعيل من اعتناق مذهب الخطابية الشاذ، الذي سبق أن أوضحناه، وإدخال ذلك على الشيعة وعلى إمامهم في خاصة أهله وأبنائه؟ وقد ذكر للمفضل مصنفات سربت للمذهب منذ القديم كذبه وأهدافه من خلالها، ومنها ما وصل إلى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة^(١).

إن أمثال كثير النوا وسالم بن أبي حفصة وأبي الجارود الذين وصمهم الإمام الصادق ليس فقط بالكذابين وإنما بالمكذبين، فلما سأله أبو أسامة عما يقصد بالمكذبين، قال الإمام: كذابون يأتوننا، فيخبرونا أنهم يصدقونا، وليس كذلك، ويسمعون حديثنا ويكذبون به^(٢)؛ فالمسألة مقصودة ومدبرة سلفاً كما يبدو. ونقل ابن النديم في الفهرست عن محمد بن سنان قوله في حق أبي الجارود: «لم يمت حتى شرب المسكر وتولى الكافرين»^(٣). فماذا تعني ولاية الكافرين هنا أليس منها وضع الأحاديث والكذب على الإمام الصادق؛ بغية إضلال الشيعة في الكوفة وغيرها ووقوعهم في حيرة من أمرهم لهدف سياسي كبير.

إن والي الكوفة لما أراد معرفة مكان اختباء عقيل بن أبي طالب الذي قدم لأخذ البيعة للحسين بن علي من أهل الكوفة دس العيون التي توصلت بالمال والخديعة إلى الهدف المطلوب، وقتل عقيل رحمه الله على إثرها، ونقل لنا التاريخ تفاصيل كيف تم ذلك، ومن الرجال الذين قاموا بذلك، ولكن الكذب

(١) الطوسي. الغيبة. ص ٢١٠.

(٢) الكشي. رجال. ص ٢٠٠.

(٣) ابن النديم. الفهرست. ص ٢٥٣.

في الحديث برغم خطورته الفكرية على مستقبل الحركات السياسية لا يبين بوضوح من الشواهد والوقائع الدينية، كما هو الحال في الوقائع السياسية.

لقد أرشد الإمام الباقر قديماً، فقال في حق هؤلاء الكذبة وفضح مقصدهم «... لقد رووا عنا ما لم نقله، وما لم نفعله؛ ليبغضونا إلى الناس»^(١). وقد تنبه إلى ذلك كثير من المحققين، وأشار بالطمع على هؤلاء، ولكن ذلك لا يكفي، لقد بقيت تعاليم أولئك الكذابين في بطون الكتب، وتأصلت على أساسها أصول، فهل هناك قدرة على رفعها من جذورها؟

ومن التساهل الواضح في قول الراوي ومحاولة توثيقه خاصة من قبل علماء الرجال المتأخرين، فبعض علماء الرجال القدماء مثلاً يدفع الراوي، فلا يوثقه بسبب ما عنده من غلو في المذهب، فيأتي المتأخرون فيلطفون لفضلة الغلو الشنيعة عند جميع العلماء والمسلمين إلى القول: إن في مذهبه (ارتفاعاً)، وهي لفظة ملطفة مفادها أن في مذهبه غلو مقبولاً، وهذا يدل عند هؤلاء أن كثيراً ممن اشتهروا بالغلو قد يكونون رواة مقبولين. ومن أمثلة ذلك محمد بن بحر الرهيني، فقد وصمه الشيخ الطوسي^(٢) بأنه متهم بالغلو، في حين قال عنه النجاشي: إن في حديثه قرباً من السلامة على الرغم من أن بعض الأصحاب ذكر أن في مذهبه ارتفاعاً^(٣).

ومثل ذلك أيضاً ما ورد في حق عبد الله بن خدّاش المهري الذي قال عنه النجاشي: «ضعيف جداً وفي مذهبه ارتفاع» ولفظة جداً هي إشارة إلى أنه من

(١) الكشي. رجال. ص.

(٢) الحر العاملي. الخاتمة. ص ٣١٨.

(٣) النجاشي. رجال. ص ٢٧١.

أصحاب الغلو والارتفاع. ولكن الحر العاملي يفهم من ذلك قائلاً: «إن فساد مذهبه لا ينال في التوثيق»^(١). وهكذا تتسرب أفكار الغلاة والكذابين عن طريق هذا التساهل في توثيقهم وقبول روايتهم، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ لأنها هي الخرق الذي دخلت منه البلايا والمصائب على الشيعة.

محمد بن علي بن هلال عده الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة) من المذمومين، ويستقري الحر العاملي أن يكون وجه الذم اقتران اسمه باسم زرارة الملعون من الإمام الصادق لكذبه، ومع هذا يقول الحر العاملي عن ابن هلال هذا: «ما نقل عنه من سبب الذم لا ينال في كونه ثقة في الحديث»^(٢).

اليوم، وقد تهيأت سبل التحقيق وحرية الكتابة والتأليف، وأصبح ما كان سرّاً يخشى انتشاره لدى الخصوم أضحى في متناول جميع طلاب العلم والحقيقة، فلماذا لا يشمر طلاب العلم الشيعة خاصة لدراسة هذا الأمر وإيضاحه للناس. إن إعلان الحقيقة ونشر العلم بما فيها أخطاء الماضين، وما جروه من ويلات، وما ارتكبه من آثام وكذب في حق إخوانهم في المذهب لهو أجدى اليوم للشيعة والمسلمين عموماً من الإصرار على أخطاء الماضي وتبريرها بشتى الأسباب الواهية.

أليست وحدة المسلمين واتفاقهم على أصول عقائد الإسلام التي تحميمهم من التمزق والتشرد المذهبي أمام أعدائهم وخصومهم الكفرة أهم من تأصيل أفكار الغلاة وممزقي الأمة والطاعنين رجالها وخلفائها وأئمتها وصحابتها.

(١) الحر العاملي. الخاتمة. ص ٢٣٦.

(٢) الحر العاملي. الخاتمة. ص ٣٣٥.

ماذا يضر مذهب الشيعة إذا أعلن علماءهم بعد تحقيق ودراسة محايدة إبطال فكرة الغيبة وغيرها إذا تحققوا من أن رواياتهم ومخترعيها منذ ذلك الوقت، كما أوضحنا كانوا إما أصحاب أغراض شخصية أو من الغلاة الهادفين إلى فرقة الأمة أو على أقل تقدير من حسني النيات الذين اجتهدوا للمذهب وأهله لما ينقذهم في تلك الظروف من محن وعنت أصبحت الآن لا مبرر لها.

من المؤسف أن تتحول شهادات قدماء الشيعة في حق بعض الرواة غير الموثقين لأسباب ذكروها بصراحة مثل ذكر النجاشي عدم توثيق رواية جعفر الجعفي لاختلاطه عقلياً، من المؤسف أن تتحول هذه الشهادة مثلاً عند المامقاني أي اعتبار الاختلاط المذكور لا أصل له؛ لأنه ناشئ عن رواية الجعفي لأموار في الأئمة غير مقبولة عند القدماء، ثم صارت اليوم من ضرورات مذهب الشيعة، وكانت تعد غلواً. وهذه حجة المامقاني في عدم قبول الآخرين ما ورد من اختلاط عقل الجعفي^(١).

إن القاعدة التي استخلصها من محققي الرجال المتأخرين تعتمد أكثر على مدى تطابق ما يروى مع قواعد المذهب التي استقرت فيما بعد عندهم، فإذا كان الحديث منطوقاً يتفق مثلاً مع فكرة البداء أو الغيبة أو التقية أو... فالحديث صحيح والراوي ثقة برغم ما قد يرد من قدح في شخصه. وهذه القاعدة إذا كانت بسيطة وسهلة على المحقق في العصور المتأخرة التي استقرت فيها أصول مذهب الشيعة، وأصبح من العسير تغيير ما توارد عن القدماء، ولكن هذه القاعدة غير صالحة، ولا يمكن تطبيقها على قدماء الرواة وأحاديثهم؛ لأنهم هم الذين اخترعوا هذه الأفكار والمقائيد، فأصبحت

(١) المامقاني: تنقيح المقال. ج ١. (جابر الجعفي).

بمرور الزمن وتعاقب إخفاء العقيدة وسترها أضحت قواعد وأصولاً لمن جاء بعدهم، على الرغم من أن مخترعيها ربما غلاة كذابون أصحاب أغراض كما ذكرنا.

لقد تمّن أصحاب الأغراض هؤلاء بهدف وضع الشيعة في ظلام دامس يصعب على عامتهم، فضلاً عن عقلائهم معرفة الحقيقة والوصول إليها بوضوح دون عناء وتكتم وسرية، فأشاعوا مقولة الإمام الصادق: «إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول له فقط أن احتمال أمرنا ستره وصيانتهم من غير أهله.....» أولوا هذه النصيحة وجوب كتمان الأفكار الغالية والمنكرة التي أشاعوها في حين كان الإمام الصادق يعني بذلك ليست تلك الأفكار التي اخترعها هؤلاء الكذابون، فأضحت أصولاً من أصول الشيعة، وإنما المقصود به أمر الشيعة السياسي في التهيؤ للانقضاض على الحكم من يد الأمويين وتخليص الشيعة مما هم فيه من شدة وعناء، هذا إن تحقق أن الإمام قد قال ذلك حقاً.

ليس في أصول الإسلام وقواعده وتعاليمه ما يقتضي ستره وإخفاءه عن كائن من كان، بل بالعكس بعث نبي الإسلام بالمحجة البيضاء ليبلغها كنهها، وليس في أصولها وأفكارها ما يقتضي كتمانها بل يؤثم من يكتم الحق ويخفيه، فما فائدة أن تتحول قواعد الإسلام وتعاليمه إلى تعاليم باطنية خفية تمكن كل صاحب غرض من تأويلها على هواه؟ وقد انتهت التعاليم الباطنية بفناء مذاهبها ومريديها؛ لاتجاههم نحو سراب لا يؤمن به إلا قطعان الجهلة والغافلون عن الحق أو طلاب الدنيا المستغلون تلك القطعان.

لقد سلك بعض طلاب العلم مؤخرًا بعد أن أدركوا هذه الحقيقة إلى محاولة إنكار بعض شخصيات الرواة أو الرجال الذين تحلق في عنقهم بعض أوائل أصول الشيعة: كعبد الله بن سبأ وغيره، فأنكروا وجود هذه الشخصيات، ولكن هذا المسلك خاطئ من أصله؛ لأنه ينفي الغلاف الخارجي، ويبقي على الحقيقة الباطنية التي خلفها السبئية للتشيع، والصحيح معالجة الجذور والأصول لا القشور الخارجية. وقد قام البعض بجهد مشكور كما فعل السيد هاشم معروف الحسيني في دراساته في الحديث والموضوعات، وأوضح بأجلى بيان أولئك الكذبة والمناقضين والغلاة من الرواة وأوضح توثيق البعض لهم، ولكن هذا العمل برغم أهميته يعد وسيلة للوصول إلى الهدف، والهدف هو معرفة الحقيقة وكشف تلك الأفكار التي بذرها هؤلاء الكذبة منذ القديم، فأصبحت أصولًا لمن جاء بعدهم لا يقدرّون الخروج عليها.

ومن قدماء أصحاب الرجال الذين كشفوا أحوال الرواة ما كتبه ابن الفضائري (أحمد بن الحسين)، حيث خص بالكتابة (الضعفاء) ولصراحة ما فيه من انكشاف الكذابين والغلاة عمد بعض علماء الشيعة إلى نفي نسبة الكتاب لصاحبه لأسباب واهية، ومنهم المجلسي وغيره.

هل كان الأئمة يطلبون المستحيل من الرواة الذين يفدون إليهم فيما يتعلق بالنص المنقول؟

هل يعقل أن يطلب الإمام من الراوي أكثر من الصدق فيما ينقل عنه فيما يخص قواعد الدين وتعاليمه وفتاواه؟ لقد أوردنا الكثير من أقوال الإمام الصادق وشكواه من كذب الرواة عليه ولعن بعضهم بالاسم والفعل معًا.

لقد تفتق ذهن الكذابين على الأئمة والإسفاف في تضليل الشيعة إلى أن يرووا عن الإمام الصادق قوله: «إني لأحدث الرجل الحديث فينطلق فيحدث به عني كما سمعه، فاستحل به لعنه والبراء منه»^(١).

ويلعل النعماني ذلك (لأن الكلام عن الغيبة) أن الإمام «يريد أن يحدث به من لا يحتمله، ولا يصلح أن يسمعه». لماذا؟ هل دين الشيعة غير دين الإسلام المعروف الواضح؟ إن النعماني لما تأصل في ذهنه وعقيدته فكرة الغيبة التي أنكرها جمهور المسلمين اعتبرها مما لا تصلح أن يحدث بها كل إنسان أنها سر من أسرار المذهب؛ لأنها مخالفة لما اعتقده المسلمون، ولما سمعوه من نبي الإسلام ﷺ. لماذا لا يكون التأويل أن الإمام ربما قصد ألا يحدث بجميع ما يقول، وخاصة من أمور سياسية أو لها علاقة بالحكم والسياسة أيًا كان من الناس؛ خشية أن يؤدي ذلك الإمام وأتباعه مما هو معروف من أحوالهم ذلك الوقت.

لم يكن دين الإمام الصادق ولا أئمة آل البيت جميعاً ما يوجب ستره أو أن يتحدث به لأناس مخصوصين، وإنما الدافع لذلك أن يستغرق الكذبة والوضاعون، فيحدثون عامة الشيعة بما يعين لهم من أفكار غالية وخزعبلات خارجة عن التصديق، ثم يوحون إليهم أن تصديقها صعب مستصعب حسب كذبهم بأن ذلك من أقوال الأئمة.

وهكذا تستشري بينهم تعاليم الكتمان التي ربما كانت في الأصل ذات هدف سياسي سري إلى أن تنتقل، فتكون كتمان المنكر في العقيدة والسلوك والأخلاق واستخدام التقية في غير محلها المشروع. بدل من كتمان الأهداف

(١) النعماني، الغيبة، ص ٣٦.

السياسية، فيندفع الرواة الكذابون في إيهام العامة أن الأئمة لديهم علوم عظيمة مخفية كعلم الجفر، وأن لديهم (الجامعة) التي حوت علوم الأولين ومعارفهم. ولهذا، فالأئمة يعلمون جميع اللغات ويعلمون لغات الحيوان والطير، بل وصل بهؤلاء الكذبة أن الأئمة يعلمون الغيب، وجمعوا معجزات ذكروها لكل إمام ترشح بالغلو والكذب، وهي إساءة للأئمة فضلاً على كونها سخريّة من عقول من يقرؤها، فهل ينتظرون أحداً يصدقها؟ أم أن النتيجة المطلوبة هي رفضها ورفض التشيع والأئمة معاً؟

وقال بعض علماء الشيعة: إن الميزان في توثيق الرواية ليس الراوي، وإنما إذا كانت روايته قد عمل بها ومشهورة في المذهب تكون مقبولة وتُعَدُّ حجة ولا حاجة بنا إلى علم الرجال^(١). وهؤلاء هم الإخباريون الذين يوثقون كل ما جاء غالباً في كتب الحديث خاصة الكتب الأربعة. وقد نقض السيد الخوئي حجتهم. واحتج الطوسي نفسه (يعود له كتابان من الأربعة)، فذكر في كتابه الفهرست: «إن كثيراً من المصنفين وأصحاب الأصول كانوا ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة»^(٢).

إن كتب حديث الشيعة التي دونها الكليني والطوسي وابن بابويه القمي ذكروا: أنهم دونوها عن كتب الأصول. فأين تلك الأصول؟ ولماذا لم تحفظ كما حفظت غيرها؟ قال البعض: إن كتب الأصول قد اندرست واستعاض الناس عنها بالكتب الأربعة^(٣). واتجه كثير من فقهاء الشيعة ومحققيهم على اعتماد صحة ما ورد في الكتب الأربعة، وخاصة الكافي مثل ابن طاووس (رضي

(١) الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١، ص ٣٥.

(٢) الطوسي، فهرست، ص ٢٤.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٧٥، و ص ٣.

الدين)، والنجاشي والمازندراني (في شرحه للكا في)، بل ذهب القزويني إلى حد القول: إن الكا في مروي عن الإمام الصادق بلا واسطة، وإن جميع أخباره حق واجب العمل بها....^(١).

وبخلاف ذلك، فإن جملة من العلماء الآخرين والأصوليين الشيعة لا يذهبون هذا المذهب، فلو أخذنا مثلاً الجزء الأول من كتاب الكا في، وهو متعلق بأبواب العقل والعلم والتوحيد والحجة لجمعنا الملاحظات الآتية:

١- إن ما يقرب من مئة وثمانين حديثاً في هذا الجزء يرويها علي بن محمد (أحاديث غيبة الإمام الثاني عشر)، فمن هو علي بن محمد؟ إن أكثر من واحد ممن عدوا في الضعفاء اسمهم علي بن محمد. وكذلك الحال في الراوي محمد بن إسماعيل.

٢- ورد في سلسلة الرواة لـ ١٢٢ حديثاً فيها سهل بن زياد الرازي، حيث ضعفه النجاشي والطوسي وغيرهم بسبب كذبه، وأنه مرمي بالقلو، وأنه طرد من قم مع بقية الفلاة. وذكر الخوئي في معجم رجال الحديث، أنه قد ورد له في الكا في ٢٣٠٤ أحاديث؟

٣- هناك ١٧٢ رواية في هذا الجزء يرويها الكليني عن مجاهيل عن فلان؟ عن سمعه؟...

٤- هناك أكثر من عشرين راوياً ممن ورد ذكرهم في سند روايات الكليني في هذا الجزء كلهم مطعون فيهم من درجة الضعف إلى درجة الكذب والقلو وفساد المذهب، يمكن مقارنة أسمائهم بما ذكر عن بعضهم سابقاً.

(١) محمد أبو زهرة. الإمام الصادق. ص ٤٣٥.

والحقيقة التي يخرج بها الباحث المنصف عن رواية الشيعة حسبما وردت في مصادرهم سبقنا إليها رجل شيعي إمامي عربي متخصص في علم الرجال، وقد كتب كتابه المعروف برجال النجاشي.

كما أن تلك الشهادة اعترف بها أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري، ذلك هو الشيخ الطوسي، تلك الحقيقة المرة نقلها إلينا محمد هادي اليوسفي الغروي في مقدمته لكتاب رجال النجاشي، حاكياً عن كتاب الفهرست عن الطوسي. قال: «... لأن كثيراً من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة...»^(١). وعليك أن تفكر كيف تكون كتبهم معتمدة، وهي تصدر من أصحاب مذاهب فاسدة؟



(١) النجاشي. رجال. المقدمة ص ٩.

المراجع والمصادر

- إبراهيم، عوض. سورة النورين التي يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم. القاهرة: دار زهراء الشرق، ١٩٩٨م.
- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله. شرح نهج البلاغة. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٥م.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن. الكامل في التاريخ. بيروت: دار الفكر، ١٩٦٥م.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق. الفهرست. بيروت: دار المسيرة، ١٩٦٣م.
- ابن بابويه القمي، محمد بن علي. من لا يحضره الفقيه. لبنان: مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٥م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. رفع الملام عن الأئمة الأعلام. الدوحة: الشؤون الدينية.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. الإصابة في معرفة الصحابة. القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٧٠م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. تهذيب التهذيب. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون. القاهرة: دار الشعب.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء الزمان. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م.
- ابن سعد، محمد القرطبي. الطبقات الكبرى. لندن: مطبعة بريل، ١٩٤٠م.

- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. القاهرة: دار نهضة مصر.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. تجريد التمهيد لما في الموطأ من أسانيد. القاهرة: دار الكتب العلمية، ١٣٥٠هـ.
- ابن عبدربه، أحمد بن محمد. العقد الفريد. دمشق: دار الفكر، ١٩٤٠م.
- ابن هشام، عبد الملك المعافري. السيرة النبوية. القاهرة: دار التراث العربي، ١٩٧٨م.
- أبو الحسن، الأشعري. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. إسطنبول، ١٩٢٩م.
- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني. بيروت: دار الحياة.
- أبو جبل، كاميليا. يهود اليمن. دمشق، ١٩٩٩م.
- أبو جعفر الطوسي، محمد بن الحسن. المبسوط في فقه الإمامية. طهران، ١٣٨٧م.
- أبو جعفر الطوسي، محمد بن الحسن. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد. طهران، ١٩٠٠م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. حمص، ١٩٦٩م.
- أبو شهبه، محمد بن محمد. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٨م.
- أبوزهرة، محمد. الإمام الصادق. القاهرة: دار الفكر العربي.
- الأسدي، سيف بن عمر. الفتنة ووقعة الجمل. جمع وتصنيف أحمد راتب عرموش. بيروت: دار النفائس، ١٩٨٤م.
- الأسيوطي، ثروت أنيس. نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٦م.
- الأمين، محسن. أعيان الشيعة. بيروت، ١٩٦٠م.
- البار، محمد علي. المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. الرياض: الدار السعودية، ١٩٨٧م.
- الباشا، حسن. (المشكلة اليهودية من عهد سبأ إلى صدر الإسلام). المجلة ٩ (١٩٥٧م).
- البحراني، هاشم. تفسير البرهان. طهران: مطبعة الأفتاب، ١٣٧٤هـ.

- البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. القاهرة، ١٢١٣هـ.
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. الفرق بين الفرق. القاهرة، ١٩١٠م.
- البكر، منذر عبد الكريم. دراسة في تاريخ اليمن. سلسلة كتاب المسيرة اليمنية. البصرة: مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. آثار الجاحظ. بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٩م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. الحيوان. بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٩٦٩م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. رسائل الجاحظ. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٦٩م.
- الجزائري، نعمة الله بن عبد الله. الأنوار النعمانية. تبريز، ١٩٥٨م.
- الجلال السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. أسباب النزول. دمشق: دار قتيبة، ١٩٨٧م.
- الجلال السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. إسعاف المبطل برجال الموطأ. مصر: مطبعة البابي، ١٩٥٠م.
- الجلال السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الجامع الكبير. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الحائري، محمد بن علي. جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد. بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٢م.
- الحديثي، نزار عبد اللطيف. أهل اليمن في صدر الإسلام. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الحسن، عبد اللطيف عبد الرحمن. الزواج المؤقت. بيروت: دار الحرف، ٢٠٠٠م.
- الحسيني، هاشم معروف. المبادئ العامة للفقه الجعفري. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٧م.
- الحسيني، هاشم معروف. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة. بيروت: دار النشر للجامعيين، ١٩٦٤م.
- الحضرائي، بلقيس. (يهود اليمن في كتاب الإبادة الجماعية). مجلة ودراسات يمنية ١٧ (١٩٨٤م).
- الحمادي، محمد بن مالك. كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة. القاهرة: دار الصحوة، ١٩٨٦م.

- الحميري، إسماعيل بن محمد. ديوان السيد الحميري. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. تاريخ بغداد. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٣١م.
- الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي. البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار الزهراء، ١٩٧٥م.
- الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي. معجم رجال الحديث. النجف، ١٣٩٠هـ.
- الذهبي، محمد السيد. الإسرائيليات في التفسير والحديث. دمشق: دار الإيمان، ١٩٨٥م.
- الذهبي، محمد بن أحمد. تذكرة الحفاظ. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٣م.
- الذهبي، محمد بن أحمد. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. القاهرة: دار الفكر العربي.
- الرازي، فخر الدين. كتاب المحصل. قم: انتشارات الشريف الرضي، ١٩٩٩م.
- الروسان، محمود محمد. القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٠٣هـ.
- الزغبى، فتحي محمد. غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨م.
- الزنجاني، إبراهيم الموسوي. عقائد الإمامية الاثني عشرية. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٣م.
- السرخسي، محمد بن أحمد. المبسوط. بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦م.
- السواح، فراس. الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم. دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٩م.
- الشامي، عباس علي. يهود اليمن قبل الصهيونية وبعدها. بيروت: مجلة المسيرة اليمانية، ١٩٨٨م.
- الشامي، عباس علي. يهود اليمن. سلسلة كتاب المسيرة اليمانية. ١٩٨٨م.
- الشريف، أحمد إبراهيم. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٥م.

- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. الملل والنحل. بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٥م.
- الشهرستاني، هبة الدين. تحريم نقل الجناز. بغداد، ١٩١١م.
- الشيباني، كامل مصطفى. الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري. بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٦٦م.
- الصليبي، كمال سليمان. خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل. بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٢م.
- الطبرسي، أحمد بن علي. الاحتجاج. بيروت: مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ١٤١٠هـ.
- الطبرسي، أحمد بن علي. مجمع البيان في تفسير القرآن. شركة المعارف الإسلامية، ١٩٦٩م.
- الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. القاهرة، ١٩٥٤م.
- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آيات القرآن. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٤م.
- الطهراني، آغا برزك. الذريعة إلى تصانيف الشيعة. النجف: مطبعة الغري، ١٩٣٦م.
- الطوسي، محمد بن الحسن. الأمالي. بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨١م.
- الطوسي، محمد بن الحسن. التبيان في تفسير القرآن. النجف: مؤسسة الوفاء، ١٩٦٣م.
- الطوسي، محمد بن الحسن. الفهرست. كلكتا، ١٩٥٥م.
- العاملي، عز الدين الجيعي. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية. مصر: دار الكتاب العربي.
- المعجمي، فالح شبيب. صحف إبراهيم. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٦م.
- المياشي، محمد بن مسعود. تفسير القرآن. قم، ١٣٨٠هـ.
- الغزالي، محمد بن محمد. فضائح الباطنية. عمان: دار البشير، ١٩٩٣م.
- القلشقندي، أحمد بن علي. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. بيروت: دار الكتب العمية، ١٩٨٤م.

- القمي، الصدوق ابن بابويه. التوحيد. طهران، ١٩٦٧م.
- القمي، الصدوق ابن بابويه. علل الشرائع. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٨م.
- القمي، علي بن إبراهيم. تفسير القمي. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٩١م.
- الكاتب، أحمد. تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه. القاهرة: دار الشورى، ١٩٩٧م.
- الكليني، محمد بن يعقوب. الأصول من الكافي. طهران: مكتبة الصدوق، ١٣٨١هـ.
- البرد، محمد بن يزيد. الكامل. مصر، ١٣٥٦هـ.
- المجلسي، محمد باقر. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول. طهران: مطبعة الحيدري، ١٤٠٠هـ.
- المسمودي، علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر. صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٨٧م.
- المسيري، عبدالوهاب محمد. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م.
- المظفر، محمد رضا. عقائد الإمامية. قم: دار التبليغ الإسلامي.
- المظفر، محمد رضا. عقائد الشيعة. النجف: منشورات الحيدرية، ١٩٥٤م.
- المظفر، محمد رضا. عقائد الشيعة، ١٩٦٢م.
- المعتزلي، عبد الجبار بن أحمد. تثبيت دلائل النبوة. بيروت: دار العربية، ١٩٦٦م.
- المفيد، محمد بن محمد النعمان. الإرشاد. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٩م.
- المفيد، محمد بن محمد النعمان. أمالي المفيد. النجف، ١٩٦٢م.
- المفيد، محمد بن محمد. الاختصاص. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٢م.
- المفيد، محمد بن محمد. الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة. النجف، ١٩٤٨م.

- المفيد، محمد بن محمد. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات. طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، ١٤١٣هـ.
- الملاح، هاشم. «التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية». مجلة جامعة الموصل ١١ (١٩٧٣م).
- الموسوي، موسى. الشيعة والتصحيح. بيروت، ١٩٨٨م.
- النشار، علي سامي. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. القاهرة: دار المعرفة، ١٩٧٧م.
- النعماني، محمد بن إبراهيم. كتاب الغيبة. بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٣م.
- النفيسي، عبدالله فهد. دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث. الكويت: آفاق للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.
- النويختي، الحسن بن موسى. فرق الشيعة. إسطنبول، ١٩٣١م.
- النوري، حسين محمد. فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب. إيران، ١٣٩٨هـ.
- الهاشمي، سعدي. الرواة الذين تأثروا بابن سينا، ١٩٩٢م.
- الهواري، محمد علي. يهود اليمن. الرياض: جامعة الملك سعود.
- الواحدي، علي بن أحمد. أسباب النزول. القاهرة: مكتبة المتنبّي، ١٩٦٨م.
- بدر الدين العيني، محمود بن أحمد. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري. القاهرة: إدارة الطباعة المنبرية، ١٩٢٧م.
- جولد تسيهر، أجناس. العقيدة والشريعة في الإسلام. بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٤٦م.
- دراور، الليدي. الصائبة المندائيون. ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي. بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٦٩م.
- ريتشارد، يان. الإسلام الشيعي. ترجمة حافظ الجمالي. بيروت: دار عطية، ١٩٩٦م.
- شبر، السيد عبدالله. تفسير القرآن الكريم، ١٩٦٦م.

- شحاته، عبد الفتاح علي. تاريخ الأمة العربية. القاهرة، ١٩٦٢م.
- شلبي، أحمد. مقارنة الأديان. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦م.
- طعيمة، صابر. الشيعة معتقد ومذهب. بيروت، ١٩٨٨م.
- طنطاوي، محمد سيد. بنو إسرائيل في القرآن والسنة. بنغازي، ١٩٧٣م.
- ظاظا، حسن. الفكر الديني اليهودي. بيروت: دار العلوم، ١٩٩٩م.
- ظهير، إحسان إلهي. الشيعة والسنة. الرياض.
- علي، جواد. الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. طهران: منشورات الشريف الرضي، ١٩٥٩م.
- علي، جواد. تاريخ العرب قبل الإسلام. بغداد: مكتبة التفيض، ١٣٧٩ هـ.
- غنيمه، يوسف رزق الله. نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق. بيروت، ٢٠٠٦م.
- فلهوزن، يوليوس. أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م.
- فلوطن، فان. السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية. القاهرة: دار السعادة، ١٩٢٤م.
- كاشف الغطاء، محمد حسين. أصل الشيعة وأصولها. لندن: منشورات البزاز، ١٩٩٤م.
- كرم، يوسف. تاريخ الفلسفة اليونانية. بيروت: دار القلم.
- لويس، برنارد. أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية. بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٠م.
- هاشم، محمد يونس. الدين والسياسة والنبوة. دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠١٠م.



أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة

د. عبد القليل عبد الرحمن الحمن



بعد نشر كتابي (جذور التشيع) وجدت مادة علمية كثيرة لا يحتمل الكتاب السالف أن أضمنها فيه، وهذه المادة تخص العلاقة بين اليهود والتشيع عقيدة وفكرًا، حملها رجال من قبائل عربية قديمًا؛ لظروف سياسية مرت بها المنطقة، ولتجاور الشعوب السامية في المنطقة العربية، وتوارث تراثها الفكري بين الأجيال والأقوام.

وفي أثناء قراءتي لمصادر الشيعة القديمة هالني التشابه بين الأفكار الواردة في المصادر اليهودية ومصادر الشيعة القديمة، في بعض الأحيان تلمحها بوضوح، وفي

أحيان كثيرة يجرون عليها بعض التحوير والتغيير المناسب للاحتجاج الزمني، وجميعها موضوعة على شكل أحاديث منسوبة إلى الأئمة. ولهذا رأيت من المناسب أن أعرض ما توصلت إليه بشكل محايد، لا غرض فيه غير العرض العلمي البحت الخالي من التجني أو التشنيع، مستعملًا في الأساس المصادر الإسرائيلية والمصادر الشيعية الموثقة عندهم، وإني إن أشرت إلى مصادر أخرى، فإنما ترد على سبيل الإضافة والتعصيد لما يذكر.

إن رجال الشيعة ابتلوا كغيرهم بنقل الإسرائيليات في التفسير والحديث، ونسبوها أقوالاً لأئمتهم طالبين في ذلك إعلاء شأن الأئمة، وإنهم عالمون بعلم أهل الكتاب، فمن هذا الطريق أيضًا دخلت البلايا والخرافات والأقوال المبتكرة من اليهودية إلى التشيع، وسنلقي الضوء على هذا الموضوع؛ لأهميته.

والسؤال المهم هنا هو: هل علماء الشيعة يعرفون هذه الحقيقة؟ وإن كانوا لا يجهلون، فلماذا سكتوا عنها منذ القدم على الرغم من وضوحها؟

هذا السؤال وغيره كثير تجد جوابه بين ثنايا هذا الكتاب،،،

المؤلف

ISBN:978-603-503-524-8



9 786035 03524 8



موضوع الكتاب:

الفكر اليهودي - الشيعة